تخطيط المدن

العربية الإسلامية الجديدة في العصر الراشدي

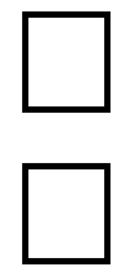
(13-40هـ/634-661م)

علي مفتاح عبد السلام العولي



تخطيط المدن العربية الإسلامية الجديدة في العصر الراشدي

(13-40 هـ / 634-661م)



تخطيط المدن العربية الإسلامية الجديدة في العصر الراشدي

(13 - 40هـ / 634 - 661م)

الأستاذ

علي مفتاح عبد السلام الحولي

الطبعة الأولى

2011م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(2010/7/2427)

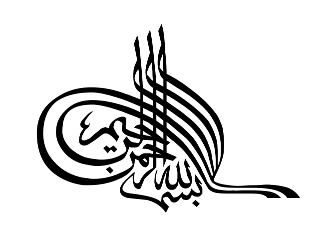
956
الحولي، علي مفتاح عبدالسلام
نخطيط المدن العربية الاسلامية في العصر الراشدي 13-40هـ/634-661م/
علي مفتاح عبدالسلام الحولي.- عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2010.
(   ) ص.
ر.أ. : (2010/7/2427)
الواصفات: / التاريخ الاسلامي//التخطيط الحضري//العراق/

v أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
v يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5331289 – 6 – 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن
E-mail : Zahran.publishers@gmail.com
www.darzahran.net



+ *) (' & % $ # " ! O

8 7 6 5 4 3 1 0 / . - ,

N : 9

(سورة الأعراف : أية 74)

الإهداء

بكل دواعي السرور والاحترام أتقدم بإهداء ثمرة هذا الجهد إلى :

والدّي العزيزين .

وأخوتي وأخواتي .

وزوجتي وبناتي ليبيا ودنيا وسرى .

وكل أفراد عائلة حمّير .

وإلى روح صديقي العزيز : محمد رجب عبد السميع .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الفصل الأول

حركة الفتوح الإسلامية وبداية التمدن والاستقرار في البلاد المحرر(العراق- مصر)

الفصل الثاني

تخطـــيط البصـــرة

الفصل الثالث

تخطيــط الكوفـة

الفصل الرابع

تخطـيـط الفســطاط

المقدمة

للمدن أهمية متميزة في مجرى تاريخ الإنسانية وتطور حضاراتها، فاستقرار عدد كبير من الناس فيها ينمّي بينهم علاقات خاصة، ويؤدي إلى ظهور مؤسسات اجتماعية واقتصادية وإدارية لتنظيم الحياة فيها بما يحقق الأمن والطمأنينة وييسر النمو الاقتصادي والفكري والحضاري، وقد ظلت المدن منذ بدايات نشوئها مركز ازدهار ونمو الحضارة الإنسانية .

وقد أدرك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب **t** الذي تمت في خلافته أعظم الانتصارات الأولى في الفتوح الإسلامية أهمية الاستقرار فأمر في السنوات الأولى من خلافته وبُعيد الانتصارات الأولى بتأسيس أمصار ليستقر فيها المقاتلة وعوائلهم، وتكون قواعد للإدارة، ولتحركات الجيوش العربية، ومع أن الغالبية العظمى من سكان هذه الأمصار هم من المقاتلة إلا أن الغرض الأول من تأسيسها هو تأمين الاستقرار وتثبيت النظم الإدارية وتيسير الحياة المدنية .

وتعد البصرة والكوفة والفسطاط أولى الأمصار الإسلامية التي بناها المسلمون لأنفسهم وهي غير ما فتحوه من مدائن الروم والفرس، فهذه المدن التي بدأت بداية بسيطة لا تتعدى كونها معسكرات لجند المسلمين، لم تكن مدناً عامرة في بداية تأسيسها، غير أن هذه المدن التي ارتبط تأسيسها بالفتح الإسلامي لهذه الأقاليم سرعان ما أصبحت مدناً كبرى خلال سنوات معدودة بفضل تخطيطها المنظم وتزايد دورها السكنية، وتعدد منشآتها ومرافقها العمرانية وتوسع رقعتها حتى أضحت نموذجاً لتخطيط وبناء المدن الإسلامية التي تلتها .

وهذا البحث هو: دراسة لمعرفة المعالم الخططية في المدن الإسلامية الأولى التي بناها المسلمون خارج شبه الجزيرة العربية (البصرة – الكوفة – الفسطاط) ومناطقها وما يتصل بذلك من المعالم الأرضية، ومواقع الإسكان والمنشآت

العمرانية إبان العصر الراشدي (13– 40 هـ / 634 – 661 م) فهو يشمل توزيع السكان على خططها والمعالم العمرانية في كل خطة من هذه المدن .

الفصل الأول

حركة الفتوح الإسلامية
وبداية التمدن والاستقرار في البلاد المحررة
(العراق – مصر)

الفصل الأول

حركة الفتوح الإسلامية

وبداية التمدن والاستقرار في البلاد المحررة (العراق – مصر)

مدخل:

كان من الطبيعي بعد أن انتهت حركة الردة أن ينتقل المسلمون إلى مرحلة أخرى أجل وأعظم ألا وهي: حركة الفتوح الإسلامية التي تصدى لها الخليفة أبو بكر الصديق t بكل إقدام لأجل تأمين الإسلام في حدوده وتخومه، هذه المرحلة التي أعادت للدولة الإسلامية قوتها التي تصدعت بعد انتقال الرسول r للرفيق الأعلى.

كانت سياسة الخليفة أبي بكر t في مجال الفتح هي التوجه نحو بلاد الشام حيث كان أول عمل قام به بعد مبايعته هو: تسيير جيش أسامة بن زيد، على الرغم من معارضة كثير من الصحابة في ذلك، فكان هدف الخليفة أبي بكر t هو إشعار أعداء المسلمين في الداخل والخارج بقوة الدولة الوليدة وثبات مركزها، وبالفعل نتج عن ذلك استشعار العرب قوتهم، انتقلت الجيوش الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية لإرساء قواعد الإسلام ونشره والقضاء على قوتي الفرس والروم اللتين ملكتا زمام الأمور وقتذاك واللتين أهدرتا عروة الإخاء الإنساني، فكان لابد للإسلام من أن يعالج أمر هاتين الدولتين ويحطّم فيهما هذه الحواجز الخانقة التي اعتمدتا عليها في بسط ما كان لهما من سلطان على جانبي الأرض، وبكل عزيمة وحزم بعث الخليفة أبو

بكر t بجيوشه إلى أرض الهلال الخصيب(الشام والعراق) الذي تقاسمته آنذاك كل من الدولتين[1].

فزحفت أربعة جيوش إلى إقليم الشام التابع للبيزنطيين في حين سار جيش آخر إلى أرض العراق من ممتلكات الفرس، ولم ينته عام(12هـ-632م)[2].حتى سيطر هذا الجيش على الفرات الغربي، ونظراً لتركيز أنظار الخليفة على الجبهة الشامية استعان بقسم من جيش العراق لمحاربة الروم والذي ظهر وهنهم منذ المعارك الأولى حتى تم القضاء على مقاومتهم في معركة اليرموك الفاصلة[3].

واستمرت عجلة الفتوح الإسلامية في انطلاقتها زمن الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب t إذ استأنف الفتوح في الميدان الفارسي، وإرسال الإمدادات إلى أطراف العراق، وترجم ذلك بتحقيق نصر باهر في القادسية التي كانت بمثابة نهاية الوجود الفارسي في العراق، حيث أصبح الطريق مفتوحاً إلى المدائن عاصمة الدولة الساسانية، التي دخلها المسلمون بعد فرار كسرى منها وبعزيمة صلبة تمكنت القوات الإسلامية من قطع دابر الفرس في فتح الفتوح(نهاوند)، ومع هذه الإنجازات الكبرى على الساحة العراقية كانت جيوش المسلمين

---

(1) زيادة، محمود محمد: دراسات في التاريخ الإسلامي،(العرب قبل الإسلام –السيرة النبوية- الخلافة الرشيدة)، دار التأليف، القاهرة 1969م، ص 439.
(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت(د.ت)، ج2، ص83.
(3) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت(د. ت)، ج2، ص 260.

ترسخ أقدامها في أرجاء إقليم الشام فبلغت جبال طوروس شمالاً، وطهرت المدن الفلسطينية من القوات البيزنطية، كما سارت الجيوش الإسلامية لفتح مصر حتى تؤمن فتوح الشام، واستطاعت علىالرغم من فواتها القليلة العدد أن تفتح مصر بعد انسحاب البيزنطيين منها[1].

لقد تحققت للمسلمين إنجازات ضخمة من هذه الفتوح منها: القضاء على الوجود الفارسي والبيزنطي في المنطقة العربية في زمن قياسي عجز عنه غيرهم في مئات السنين، بفضل الروح الجديدة واعتزازهم بدينهم، وحمل هذا الشعور آلافاً مؤلفة من العرب الذين تفانوا في إعلاء كلمة الله ونشر الدين الإسلامي وتخليص شعوب هذه المناطق من ربقة المحتل، هذه الشعوب التي وجدت في الإسلام المخلص لها بعد أن تحجرت قلوبهم قروناً بعبادة الأصنام والأوثان فكانوا عوناً للفاتحين بعد انتهاء معارك الفتح في تثبيت كيان الدولة الإسلامية في هذه المناطق، ولقد زاد العرب المسلمين رغبة في فتح الشام والعراق ومصر ما علموه من خصوبة تلك الأراضي وكثرة خيراتها وبلادهم قاحلة لا تفي بطموحاتهم[2].

ومع تزايد أعداد المجاهدين كان لزاماً على الخليفة عمر t أن ينظم هؤلاء في معسكرات تضمن المحافظة على المكتسبات التي حققوها، فأقام القواعد الحربية الجديدة في العراق ومصر أما الشام فلم تنشأ فيه قواعد جديدة

(1) زيادة: المرجع السايق، ص 513.

(2) سالم، السيد عبد العزيز: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت (د. ت)، ص 198.

لوجود الكثير من الدور التي هجرها أصـحابها وجلواعنهـا فـراراً مـن جيـوش العرب فاستولى عليها هؤلاء وصارت لهم فأغنتهم عن البناء[1].

(1) المرجع نفسه، ص271.

المبحث الأول

الفتح الإسلامي للعراق

أولاً: العراق: الأرض والسكان:

1ـ الطبيعة الجغرافية:

أ- التسمية:

اختلف المؤرخون في أصل كلمة العراق، فمنهم من يرى: أن أصلها من عراق القربة، وهو العرق المثنى الذي في أسفلها، ولذلك سمي العراق عراقاً لأنه أسفل أرض العرب[1]، أو لأنه سفل عن نجد، ودنى من البحر فهو كعراق القربة[2]، أو لأن شاطئ دجلة والفرات كونا سداً حتى يتصل بالبحر على طوله فهو يشبه عرق القربة[3]، ومنهم من يرى: أن كلمة عراق مأخوذة من عروق الشجر، والعراق من منابت الشجر فكأنه جمع عرق[4]، وقيل: سمي العراق عراقاً لأنه مصب المياه إليه كدجلة والفرات وغيرهما من الأنهار، وهو مأخوذ من عراقي الدلو وعراقي القربة[5]،.يقال: إن أول استعمال لكلمة

---

(1) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت(د.ت)، ج4، ص93.

(2) الهمذاني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق: كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت 1996م، ص 199.

(3) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 93.

(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(5) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت(د.ت)، ج2، ص 75.

العراق ورد في العصر الكيشي (1595-1157ق.م) في وثيقة ترجع في تاريخها إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وجاء فيها اسم إقليم على هيئة أريقا الذي صار على ما يرى المسند الأصل العربي لبلاد بابل، وأوضح استعمال لمصطلح عراق بدأ ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين[1].

ب - الموقع والمناخ والسطح:

- الموقع:

يقع العراق في جنوب غرب آسيا، ويحتل القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي[2]، وناحيته مشهورة وهى من الموصل إلى عابدان[*] طولاً، ومن القادسية إلى حلوان[*] غرباً[3].

- المناخ:

مناخ العراق: صحراوي فيه الشتاء بارد ممطر، والصيف جاف وحار وليس فيه غيوم[4]، وقيل: "أن العراق أعدل أرض الله هواءً وأصحها مزاجاً وماءً"[5].

---

(1) نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، الفصل الأول، البيئة الطبيعية والإنسان، دار الجبل، بيروت 1985م، ج1، ص 14.

(2) عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، ط3، دار النهضة العربية للنشر، بيروت 1894م، ص 329.

(*) عابدان: نهر بالبصرة من جانب الفرات. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص77.

(*) حلوان: هي أخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. المصدر نفسه، ج2، ص291.

(3) القزويني، زكرياء محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت 1998م، ص 419.

(4) شربل، كمال موريس: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجبل، بيروت 1998م، ص 363.

(5) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 95.

- السطح:

تنقسم طبيعة أرض العراق إلى قسمين متميزين: قسم جنوبي وقسم شمالي.

- **القسم الجنوبي:** وهو أحدث تكويناً من القسم الشمالي، فقد كان الخليج العربي يمتد إلى مدينة بابل إبان العصر الجليدي، ثم أخذت رواسب نهري دجلة والفرات تتجمع عند مصابها خلال آلاف السنين، وتدفع مياه البحر جنوباً، فتكون من ذلك سهل رسوبي واسع تحده الهضبة الإيرانية شرقاً وصحراء العرب غرباً[1].
- **القسم الشمالي:** تغلب عليه الطبيعة الجبلية، إذ تكثر فيه المرتفعات في قسمه الشمالي الشرقي، الذي تتخلله وديان نهر دجلة وفرعه، ويفصله عن الجهات التي تقع أبعد من ذلك شمالاً سلسلة جبال طوروس وهضبة أرمينيا[2].

ج- نهري دجلة والفرات:

تعرف العراق ببلاد ما بين النهرين نهري دجلة والفرات، اللذين كان لهما دور كبير في استقطاب الهجرات إلى هذه المنطقة منذ القدم بحثاً عن المياه، فالنهران كانا بمثابة القلب النابض لأرض العراق، وسبباً من الأسباب التي جعلت أرض العراق مهداً لحضارة موغلة في القدم، فقد كانا المعلم الطبيعي البارز لأرض العراق منذ القدم.

---

(1) عصفور: المرجع السابق، ص331.
(2) المرجع نفسه، ص 329.

نهـر دجلـة: ينبـع مـن جبـال طـوروس ويبلـغ طولـه (1850 كـم)، يجري منهـا في العـراق حـوالي (1400 كـم)، قاطعـاً الـبلاد مـن الـشمال إلى الجنوب، وترفده في مجراه في العراق مجموعة من الروافـد المهمـة مـن المرتفعـات الإيرانية والعراقية، أهمها: خـابور دجلـة، والـزاب الأعلـى (650 كـم) ونهـر ديالى، وتكثر تعاريج دجلة في المناطق الوسطى والجنوبيـة، ويتفـرع منـه بـالقرب من مدينة (الكوت) نهر الغراف، وهو يصب في هور الحمّـار وبالتـالي يلتقـــي بمياه الفرات عند بلدة كرمة علي، والـتي تقـع بـين (واسـط والبـصرة) فيؤلفـان مجرى وأحداً يعـرف بـشط العـرب[1]، وقـد وصـفه القـزويني حيـث ذكـر:" أن مخرجه من جبل أمد عند حصن يعرف بحصن ذي القرنين، وهنـاك سـاقية كلمـا امتد تنبض إليها مياه جبال ديـار بكـر[*]، ثـم يمتـد إلى ميـا فـارقين[*]إلى حـصن كيفا، ثم إلى جزيرة ابن عمر[*]، ويحيط بها ثم إلى الموصل ثم إلى تكريـت ثـم إلى بغداد ثم إلى واسط ثم إلى البصرة ثم إلى عابدان ويصب إلى البحر"[2].

نهر الفرات: الفرات في أصل كلام العرب أعذب الميـاه، ومخـرج الفـرات من أرمينيا ثم من قاليقا ويدورحول الجبـال حتـى يـدخل أرض الـروم، ويجـيء

---

(1) شربل: المرجع السابق، ص 229.

(*) دياربكر: بلاد واسعة تنسب الي بكر بن وائل، وحدها مـاغرب مـن دجلـة الي بـلاد الجبـل المطل علي ناصيبين الي دجلة ومن حصن كيفا وأمد و ميا فارقين. ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص 494

(*) ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر، وقالوا: سميت بمياّ بنت لانها أول من بناها وفارقين هو الحلاف بالفارسيه يقال له: بارجين. المصدر نفسه، ج5، ص235-236.

(*) جزيرة أبن عمر: بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام ولها رسـتاق مخـصب. المـصدر نفـسه، ج2، ص 138.

(2) القزويني: المصدر السابق، ص 420.

إلىكمخ ويخرج إلى ملاطية ثم إلى سميساط، ويصب فيه أنهار صغار نحو: نهر سنجة، ونهر كيسوم، ونهر ديصان والبليخ، حتى ينتهي إلى قلعة نجم الدين(*) مقابل منبج، ثم يحادي بالس إلى دوس إلى الرقة إلى رحبة مالك ابن طوق(*)، ثم إلى عانة ثم إلى هيث، فيصير أنهاراً تسقى زروع السواد(*)، فإذا سقت الزروع وانتفع بمائها فما فضل من ذلك انصب إلى دجلة[1]، ويبلغ طوله (2330 كم) ويقدر عرضه بين بضع مئات من الأمتار، إلى عدة كيلومترات، وتعترض مجراه بعض الممرات الضيقة، وتكون ضفافه اليمنى أعلى و أشد انحدارا من الضفاف اليسرى[2]، وعند التقائه بنهر دجلة يكونان نهراً وأحداً عظيماً عرضه نحو فرسخ ثم يصب في بحر الهند[3].

(*) قلعة نجم الدين: قلعة حصينة مطلة علي الفرات بينها وبين منبج أربعة فراسح. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص391.

(*) مالك بن طوق: (توفي سنة209 هـ-873م)، مالك بن طوق عتاب الثعلبي أبو كلثوم ولي أمارة دمشق للمتوكل العباسي وبنى بمساعدة الرشيد بلدة (الرحبة) التي على الفرات. الزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربيين والمستشرقين، ط11، دار العلم للملايين، بيروت1995م، ج5، ص 276.

(*) السواد: رستاق العراق وضياعها، وحد السواد من حديثه الموصل إلي عبدان طولاً ومن العذيب إلي حلوان عرضا. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داوود البلاذري البغدادي: فتوح البلدان، تحقيق إبراهيم بيضون، ط1، دار اقرأ، بيروت1992م، ص342.

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 241.

(2) شربل: المرجع السابق، ص 406.

(3) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 242.

2ـ السكان:

أ- العرب القدامى:

الآراميون: يمثل الآراميون الموجة الثالثة من الموجات السامية من شبه الجزيرة العربية، بعد موجة الأموريين والكنعانيين، وكانوا في أول الأمر يجوبون أنحاء الجزيرة من جهة الشمال، ويتحركون إلى الشرق من ناحية العراق، وإلى الغرب من ناحية سوريا حتى بدأوا يستقرون في العراق الأوسط[1]، ويذكر البعض: "إنهم قدموا من جهة الشرق الشمالي لجزيرة العرب"[2]، وكانت هجرتهم إلى بلاد الرافدين قبل(2000 ق. م)[3].

كانت بقايا الآراميين قبل الفتح الإسلامي للعراق مستضعفة من قبل الفرس، حيث لم يكن لهم دور غير زراعة الأرض، ويتضح ذلك عندما أراد منهم الفرس محاربة المسلمين فقالوا " إنما نحن علوج[*]السواد عبيد لمن غلب"[4].

البابليون: ظلت بلاد أمور مصدر الهجرات السامية، مما حدا بالأكاديين في فترة ضعفهم أن يرحبوا بهم ويشجعوهم، حتى لا يعود العنصر السومري

---

(1) سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم،(مصر – سوريا القديمة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989م، ص 296.

(2) النجار، محمد مصطفى، وآخرون: دراسات تاريخية العرب وظهور الإسلام، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1969م، ص 38 -39.

(3) سليم: المرجع السابق، ص 298.

(*) العلج: الرجل القوي من الكفار. أبن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي التونسي: لسان العرب، دار صادر، بيروت 1992م، ج2، ص326.

(4) زكي، أحمد كمال: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار المعرفة، القاهرة 1971 م، ص 19.

إلى الطغيان[1]، واستقر هؤلاء النازحون الجدد في بابل وهي عاصمة الدولة (1710 ق. م)[2]، والتي برزت في زمن حمورابي، وظلت كذلك حتى سقطت على يد الحيثيين(1595 ق. م)[3].

ازدهرت بابل في عصر حمورابي ازدهاراً عظيماً، وظل اسمها يدوي عالياً لعدة قرون، وقد استطاع هذا الرجل أن يخلد اسمه في التاريخ، على أنه ثاني ملك عظيم من الجنس السامي بعد الملك سرجون الأكادي، ونظم حمورابي أمور دولته بفضل قوانينه التي كانت غاية في التنسيق، وروعة في الألفاظ، والتي يقول عنها بعض الباحثين: "أن هذه القوانين لا تقل رقياً عن شريعة أي دولة أوربية حديثة"[4].

لم تعمّر هذه الدولة طويلاً بعد موت حمورابي، حيث اجتاحها الحيثيون الوافدون من الشمال الغربي، فنهبوها في هجمة سريعة وعادوا بعدها إلى بلادهم، وضعفت على أثرها الدولة البابلية[5].

شكلت بقايا البابليين مع بقايا الآراميين الطبقة المستضعفة في المجتمع العراقي، قبل الفتح الإسلامي فهم يعدون عبيد الأرض المستضعفين وكانوا يعرفون بالنبطيين[6].

---

(1) عبد الستار، لبيب: تاريخ الحضارات، ط15، دار المشرق، بيروت 1999م، ص 37.
(2) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(3) الأعظمي، محمد طه محمد: حمورابي، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الآثار والتراث، الجمهورية العراقية، بغداد(د.ت)، ص 50.
(4) النجار وآخرون: المرجع السابق، ص 38-39.
(5) المرجع نفسه، ص 39 – 40.
(6) سالم، السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ العرب قبل الإسلام - مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1969 م، ج1، ص226.

ب- القبائل العربية:

وفدت على العراق عدة قبائل عربية من شبه الجزيرة العربية قبل الفتح الإسلامي، واستوطنته ومن أهم هذه القبائل: تميم، ولخم، والأزد، الذين يعرفون(بالعباد)[1]، وربيعة التي استوطنت الموصل، ومضر التي استوطنت شرقي الفرات، وبكر التي استوطنت غربي دجلة[2]، فضلاً عن طوائف من النمر وتغلب وإياد[3].

ج- الأقوام الأخرى الوافدة:

الفرس:شكل الفرس عنصراً مهماً من عناصر العراق قبل الفتح، كونهم سادة البلاد المحتلين، حيث بدأ استيطانهم للمنطقة مع غزوهم لها سنة (539ق.م)[4].

اليونان: هم بقايا اليونانيين الذين احتلوا المنطقة زمن الإسكندر الأكبر سنة (323 ق.م)، وظل جزء منهم يسكن العراق بعد زوال احتلالهم لها[5].

---

(1) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(2) النجار، وآخرون: المرجع السابق، ص 43.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص82.
(4) النجار وآخرون: المرجع السابق، ص 42.
(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ثانياً: العراق قبل الفتح الإسلامي:

1ـ الاحتلال الساساني للعراق:

على الرغم من هيمنة الإمبراطورية الفارسية لفترة طويلة من الزمن على العراق، إلا أن الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي شهدت تراجعاً في تسلط الفرس على البلاد، نتيجة الضعف والهوان الذي أصاب الإمبراطورية الساسانية، بسبب الصراع على السلطة، وتولي ملوك ضعاف لم يقدروا على استعادة هيبة الإمبراطورية، فضلاً على ذلك بروز الاختلافات المذهبية والدينية[1].

هذه الظروف أثرت تأثيراً مباشراً على الأوضاع في العراق، وأحدثت بعض المتغيرات من أهمها:

أ. ضعف استحكامات الفرس الدفاعية على الحدود[2].

ب. استغلال بعض القبائل العربية في العراق، حالة الضعف التي تمر بها الإمبراطورية الساسانية بمهاجمتها ومحاولة التخلص منها[3].

ج. تردى الأوضاع الاقتصادية، حيث أدى فيضان الفرات ودجلة سنة (7هـ- 628 م) إلى إفساد مساحات كبيرة كانت صالحة للزراعة، وتحولت إلى بطائح ومساحات واسعة من الماء الراكد من جنوب الكوفة إلى حدود الأُبُلّة، وبالتالي خسر النشاط الزراعي خسارة

---

(1) زيادة: المرجع السابق، ص 451.

(2) قاسم، عون الشريف: شعر البصرة في العصر الأموي، ط2، الخرطوم 1991م، ص 14.

(3) زيادة: المرجع السابق، ص 451.

دائمـة، والـسبب هـو تهـاون الفـرس وعـدم قـدرتهم علـى سـد الثغرات[1].

2ـ علاقة القبائل العربية بدولة الاحتلال:

أ - مملكة الحيرة:

أسسها اللخميون وهم من القبائل العربية اليمنيـة، رحـل قـسم مـنهم في القرنيين السابقين للهجرة إلى شمال الجزيرة، ثم إلى سـورية وفلـسطين ومـا بـين النهرين، حيث أنشأوا مملكة لخـم وعاصـمتها الحـيرة، وسـيطروا علـى العـرب وحكموا الصحراء السورية العراقية[2]، وكانت علاقـتهم بـالفرس أنهـم كـانوا عمالاً لهم حاميين لحدود كيانهم الغربي من خطر الغساسنة، الذين كانوا عمـالاً للروم المحتلين لبلاد الشام، وهذا ما جعلهم في حالة حرب دائمة مع الغـساسنة، الذين تمكنوا من الاستيلاء على الحيرة وتدميرها زمن المنـذر (ملـك الغـساسنة) حوالي (575م)، غير أن اللخميين تمكنوا من استعادة كيانهم في زمـن النعمـان الثالث (580 – 602 م)، الذي كان كارهـاً لتبعيـة الفـرس، ممـا دفـع بكـسرى الثاني إلى استدراجه إلى المدائن[*]عاصمة الفرس وعزله ثم قتله، مما ولّـد غـضباً عربيـاً نـتج عنـه انتفاضـة بعـض القبائـل العربيـة في العـراق ضـد الاحـتلال الفارسي[3].

---

(1) جعيط، هشام: الكوفة نشأت المدينة العربية الإسلامية الحديثة، ط2، دار الطليعة للطباعـة والنشر، بيروت 1993م، ص 16.

(2) عبودي، هنري: معجم الحضارات السامية، ط2، طرابلس – لبنان 1991 م، ص 743.

(*) المدائن: سبع مدن عرفت بمدائن كسرى. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 515.

(3) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمـة نبيـه أمـين وآخـرون، ط5، دار العلـم للملايين، بيروت 1968م، ص 24.

ب - موقعة ذي قار:

ولّد موت النعمان في سجون كسرى غضب القبائل العربية في العـراق، التي بدأت تستعد لمواجهة مصيرية مع الفرس، وقد كان لطلب كسرى بأن تسلم إليه تركة النعمان من أموال وسلاح، والتي أودعها النعمان عند هاني ابن هاني بن مسعود الشيباني، الذي رفض تسليمها إلى كسرى، دور في تقريب المواجهة المصيرية بين الطرفين[1]، حيث غضب كسرى من امتناع هاني من تسليم الودائع، وأعلن الحرب فسيّر جيشاً من الفرس مدعماً بالأفيال، انضم إليهم إياس بن قبيصة الطائي الذي ملكّه كسرى على الحيرة بعد النعمان[2]، وعند سماع هانئ بأمر هذا الجيش، قام بتوزيع أسلحة النعمان على قبيلته بني بكر، وبني شيبان وبني عجل، استعداداً للمواجهة والتقى الجيشان في ذي قار[3]، وعند بداية المعركة عدلت إياد عن موقفها المساند للفرس، وانضمت لقوة القبائل العربية، لأن المعركة أصبحت معركة مصير العرب جميعاً، حيث لن يقوم للعرب إذا انهزموا بعدها قائمة[4]، ولحقت الهزيمة بالفرس، وفروا منهزمين إلى بطائح ذي قار في حر الظهيرة، فهلكوا قتلاً وعطشاً[5]، وقد اختلف في زمن هذه الوقعة، فقيل: إنها كانت في عام البعثة، وقيل: كانت عام بدر[6]، وقيل: في السنة الثانية للبعثة[7].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 267.
(2) النجار وآخرون: المرجع السابق، ص 72.
(3) سالم: المرجع السابق، ج1، ص256 -257.
(4) المرجع نفسه، ص 258.
(5) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص58.
(6) النجار وآخرون: المرجع السابق، ص 72.
(7) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 268.

ثالثاً: الفتح الإسلامي للعراق:

1ـ قبيلة بني شيبان - المثنى بن حارثة (*):

واصلت قبيلة بني شيبان ومعها بعض القبائل العربية، يتجرأون على الدولة الساسانية منذ أن انتصروا على الفرس يوم ذي قار(1)، حيث تذكر الرواية التاريخية: أن المثنى بن حارثة الشيباني كان يغير على السواد في رجال من قومه، وكانت أخبار غاراته على الفرس وانتصاراته عليهم في هذا الإقليم تصل إلى الخليفة أبي بكر t في المدينة، فسأل عنه فقال له قيس بن عاصم ابن سنان المنقري(*): "هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد هذا المثنى بن حارثة الشيباني"(2).

وفي هذه الأثناء كتب المثنى إلى الخليفة أبي بكر t يعلمه ضراوته بفارس وعرفه وهنهم، ويسأله أن يمده بجيش(3)، وبينما كان الخليفة يفكر في

(*) المثنى بن حارثة الشيباني (توفي سنة: 14هـ- 635م) هو المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: صحابي فاتح من كبار القادة أسلم سنة (9هـ) وغزا بلاد فارس في أيام أبي بكر. الزر كلي: المصدر السابق، ج5، ص 276.

(1) سالم، السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة(د. ت)، ص 230.

(*) قيس بن عاصم: (توفي سنة:20هـ - 640م) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي أبو علي: أحد أمراء العرب كان شاعرا وهو ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، وفد على النبي r في وفد تميم سنة (9هـ) فأسلم وقال النبي r لما رآه: (هذا سيد أهل الوبر) وأستعمله علي صدقات قومه. الزركلي: المصدر السابق، ج5، ص 206.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 342.

(3) الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت(د.ت)، ج2، ص 221.

هذا الأمر، قدم عليه المثنى بن حارثة الذي قال له: "يا خليفة رسول الله استعملني على من أسلم من قومي أقاتل الأعاجم من أهل فارس" فكتب له الخليفة أبو بكر t في ذلك عهداً فسار حتى نزل خافان(*)، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا[1]، وبدون تردد كتب أبو بكر t إلى خالد في اليمامة بالسير إلى العراق[2].

2ـ إرسال خالد بن الوليد وتحرير بعض المدن:

اختلف المؤرخون في خروج خالد إلى العراق فهناك من يقول: رجع من اليمامة فقدم المدينة ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة[3]، وهناك من يقول: أن الخليفة أبا بكر t استدعاه من وادي الوبر باليمامة في المحرم سنة(12 هـ -633 م)، فحضر على عجل[4].

ومهما يكن الأمر من خروج خالد بن الوليد إلى العراق من اليمامة أو من المدينة، فإن الخليفة أعطاه الأمر بالخروج إلى العراق فاتحاً: "أن سر إلى

(*) خافان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً قيل: هو فوق القادسية وهما قريتان من قرى السواد. ياقوت: المصدر السابق، ج 2، ص 379.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 342.

(2) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت(د. ت)، ج2، ص 238.

(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2001 م، ج 2، ص 307.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 343.

العراق حتى تدخلها، وابدأ بفرج الهند، وهي الأُبُلّة، وتألف أهـل فـارس ومـن كان في ملكهم من الأمم[1].

وهناك عدة أسباب دعت الخليفة أبا بكر t لإرسال حملة خالد أهمها:

- دافع الجهاد ونشر الدين الإسلامي.
- استمرار أطماع الفرس واحتلالهم لمعظم أطراف شبه الجزيرة العربية[2].
- استجابة لنداء بعض القبائل العربية التي كانت خاضعة للفرس ثم انقلبوا عليهم[3].
- العامل الاقتصادي: حيث وفرة خيرات العراق وكثرة سهوله الخصبة على نهري دجلة والفرات، والتي كانت تجذب البدو دائما إليها من داخل الجزيرة حتى أنهم سموها السواد لكثرة زروعها[4].

على الرغم من أن العامل الاقتصادي زاد من إصرار المسلمين على إزالة الدولة الساسنية من العراق، إلا أنه يمكن القول على ما يرى الدارس أن العامل الديني ونشر الدين الإسلامي هو السبب المباشر في تحرير العراق من الاحتلال الساساني.

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص307.
(2) الماجد، عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية، عصور - الجاهلية، النبوة، الخلفاء الراشدين –، ط5، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1975 م، ص 169.
(3) سالم، السيد عبد العزيز: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت(د. ت)، ص 244.
(4) الماجد: المرجع السابق، ص 169.

وقيل: أن خالداً بدأ بالسواد وهي بانقيا(*)وباروسما(*) والليس(*)[1]، فصالح أهلها، والذي صالحه ابن صلوبا الذي كان عليها، وقبل خالد الجزية، وكتب إلى أهلها كتاباً فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم: من خالد بن الوليد إلى ابن صلوبا السوادي، إنك آمن بأمان الله، - إذ حقن دمه بإعطاء الجزية - وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتك -بانقيا وباروسما-، ألف درهم فقبلتها منك ورضي من معي من المسلمين بها منك، ولك ذمة الله وذمة محمد r وذمة المسلمين على ذلك"[2]، ويُذكر: إنه عندما طلب من خالد السير إلى أرض العراق سار معه المثنى بن حارثة حتى صارا إلى بانقيا فافتتحها وسبي من فيها[3]، وهذا ينافي ما ذكره معظم المؤرخين وما جاء في المصادر التاريخية: على أن خالداً صالح أهلها.

(*) بانيقيا: ناحية من نواحي الكوفة، ذكرها في الفتوح، وفي أخبار إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ذكر: "إنه يحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد"، فاليهود تنقل موتاها إلى هذا المكان لهذا السبب. ياقوت: المصدرالسابق، ج 1، ص، 331.

(*) باروسما: ناحيتان من سواد بغداد يقال: لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الأستان الأوسط. المصدر نفسه، ص 320.

(*) الليس: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أرض العراق من ناحية البداية. المصدرنفسه، ص 248.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 485.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 307.

(3) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي: تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1999م، ج 1، ص 89.

أـ فتح الحيرة:

قبل فتح الحيرة كان خالد قد سار ناحية الأُبُلّة- كما سيأتي في الفصل الثاني من هذا البحث-، سار خالد من أمغيشيا(*) إلى الحيرة وحمل الرجال والأثقال في السفن وخرج إليه الأزادبة(*) صاحبها وبعث ابنه لقطع ماء الفرات، ولم يشعر المسلمون إلا والسفن على التراب، وتوجه خالد وجيشه راكباً الخيل إلى ابن الأزادبة فقتله على فرات بادقلي(*)[1]، ثم توجه خالد بعد ذلك قاصداً الأزادبة في الحيرة، فهرب من غير قتال بعد سماعه بمقتل أردشير ومقتل ابنه، ونزل المسلمون عند الغربيين(*)، وتحصن أهل الحيرة فحاصروهم في قصورهم[2].

بعد هروب الأزادبة تحصن سكان الحيرة بأسوار المدينة واستعدوا لمواجهة المسلمين، وخرج أصحاب القصور وأجلاهم المسلمون يوماً وليلة ورفض سكان الحيرة الخروج لهذا قاتلهم المسلمون حتى خرج القسيسون

(*) أمغيشيا: كانت مصراً كالحيرة وكان فرات بادقلي ينتهي إليها، وكانت أُلّيس من مصالحها، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 2، ص 315.

(*) الأزادبة: وهو مرزبان الحيرة. المصدرنفسه، ص 242.

(*) فرات بادقلي: الكلمة أصلها بودقلي بالواو ومعناه بالفارسية متفرع ويكون المعنى عند تفرع الفرات. المصدر نفسه، ص 242.

(1) زيادة: المرجع السابق، ص 465.

(*) الغربيين: الغربان: بناء كالصومعتين كان بظهر الكوفة. ابن الأثير: المصدر السابق، ج 2، ص 242.

(2) المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

والرهبان ينادون:" يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم"[1]، فنادى أصحاب القصور: " يا معشر العرب قد أجبناكم إلى واحدة من ثلاث فكفوا عنا "، وخرج رؤساء القصور إلى خالد فخلى بأهل كل قصر على حدة ولامهم قائلاً: "ويحكم ما أنتم! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أو عجم ؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل !"، ثم قال: "اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة و المناجزة، فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة"[2].

لقد كان هذا الكلام ينبع من خلق الإسلام ومدرسة رسول الله r ، عرف عرب العراق بماهية الإسلام منذ الوهلة الأولى، حيث كان له وقع عظيم في آذان سكان الحيرة الذين اختاروا الصلح، فصالحهم خالد على مائة أو مائتين وتسعين ألفاً وكتب لهم بالصلح، وذلك في أول سنة اثنتي عشرة للهجرة[3]، وقيل: صالحهم على سبعين ألفاً عن رؤوسهم وقيل: مائة ألف درهم[4]، وأهدوه هدايا ثمينة، فبعث بها إلى أبي بكر t ، فأجاز المعاهدة وقبل الهدايا لكنه احتسبها من الجزية، وكتب ذلك إلى خالد، وكان فتح الحيرة في ربيع الأول سنة(12 هـ - 622 م)[5].

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 317.
(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 287.
(4) اليعقوبي، المصدر السابق، ج 1، ص 89.
(5) زيادة، محمود محمد: تاريخ العالم الإسلامي - تاريخ الخلفاء الراشدين - دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة 1971 م، ج2، ص84.

يعد فتح الحيرة عملاً حربياً كبيراً زاد من أمل المسلمين في فتح باقي أرض العراق، حيث اتخذها المسلمون ملتقى لجيوشهم ومركزاً أساسياً لتنظيم وتدبير شئون المناطق التي سيطروا عليها، فقد بقي فيها المسلمون سنة لإعداد العدة التي ستقضي على شوكة دولة الفرس المهزوزة.

ب ـ فتح ما وراء الحيرة:

أراد خالد تأمين فتح الحيرة بفتح ثغور ما وراء الحيرة، وصالح الدهاقين(*)، مما يلي الحيرة من الفلاليج(*)وغيرها على ألف ألف وقيل: ألفي ألف سوى جباية كسرى، وأرسل خالد أصحابه من أمراء الثغور فنزلوا على السيب(*)، وفتحوا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة[1]، وكتب خالد إلى ملوك الفرس والذين كانوا مختلفين بموت أردشير، فخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال، فاختاروا القتال، على الرغم من تمزق جبهتهم الداخلية، فهزمهم المسلمون، وتمكنوا من إزالتهم فيما بين الحيرة ودجلة[2].

(*) الدهاقين: كلمة فارسية معناها رئيس الإقليم. البلاذري: المصدر السابق، ص 355.

(*) الفلاليج: بالفتح قال الليث: فلاليج السواد قراها إحداها فلوجة. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 270.

(*) السيب: أصله مجرى الماء كالنهر، وهو كورة من سواد الكوفة. المصدر نفسه، ج 3، ص293.

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 2، ص 244.

(2) المصدرنفسه، والصفحة نفسها.

ج- فتح الأنبار(*):

بعد أن أمّن خالد الحيرة بترك حامية عليها بقيادة القعقاع ابن عمرو(*) سار نحو الأنبار ومعه الأقرع بن حابس[1]، وكان على الأنبار رجل يدعى شيرزاد فحاصرها المسلمون ورشقوا سكانها بالنبل حتى فقأوا منهم ألف عين[2]، وعرفت هذه المعركة في المصادر التاريخية بمعركة ذات العيون لكثرة ما ذهبت فيها من عيون أهل الأنبار[3]، وكان سكان الأنبار قد حفروا خندقاً حولها، ففكر خالد في عبور هذا الخندق، فذبح الضعيف من الإبل ووضعها في الخندق وسار المسلمون فوقها، وعندما رأى شيرزاد ذلك طلب من خالد الأمان، واستجاب للصلح على الشروط التي وضعها خالد، ووفى

(*) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت تسميتها فيروز سابور، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثم جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، وبنى بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 257.

(*) القعقاع بن عمرو التميمي: روي عنه أنه قال: شهدت وفاة النبي r، وله أثر عظيم في قتال الفرس في القادسية وغيرها، وكان من أشجع الناس وأعظمهم بلاءً، شهد مع علي موقعة الجمل وغيرها من حروبه، وأرسله علي t إلى طلحة والزبير فكلمهما بكلام حسن تقارب به الناس إلى الصلح، وسكن الكوفة، وهو الذي قال أبو بكر الصديق t عنه: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وآخرون، قدمه وقرطه محمد عبد المنعم البري وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1994 م، ج 4، ص 387.

(1) شمس الدين، إبراهيم: مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2002 م، ص247.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 81.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 245.

له خالد بذلك وخرج شيرزاد من الأنبار وتسلمها خالد واستخلف عليها الزبرقان بن بدر[*][1].

د ـ موقعة عين التمر[*]:

لما انتهى خالد من أمر الأنبار سار بجيشه قاصداً عين التمر التي جمع بها مهران بن مهران جموعاً من الفرس وبعضاً من فلول القبائل العربية مثل: إياد والنمر وتغلب وعليهم عقبة بن أبي عقبة الذي قال لمهران: "أن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالد"، فقدمه مهران وجمعه من العرب لمواجهة خالد[2]، وعند وصول خالد بادر بمهاجمة عقبة وهو ينظم صفوفه فأسره وأسر من معه، وبهذا انتصر المسلمون من غير قتال، وعند سماع مهران بهزيمة عقبة هرب مع جنده وتركوا حصن عين التمر، وعند رجوع المنهزمين إلى الحصن تحصنوا به وحاصرهم خالد حتى نزلوا على حكم خالد الذي قتل عقبة ثم قتلهم أجمعين وغنم ما في الحصن[3].

(*) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي: (توفي سنة:45هـ 665م) صحابي من رؤساء قومه قيل: اسمه الحصين ولقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسن وجهه، ولاه رسول الله r صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره، وتوفي أيام معاوية. الزركلي: المصدر السابق، ج 3، ص 41.

(1) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثيرالدمشقي: البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت(د.ت)، ج 6، ص 349.

(*) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له: شفاثا، منها يجلب القصب والتمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً وهي على طرف البرية وهي قديمة. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 176.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج 6، ص 349.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 246.

3ـ عمليات ما قبل القادسية:

أ- قيادة المثنى بن حارثة لجيش المسلمين:

لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا الخليفة أبا بكر t فكتب إلى خالد في العراق بالسير إلى الشام في نصف الناس، وترك النصف الآخر إلى المثنى، وبهذا تولى المثنى قيادة جيوش المسلمين في العراق، وقد كانت هذه المهمة صعبة على المثنى وبخاصة أن الفرس قد استقام أمرهم وملّكوا عليهم شهريرار ابن شيرين بن شهريار وذلك سنة ثلاثة عشر للهجرة[1]، والذي أرسل إلى الحيرة هرمز ومعه جمع عظيم يقدر بعشرة آلاف ومعهم فيل، فخرج إليهم المثنى من الحيرة إلى بابل والتقى الجيشان وتمكن المثنى من قتل الفيل الذي كان يرهب المسلمين ويشتت شملهم ثم انتصر المسلمون وطاردوا الفارين منهم إلى أبواب المدائن[2]، ولم يتقدم المسلمون لفتح المدائن لقناعة المثنى بأن فتحها يحتاج إلى قوة أكبر ولهذا طلب من أبي بكر t قوة إضافية قادرة على مواصلة الفتوحات والمحافظة على المناطق المفتوحة، ولما تأخر رد الخليفة خرج المثنى إلى المدينة بعد أن استخلف على الناس بشير ابن الخصاصية[*] فوجد أبا بكر t مريضاً وقد عهد إلى عمر t وأوصاه أن يندب الناس مع المثنى[3]، وفي جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة توفي

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 87.

(2) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الراشدة)، ص 498.

(*) بشير بن الخصاصية: بشير بن يزيد بن معبد بن ضباب بن سبع. أبن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص396.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 87.

الخليفة أبو بكر t [1]، وتولى عمر t الخلافة وندب الناس مع المثنى وولى أبا عبيد الثقفي[*] ومعه سليط بن قيس[*]، وسعد بن عبيد الأنصاري مع المثنى، وعند وصولهم كان الفرس قد استعدوا لمهاجمة المسلمين، وكان المثنى قد وصل الحيرة قبل أبي عبيد ثم خرج منها حتى لا يؤتى من خلفه، وكان على الفرس جابان الذي نزل النمارق[*]، ومع وصول أبي عبيد وجيشه دارت المعركة في النمارق وفيها تمكن المسلمون من الفرس وأسر قائدهم جابان ثم أطلق[2]، وبعد فرار الفرس من النمارق تبعهم أبو عبيد إلى كسكر[*] وفيها تمكن

---

(1) الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم، بيروت(د. ت)، ج 1، ص 36.

(*) أبو عبيد الثقفي:(توفي سنة:13هـ - 634 م) أبو عبيد بن مسعود الثقفي: قائد من الشجعان أمره عمر على الجيش الذي سيره إلى العراق، وهو أول جيش سيره عمر. الزركلي: المصدر السابق، ط7، دار العلم للملايين، بيروت1986م، ج 4، ص 190.

(*) سليط بن قيس: ابن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي ابن النجار، وأمه زغيبة بنت زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار، شهد سليط بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله r وقتل يوم جسر أبي عبيد شهيداً سنة أربع عشرة وليس له عقب.ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري: الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة، بيروت1980 م، ج 3، ص512.

(*) النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق. ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص 328.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 88.

(*) كسكر: وقصبتها اليوم واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة، وكانت قصبتها قبل أن يمصر الحجاج واسطاً خسروسابور، ويقال: إن حد كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقى النهروان إلى أن تصب دجلة في البحر كله من كسكر، فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 46.

المسلمون من هزيمة الفرس وهرب قائدهم نرسي، وأخذ المسلمون خزائنه، وخربوا ما كان بجوار معسكرهم، وقسم أبو عبيد الغنائم بين المسلمين، وأطعم الفلاحين وأرسل بالخمس إلى الخليفة عمر[1].

ب- موقعة الجسر[*] :

يقال لها: وقعة القس الناطف[*]، ويقال لها أيضاً: المروحة[*]، وقعت سنة(14هـ- 635م)[2]، وذلك أنه لما رجع الجالينوس إلى رستم بعث ببهمن جادويه ذا الحاجب إلى الحيرة ومعه فيل ضخم، ورد الجالينوس معه وجلب معه(دوفش كابيان) راية كسرى، وكانت من جلود النمر عرضها ثمانية أذرع وطولها اثني عشر ذراعاً[3]، ونزل الفرس قس الناطف ونزل المسلمون المروحة، وبينهما الفرات فعقد أبو عبيد الجسر، وأعانه على عقده أهل بانقيا[4].

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 365.

(*) الجسر: كان قديماً لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد وذلك لأنه كان معتلاً مقطوعاً. البلاذري: المصدر السابق، ص 355

(*) قس الناطف: موقع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 349.

(*) المروحة: موضع بشاطئ الفرات الغربي. المصدر نفسه، ص 349.

(2) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: كتاب العبر في خبر من عبر، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د.م) 1997 م، ج 1، ص 23.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 366.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 286.

- **عبور المسلمين الجسر:**

يذكر: أن الفرس أرسلوا إلى المسلمين:" إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم " فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد:" فليعبروا هم إلينا " فقال:" ما هم بأجرأ على الموت منا"، ثم اقتحم إليهم، واجتمعوا في مكان ضيق هنالك[1]، على الرغم من نصيحة سليط والمثنى وغيرهما من المسلمين لأبي عبيد بعدم العبور، والإشارة عليه بعبور الفرس إلا أنه رفض وأصر على رأيه، وهذا يوضح اندفاع أبي عبيد وإصراره على رأيه وعدم الاكتراث بنصيحة المثنى الذي يفوقه خبرة في قتال الفرس[2]، وبما أن أبا عبيد هو القائد الأعلى للجيش وافقه أصحابه على رأيه وقرروا العبور.

- **أحداث المعركة:**

دارت المعركة ونفرت خيول المسلمين من الفيلة، حيث يُذكر: أنه كان مع الفرس عدة فيلة وليس فيل واحد[3]، ولم يستطع المسلمون التقدم ناحية الفرس لذعر خيولهم من الفيلة، ورشق الفرس لهم بالنبل، فرجحت كفّة الفرس على المسلمين في هذه المعركة التي اقتتل فيها الطرفان قتالاً شديداً، وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة، فقتلوها على آخرها، وعندما أراد أبو عبيد قتل أعظمها وهو فيل ضخم أبيض، حمل عليه الفيل بعد أن قطع دلومه فتخبطه برجليه فقتله[4].

(1) ابن كثير: المصدر السابق، ج 7 ص 27 – 28.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 286.
(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 355.
(4) ابن كثير: المصدر السابق، ج 7، ص 28.

- **نتيجة المعركة:**

هُزم المسلمون واضطربوا لفقدهم أبي عبيد، وتتابع سبعة من ثقيف يأخذون اللواء بعد أبي عبيد حسبما عينهم قبل استشهاده، فاستشهدوا جميعاً، وتولى المثنى القيادة حسب الوصية فتراجع بالمسلمين إلى الجسر[1]، ويذكر: أن الموقف زاد تأزماً بعد أن قطع المثنى الجسر، فرمى عدد كبير من المسلمين أنفسهم في النهر حتى قيل: أن عدد الذين ماتوا في هذه المعركة أغلبهم مات غريقاً في النهر[2]، ويقال: أن الذي قطع الجسر هو عبد الله بن مرثد الثقفي[3]، ومات من المسلمين في هذه المعركة أربعة آلاف قتلى وغرقى، وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف، وهلك من الفرس ستة آلاف[4].

تعد هذه الهزيمة الأولى للمسلمين، ويرجع سبب الهزيمة إلى أمرين:

- مخالفة أبي عبيد سليطاً، وقد كان عمر t أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه، وكان رأي سليط ألا يعبر الجسر حتى يعبروا إليه[5]، وكذلك كان رأي المثنى وعدد من المسلمين على رأي سليط.
- التسرع في قطع الجسر، لأن من قطعه كان يظن أن قطعه سيمنع المسلمين من التراجع، ويمنع الفرس من تتبع المسلمين، إلا أنه في حقيقة الأمر قطع خط الرجعة على المسلمين مما زاد من حجم الخسارة[6].

---

(1) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي - تاريخ الخلفاء الراشدين - ج 2، ص 124.
(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 89.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 368.
(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 89.
(5) المسعودي: المصدر السابق، ج 2، ص 338.
(6) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام، السيرة النبوية، الخلافة الرشيدة)، ص 519.

لقد أثرت هذه الهزيمة في المسلمين، حيث لم يبق من المسلمين إلا عدد قليل لا يستطيعون مواصلة الفتح أو حتى الدفاع عن المناطق المفتوحة، ومن كرم الله سبحانه على المسلمين بعد هذه الهزيمة، هو أن بهمن كان يريد العبور خلف المسلمين ولكن أتاه خبر يعلمه بأن الفرس ثاروا على رستم فرجع إلى المدائن[1].

ج-وقعة النخيلة[*] (البويب[*])(14هـ - 635م)[2]:

كان ليوم الجسر وقع سيء في نفوس المسلمين فخاف الخليفة عمر t أن تضيع أملاك المسلمين وفتوحاتهم في أول عصره، فسارع بندب الناس إلى المثنى وجعل عليهم جرير بن عبد الله البجلي[*] [3]، وبعث المثنى بعد الجسر إلى من يليه من الممدين فتوافد عليه جمع عظيم، حتى أن نصارى النمر جاءوه وعليهم أنس بن هلال وقالوا نقاتل مع قومنا[4]، واجتمع جرير و قواته مع المثنى ومن

(1) شمس الدين: المرجع السابق، ص 264.

(*) النخيلة: موضع قرب الكوفة علي سمت الشام. ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص278.

(*) البويب: نهر بموضع الكوفة، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات، مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة، ومصبه في الجوف العتيق، وكان مغيضاً للفرات أيام المدود ليزيدوا به الجوف تحصيناً، وقد فعلوا ذلك الجوف حتى كانت السفن البحرية ترفأ إلى الجوف. المصدر نفسه، ج 1، ص 512.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 357.

(*) جرير بن عبد الله بن جابر: هو الشليل بن سالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف ابن حزيمة بن حرب، أبو عمرو وقيل: أبو عبد الله البجلي، أسلم بعد وفاة الرسول r بأربعين يوماً. ابن الأثير: أسد الغابة، ج 2، ص 529.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 356.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 89.

معه في العذيب[*]، وصارا يغيران على أرض السواد، وعندما سمعت ملكة الفرس بوران بخبر هذه الغارات أُعدت حملة مؤلفة من اثني عشر ألف فارس وعليهم مهران بن مهرويه[1]، والتقى الجيشان عند البويب بينهما الفرات، فقال الفرس للمسلمين: "إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم"، فقال المسلمون: "بل اعبروا إلينا"[2]، فمن البديهي أن يطلب المسلمون من الفرس العبور حتى لا يتكرر الخطأ الذي وقعوا فيه يوم الجسر، فأقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجلهم أمام فيلهم[3].

- أحداث المعركة:

عبر الفرس الجسر واشتد القتال، وكانت الحرب في هذه الموقعة أشد ما صادفه المسلمون لكثرة عدوهم، ودارت الدائرة على الفرس، وقتل مهران، قتله المثنى وأنس بن هلال النمري، حيث طلب المثنى من أنس أن يحملا معاً على مهران، قال له: "إنك امرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا، فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي"[4]، وقطع المثنى الجسر حتى لا يفر الفرس بعدما شعر بتقهقرهم بعد مقتل مهران، فلم يتمكنوا من العبور فتشتتوا في

(*) العذيب: تصغير العذب وهو الماء الطيب وهو ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل: هو وادي لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل: هو حد السواد. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 92.

(1) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ص 237.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج 7، ص 29.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 289.

(4) المصدر نفسه، ص 290.

البلاد بعد أن أوقع المسلمون بهم القتل[1]، واصل المسلمون مطاردة الفرس على شاطئ الفرات وأحدثوا فيهم مذبحة كبيرة، يقدر البعض عدد قتلى الفرس نحو مائة ألف، فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمة منها، بقيت عظام القتلى دهراً طويلاً[2].

- **نتيجة المعركة:**

كانت موقعة البويب من المواقع الكبرى في تاريخنا الإسلامي حيث انتهى آخر أمل للفرس في السيطرة على العراق، وتراجعت فلولهم إلى المدائن، وأوقعت هذه المعركة الخوف في قلوبهم، ورجعت هيبة المسلمين والعرب، وأصبحوا بعدها يتحركون فيما بين دجلة والفرات لا يقف في وجههم محارب، حتى أنهم تمكنوا من الاقتراب من المدائن، واستولوا على بغداد- وكانت آنذاك قرية صغيرة - وتكريت[3].

---

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام، السيرة النبوية، الخلافة الرشيدة)، ص 519.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 290.

(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام، السيرة النبوية، الخلافة الرشيدة)، ص 519.

4 ـ موقعة القادسية(*) المعركة الفاصلة (15 هـ ـ 636 م)[1]:

لما رأى الفرس ما هم عليه من الضعف والمهانة، وبروز المسلمين عليهم، اجتمعوا على إنهاء الخلافات الداخلية بين رستم والفيزران، فطلبوا منهما توحيد جهودهما ضد المسلمين من أجل إعادة السيطرة الفارسية على العراق، وجاءوا بابن كسرى يزدجرد، وهو ابن عشرين سنة فملكوه عليهم، فضبط أمورهم وقوي أمر الفرس وأخرجوا المسلمين من المروج فارتد أهل السواد[2]، مما أجبر المثنى على الجلاء عن الحيرة والتقهقر إلى الأطراف، وكتب إلى الخليفة عمر t يعلمه بما جد في بلاد فارس، والأخطار الفجائية التي حاقت بالفتوحات الإسلامية في العراق[3]، وعند وصول كتاب المثنى إلى الخليفة عمر t قال: " والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب"، فدعا عمر t المسلمين إلى الخروج إلى العراق، وأراد الخروج بنفسه فخرج من المدينة واستخلف عليها علياً t حتى وصل إلى صرار(*)، وعسكر بها فاستشار أهل

(*) القادسية: بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، قيل: سميت القادسية بقاس هراة، وقال المدايني: كانت القادسية تسمى قديسا، وروى ابن عيينة قال: مر إبراهيم u بالقادسية فرأى زهرتها، ووجد هناك عجوز فغسلت رأسه، فقال قدست من أرض، فسميت القادسية. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 291.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 359.

(2) اليعقوبي: المصدر السابق، ج 1، ص 98.

(3) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين –ج 2، ص 126.

(*) صرار: موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. ياقوت: المصدر السابق، ج3، ص 398.

الرأي من المسلمين، فأشاروا عليه بالبقاء وإرسال سعد بن أبي وقاص(*)، وكان على صدقات هوازن، فأحضره وولاه حرب العراق[1]، ووصاه فقال: "لا يغرنك من الله إن قيل: خال رسول الله r ، وصاحب رسول الله r ، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم و وضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله r يلزمه فالزمه"، ووصاه بالصبر[2].

أ- خروج سعد:

خرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف[3]، وأقام بالثعلبية(*) ثلاثة أشهر حتى تلاحق به الناس، ثم قدم العذيب سنة

(*) سعد بن أبي وقاص (23ق. هـ - 55 هـ= 600- 675م): سعد بن أبي وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق: الصحابي الأمير، أحد الستة الذين عينهم عمر في الخلافة وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال: له فارس الإسلام وهو ابن 17 سنة وشهد بدراً، تولى إمارة الكوفة زمن عمر وأقره عليها زمناً ثم عزله فعاد للمدينة ومات في قصره بالعقيق (على عشر أميال من المدينة) وحمل إليها. الزر كلي: المصدر السابق، ط11، ج3، ص 87.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 91.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 300.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 383.

(*) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل خزيمة. ياقوت: المصدر السابق، ج 2، ص 78.

(15هـ - 636 م)، وكان المثنى بن حارثة مريضاً، فأوصى إليه بأن يحارب العدو بين القادسية و العذيب[1]، ومات المثنى قبل أن يلتقي به سعد[2].

ب -نزول سعد القادسية:

نزل سعد القادسية، وبعث سراياه وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس، والسرايا تأتي بالغنائم من كل مكان، فخرجت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد يشكون ما يتعرضون له من نهب وسلب على يد المسلمين، وقالوا له: "إن لم تنجدونا و إلا أعطينا كل ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون"[3].

ج- تحرك قوات الفرس:

جهز يزدجرد جيشاً ضخماً بقيادة رستم بلغ عدده مائة وعشرون ألفاً، ومعهم ثلاثون فيلاً، ثم سار وأقام بين الحيرة والسيلحين[*] أربعة أشهر لا يقاتل المسلمين، والمسلمون معسكرون بين العذيب والقادسية[4].

د-المفاوضات بين الطرفين:

دارت بين الفريقين العديد من المفاوضات والمراسلات، حيث أوفد سعد إلى الفرس يخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو السيف، فقد كان المسلمون دائماً يخيرون عدوهم تجنباً لإزهاق الأنفس، ومن أجل السلام، ولا يُفهم من ذلك

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 359.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 92.

(3) ابن كثير: المصدر السابق، ج 7، ص 37 -38.

(*) السيلحين: قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية. ياقوت: المصدر السابق، ج 3، ص298.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 359.

جبن المسلمين وتراجعهم خوفاً من ضـخامة جـيش الفـرس[1]، بـل كـانوا هـم الذين يرهبون الأعداء و يتضح ذلك جلياً عندما أرسـل رسـتم إلى سـعد يـسأله توجيه بعض أصحابه إليه، فوجه إليه المغـيرة بـن شـعبة[*]، فـدار كـلام بينهمـا، وقال له رستم: " قد علمت أنه لم يحملكم على مـا أنـتم عليـه إلا ضـيق المعـاش وشدة الجهد، ونحن نعطيكم ما تتشبعون به ونصرفكم ببعض مـا تحبـون"، فقـال المغيرة:" إن الله بعث إلينـا نبيـه r فـسعدنا بإجابتـه واتباعـه وأمرنـا بجهـاد مـن خالف ديننا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ونحـن نـدعوك إلى عبـادة الله وحده والإيمان بنبيه r فإن فعلت، و إلا فالسيف بيننا وبينكم"[2].

هـ بداية المعركة:

قبل بداية المعركة خطب سـعد بـن أبـي وقـاص في المـسلمين فـرغبهم في الجهاد، وأعلمهم ما وعد الله نبيه r مـن النـصر وإظهـار الـدين، ورغـب كـل رجل من المسلمين صاحبه، و نشبت الحرب بيـنهم بعـد صـلاة الظهـر واقتتلـوا

(1) اليعقوبي: المصدر السابق، ج 1، ص 98.

(*) المغيرة بن شعبة (20 ق هـ -50 هـ=603 - 670 م): المغيرة بن شعبة بن أبي عـامر بـن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: احد دهاة العرب وقـادتهم وولاتهـم، صـحابي يقـال لـه: " المغيرة الرأي " ولد في الطائف بالحجاز، وبرحها في الجاهليـة مـع جماعـة مـن بنـي مالـك فدخل الإسكندرية وافداً عليالمقوقس وعاد إلى الحجاز فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة (5 هـ)، فأسلم وشهد الحديبية واليمامة، وفتوح الـشام، وذهبـت عينـه في اليرموك وشهد القادسية ونهاوند وهمذان وغيرها، ولاه عمر بن الخطاب على البصرة ففتح عدة بلدان، ثم ولاه الكوفة، وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. الزركلي: المصدر الـسابق، ط 11، ج 7، ص 276.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 361.

قتالاً شديداً[1]، وكان ذلك في شوال سنة خمس عشرة للهجرة، وقيل: كانت في ست عشرة[2]، وقيل: أنها في المحرم سنة أربعة عشرة[3].

بدأت أيام الحرب وسعد مريض به دماميل وعرق نسا، لا يستطيع الجلوس ولا الركوب، فاستخلف خالد بن عرفطه[*] على الناس[4].

- يوم أرماث[*]:

وهو أول أيام القادسية، وفيه بدأت المعركة حيث كّبر سعد أربع تكبيرات، وفي الرابعة حمل المسلمون على الفرس وتمكنوا من أسر هرمز، وكادت الفيلة التي جلبها رستم معه والتي كان عددها يفوق الثلاثين أن تشتت صفوف المسلمين، غير أن المسلمين توجهوا إليها ورشقوا الصناديق التي كانت عليها وبداخلها الرجال بالنبل، حتى لم يبق صندوق عليها، ثم حملوا على الفيلة وتمكنوا من الوصول إلى مقتلها وهو خرطومها، فضربوها بالسيوف،

---

(1) اليعقوبي: المصدر السابق، ج 1، ص 99.
(2) الحنبلي: المصدر السابق، ج 1، ص 41.
(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 96.
(*) خالد بن عرفطة: ابن أبرهة بن سنان الليثي، ويقال: البكري، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة، ويقال: بل من قضاعة، ومنهم من قال: هو خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان ابن صيفي بن هائلة بن عبد الله بن غيلان بن أسلم بن حزاز بن كاهل، فهو عذري وحزازي أيضاً. ابن الأثير: أسد الغابة، ج 2، ص 131 – 132.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 294 – 295.
(*) أرماث: كأنه جمع رمت اسم نبت بالبادية أخر تاء مثلثة. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 154.

وتمكنوا من رد الفرس إلى مواقعهم واقتتلوا إلى جزء من الليل وكان هـذا اليـوم هو يوم الرماة[1].

- **يوم أغواث:**

وهو اليوم الثاني من أيام القادسية، لما أصبح القوم كلف سـعد مـن ينقـل القتلى والجرحى إلى العذيب، وسلم الجرحـى للنسـاء لعلاجهـم، وأمـا القتلـى فدفنوا هنالك على مشرف بين العذيب وعين شمس[*] [2]، وكاد النهـار ينتهـي بلا قتال لولا وصول جزء من القوات الشامية بقيادة هاشم بـن عتبـة ابـن أبـي وقاص ابن أخي سعد، وفي مقدمته القعقاع بن عمـرو[3]، وفي هـذا اليـوم جـاء المسلمون بالإبل فبرقعوها حتى تغـير شـكلها، فأخافـت خيـل الفـرس وتمكـن القعقاع من قتـل بهمـن جادويـه قائـد الفـرس في معركـة الجسر، وقتـل أيـضاً الفيزران، واستمر القتال إلى منتصف الليـل[4]، وأستـشهد مـن المـسلمين ألفـان وقتل من المشركين عشرة آلاف[5].

- **يوم عماس:**

وهو اليوم الثالث من أيام القادسية، وفي صباحه أخـذ المـسلمون قـتلاهم ودفنوهم، وأما قتلى الفرس فقد بقيت، وكان لـذلك دور في تحمـيس المـسلمين

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 97.

(*) عين شمس: ماء بين العذيب والقادسية. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 179.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 322.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 322.

(4) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبـل الإسـلام – الـسيرة النبويـة – الخلافـة الرشيدة)، ص 530.

(5) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 417.

وتقهقر الفرس، وطلب القعقاع من جنده إذا طلعت الشمس أن يخرجوا ويتوافدوا مائة بعد مائة كأنهم مدد، وألا يعلم بهم أحد، مما جعل المسلمين يعتقدونهم مدداً وكذلك الفرس، وعندما وصل هاشم سمع بما صنع القعقاع فعبأ أصحابه سبعين سبعين، ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفوفهم[1].

أعاد الفرس صناعة صناديق جديدة على الفيلة وجعلوا الرجال فيها، وأطلقوها على المسلمين فقام المسلمون بقطع أذنابها، واستمر القتال في هذا اليوم شديداً على الفريقين على السواء[2]، وهربت الفيلة بعد قتل المسلمين أعظمها وهو الفيل الأبيض، فقصدت المدائن بتوابيتها، وقتل جميع من فيها، واستمر القتال إلى الليل[3].

- ليلة الهرير[*]:

وهي ليلة القادسية، استمر فيها القتال وتمكن المسلمون من محاصرة الفرس من الخلف، وزحف القعقاع ومن معه من بعض جموع المسلمين على الفرس على الرغم من عدم علم سعد، حيث كان سعد قد أمرهم أن يحملوا

---

(1) المصدر نفسه، ص 418.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(3) ابن خلدون: المصدرالسابق، ج 2، ص 98.

(*) ليلة الهرير: من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهر السباع وهو صوت دون النباح، ويوم الهرير من أيامهم ما سمي إلا بذلك إلا أنه كان الأغلب على أيامهم أن يسمى بالمكان الذي يكون فيه ذلك اليوم، وهو من أيامهم القديمة قيل: يوم الهرير بصفين كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبين تميم قتل فيه الحارث بن بيبه المجاشعي. ياقوت: المصدر السابق، ج 5، ص 404.

على الفرس بعد التكبيرة الثالثة بعد صلاة العشاء، غير أن الفرصة كانت مواتية للإسراع لضرب الفرس[1]، واستمر القتال إلى الظهيرة وفي هذه الأثناء كانت الكفة تميل لصالح المسلمين، وقتل هلال بن علفة[*] رستم، ثم اجتز رأسه وعلقه ونادى " قتلت رستم"، فانهزم قلب المشركين، وقام الجالينوس على الردم ونادى الفرس إلى العبور، وأما المقترنون فإنهم لم يستطيعوا الفرار فقتلهم المسلمون وهم ثلاثون ألفاً[2].

و- نتائج القادسية:

قتل في ليلة الهرير من الفرس عشرة آلاف خلا المقيدين وعددهم ثلاثون ألفاً، واستشهد من المسلمين ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف وفي الأول والثاني ألفان وخمسمائة كانوا ثمناً لذلك النصر المبين[3]، وفيها غنم المسلمون مغانم عظيمة منها راية الفرس المسماة(دوفش كابيان) التي غنمها ضرار ابن الخطاب، وكان ثمنها يقدر بألف ألف ومائتي ألف، وعوض منها ثلاثين ألفاً[4]، وكان سلب رستم وحده يقدر بسبعين ألف درهم[5].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 98.

(*) هلال بن علفة: (توفي سنة:38هـ-658م)من تميم الرباب من زعماء الاباضية. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج8، ص91.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 330.

(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 533.

(4) ابن خلدون: المصدرالسابق، ج 2، ص 99.

(5) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين - ج 2، ص 136.

كانت شبه الجزيرة العربية والعرب قاطبة تنتظر نتيجة هذه المعركة الحاسمة بين الوثنية والإسلام، بين الفرس والعرب، كونها معركة وجود، وكان أكثر الناس تلهفا لسماع أخبار هذه الموقعة الخليفة عمر t ، فكان يخرج كل يوم ينتظر الأخبار ويسأل الركبان من الصباح حتى منتصف النهار، ثم يرجع إلى منـزله[1].

5ـ معارك ما بعد القادسية:

أ- فتح المدائن(16هـ = 637 م)[2]:

بعد النصر العظيم في القادسية وتراجع قوات الفرس أقام سعد بعد الفتح شهرين، ثم سار بأمرالخليفة عمر t إلى المدائن بعد أن ترك العيال بالعتيق[*] في حامية لهم وجند كثيف[3].

- حصار المدائن الدنيا:

واصل المسلمون السير حتى وصلوا إلى المدائن الدنيا[*]فحاصروها[4]، وأرسل سعد الخيول فأغارت على من ليس له عهد، فأصابوا مائة ألف فلاح، فأصاب كل فارس منهم فلاحاً، لأن كل المسلمين كان فارساً بعد المغانم التي

---

(1) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 369.
(*) العتيق: قرية بين أذربيجان وبغداد استولت عليها دجلة فخربتها. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 83.
(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 100.
(*) المدائن الدنيا: وهي بهرسير، تقع غربي دجلة. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 515.
(4) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 534.

غنموها في المعارك السابقة، فأرسل سعد إلى الخليفةعمر t يشاوره في أمرهم فكان جواب الخليفةعمر t : " إذا كانوا مقيمين ممن لم يعينوا عليكم فهم أمان، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به " فخلى سعد عنهم[1]، وبعث إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة والمنعة، فاختاروا الجزية والمنعة، وبهذا أصبح غربي دجلة تحت سيطرة دولة الإسلام[2].

- فتح المدائن الدنيا:

تمكن المسلمون من فتح المدائن الغربية بهرسير بعد حصار دام تسعة أشهر، ويقال: ثمانية عشر شهراً، حتى سئم أهلها الحصار فتركوها ودخلها سعد بجنده[3]، وكان ذلك في صفر سنة ست عشرة للهجرة[4].

- هروب يزدجرد من العاصمة:

عندما سمع يزدجرد بسقوط المدائن الغربية بهرسير فرّ من المدائن الشرقية(العاصمة)، وسار إلى حلوان ومعه أساورته[*]وما قدر على جمعه من أموال وكنوز ومتاع[5].

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 356.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 368.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 356.

(*) أساورته: الأساورة جمع أسوار وهو المقدم من أساورة الفرس وقيل: هو قائد الفرس الجيد الرمي بالسهام أو الجيد الثبات على ظهر الفرس. ابن منظور: المصدر السابق، ج 4، ص388.

(5) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 255.

- **عبور سعد إلى المدائن القصوى:**

أراد سعد أن يعبر إلى المدائن القصوى(العاصمة)، فطلب السفن ليعبروا بها النهر، غير أن الفرس ضموها حتى لا يعبر بها المسلمون، فقعد أياماً من صفر في بهرسير حتى أتاه علج، فدله على مكان يمكن للخيل أن تخترقه سابحة[1]، فانتدب سعد رجلاً من المسلمين فسبح فرسه وعبر، فسبح المسلمون، ثم أمروا أصحاب السفن فعبروا بالأثقال، فقالت الفرس:"والله ما تقاتلون إلا جناً"، فانهزموا[2].

- **دخول المسلمين المدائن العاصمة:**

عبر المسلمون النهر، وساروا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن، فلم يجدوا بها أحداً بعد خروج يزدجرد منها وحاشيته، ووجدوا فيها كل ما عجز يزدجرد وحاشيته عن حمله من أنعام وثياب وأمتعة وأموال حيث كان في خزانته ثلاثة ألف ألف ألف دينار ثلاث مرات[3]، فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام وخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال على لسان سلمان الفارسي[*]، حتى كان اليوم الثالث استجابوا

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 460.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 369.
(3) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص66.
(*) سلمان الفارسي (توفي سنة: 36هـ - 656 م) صحابي من مقدميهم كان يسمي نفسه سلمان الإسلام، أصله من مجوس أصبهان عاش عمراً طويلاً واختلفوا فيما كان يسمى به في بلاده، قالوا: نشأ في قرية جيان ورحل الى الشام فالموصل فنصيبين فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود وقصد بلاد العرب فلقيه ركب من بني كلب فاستخدموه ثم استعبدوه وباعوه فاشتراه رجل من بني قريضة فجاء به الى المدينة وعلم سلمان بخبر

للجزية، ونزلوا منه ودخله سعــد واتخذ الإيوان[*] مصلى وحين دخله تلا قولـه تعـــــالي: O N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ' _ ` a N[1][2] وكـان ذلـــك في صـــفر سـنة (16هــ- مارس سنة 637 م)[3].

- نتائج فتح المدائن:

سقوط العاصمة الفارسية العريقة في أيدي المسلمين بما تحويـه مـن فـن وذخائر، و لا شك أن سقوطها أذان بالانهيار الكامـل لـبلاد الفـرس[4]، جمـع سعد الفيء وقسّمه بين النّاس بعدما خمسه، وكان المسلمون سـتين ألفـاً، فكـان نصيب الفارس اثني عشر ألفاً، وقسم المنازل بين الناس[5].

الإسلام فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه، فأظهر اسـلامه. الـزركلي: المـصدر السابق، ط11، ج 3، ص111-112.

(*) الإيوان: إيوان كسرى الذي بالمدائن، زعموا أنه تعاون على بنائه عدة ملوك وهو من أعظـم الأبنية وأعلاها، وهو مبني بآجر طول كل منها نحو ذراع، في عرض أقل من شـبر وهـو عظيم. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 294.

(1) سورة الدخان: الآيات 25 – 26- 27- 28.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص66.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 369.

(4) شلبي، أحمد: موسوعة التـاريخ الإسـلامي والحـضارة الإسـلامية، ط6، مكتبـة النهـضة المصرية، القاهرة 1974م، ج1، ص 393.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 363.

ب – معركة جلولاء(*) وفتح حلوان:

- استعداد الطرفين للمعركة:

بعد هزيمة الفرس وتركهم للمدائن فروا إلى جلولاء و اجتمعوا على مهران الرازي، واستعدوا لمواجهة المسلمين في محاولة منهم لدحر المسلمين، واسترجاع ما ضاع منهم، فخندقوا على أنفسهم وتقدم يزدجرد إلى حلوان لمدهم بالرجال والأموال[1]، وعندما علم سعد بذلك أرسل إلى الخليفة عمر t يعلمه بالأمر، فكتب الخليفة عمر t إليه أن يرسل إلى جلولاء ابن أخيه عتبة في اثني عشر ألفاً وعلى مقدمتهم القعقاع بن عمرو، وأن يولي القعقاع بعد الفتح ما بين السواد والجبل[2].

- حصار المسلمين للفرس:

سار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنائم فمرّ ببابل مهروذ(*) وصالحهم على أن يفرشوا له جريب(*) الأرض دراهم، ففعلوا وصالحهم، ثم سار إلى أن وصل جلولاء وحاصرهم في خنادقهم ثمانين يوماً والمدد يصل إلى الطرفين[3].

(*) جلولاء: طسوج من طساجيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ويجري بين منازل أهلها.ويحمل السفن إلى باجسرا. ياقوت: المصدر السابق، ج 2، ص 156.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 102.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(*) بابل مهروذ: هو نهر عليه قرى في طريق خراسان. ياقوت: المصدر السابق، ج 5، ص233.

(*) جريب الأرض: مقدار معلوم الذراع والمساحة وهو عشرة أقفزة كل قفيز منها عشر أعشار فالعشير جزء من مائة من جزء من الجريب.ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص 260.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 102.

- **بداية المعركة:**

خرج الفرس من الخندق بعد اختلافهم فهاجمهم المسلمون حتى انتهوا إلى باب الخندق، ورموا المسلمين بحسك الحديد حتى لا يتقدموا بخيولهم، ولكن المسلمين حملوا عليهم ثانيا حتى أجبروهم على الخروج، ودار قتال لم يشهدوه إلا ليلة الهرير إلا أنه كان أسرع[1].

- **نتائج المعركة:**

لم يتمكن الفرس من الهروب، وقتل منهم مائة ألف[2]، وعند سماع يزدجرد بهزيمة جيشه فر من حلوان متجها إلى الري[*]، عندما فقد الأمل في استرجاع ملكه وسلطانه، فسار القعقاع إلى حلوان واستولى عليها بدون كرب وكان ذلك في ذي القعدة سنة(16 هـ -637 م)[3].

غنم المسلمون في معركة جلولاء مغانم كبيرة بلغت ثمانية عشر ألف ألف وقيل: "ثلاثين ألف ألف"[4]، وعقب الانتهاء من فتح جلولاء دانت للمسلمين كل أرض السواد[5].

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص469.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(*) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن قصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسبور مائة وستون فرسخاً. ياقوت: المصدر السابق، ج3، ص116.

(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 537.

(4) اليافعي، أبو عبد الله أسعد: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997 م، ص 63.

(5) شلبي: المرجع السابق، ج 1، ص 395.

ج- فتح نهاوند(*) (فتح الفتوح)(21 هـ، 642)[1]:

كانت أوامر الخليفة عمر t لجيوش المسلمين هي عدم التقدم صوب بلاد فارس وعدم اجتياز الجبال الفاصلة، ولكن الوضع أعطى الفرصة ليزدجرد لتجميع قواته من مختلف بلاد فارس لضرب قوات المسلمين وتجريب حظه مرة أخرى معهم[2].

- الاستعداد للمعركة:

اجتمعت القوات الفارسية في نهاوند وعليهم الفيزران في قوة يبلغ عددها مائه وخمسين ألفاً[3]، وقيل: ستون ألفاً، وفي رواية مائة ألف[4].

كان المسلمون يدركون مدى خطر تجمع قوات الفرس ولهذا طلبوا من الخليفة عمر t أن يعطيهم الإذن في مهاجمتها قبل أن يستفحل خطرها[5]، فولى

(*) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي ويقال: من بناء نوح عليه السلام، أي نوح هو الذي وضعها، وإنما أسماها نوح(أواند) فخففت وقيل: نهاوند، وقيل: أصلها بنو هوند فاختصروا منها ومعناها الخير المضاعف. ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص 313.

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 533.

(2) شلبي: المرجع السابق، ج1، ص 395.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 115.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 419.

(5) كرير، زينب عبد الله معاطي وآخرون: تاريخ صدر الإسلام، مطابع الوحدة العربية، الزاوية – ليبيا(د.ت)، ص 161.

النعمان بن مقرن المزني(*)قيادة الجيش بعد أن عزل سعد بن أبي وقاص، الذي لم يرض الخليفة عمر t عن بعض تصرفاته في الكوفة(1)، وكان جيش المسلمين ثلاثين ألفاً بعد انضمام قوات الكوفة والبصرة إليه(2)وعند وصول المسلمين إلى نهاوند انزلوا الأثقال واستقروا بالقرب من الفرس، وخطب النعمان في الناس فقال: " إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان(*)، فإن أصيب فعليكم جرير بن عبد الله، فان أصيب فعليكم قيس بن مكشوح(*)(3).

- بداية المعركة:

بدأ القتال قوياً يوم الأربعاء والخميس حتى تمكن المسلمون من أجبار الفرس على التراجع إلى خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياماً حتى سئم

(*) النعمان بن مقرن المزني: (توفي سنة: 21هـ - 642م) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني أبو عمرو: صحابي فاتح من الأمراء القادة الشجعان، كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة، سكن البصرة ثم تحول عنها إلى الكوفة ثم عاد إلى المدينة بشيراً بفتح القادسية ثم استعمله عمر ابن الخطاب لفتح أصفهان ففتحها. الزر كلي: المصدر السابق، ط11، ج8، ص 42.

(1) شلبي: المرجع السابق، ج 1، ص 395.

(2) كرير وآخرون: المرجع السابق، ص 162.

(*) حذيفة بن اليمان (توفي سنة: 36هـ - 656 م) حذيفة بن جابر العبسي أبو عبد الله واليمان لقب حسن: صحابي من الولاة ألفاتحين كان صاحب سر النبي في المنافقين لم يعلمهم أحد غيره ولما ولي عمر سأله أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم واحد، قال: من هو ؟ قال: لا أذكره وحدث حذيفة بهذا الحديث فقال: عزله عمر كأنما دل عليه. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج2، ص 171.

(*) قيس بن مكشوح (توفي سنة: 37هـ - 657م) قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح ابن هلال البجلي: صحابي من الشجعان الأبطال والشعراء كان سيد بجيلة في الجاهلية وفارسها، كنيته أبو شداد، له مواقف في الفتوحات. المصدر نفسه، ج5، ص209.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 519.

المسلمون[1]، فاستشار النعمان أصحابه فأشار عليه جمع منهم بأن يتظاهروا بالهروب حتى يتعقبهم الفرس، فاستحسن النعمان ذلك، وعندما رأى الفرس المسلمين قد تراجعوا قاموا بكنس الحديد الذي زرعوه عند تراجعهم وخرجوا في تعقبهم[2]، فدارت معركة من أشد المعارك وأعنفها، وجرت الدماء حتى زلقت الدواب، واستشهد النعمان، وكتم أمره حتى لا يضعف المسلمون، وأستمر القتال حتى جُن الليل واندحر الفرس حتى أنهم ضلوا طريق الرجعة فلم ينج منهم إلا الطريد[3].

- **نتائج المعركة:**

- قتل من الفرس أكثر من مائة وثلاثين ألفاً في المعركة، وبعضهم عقره حسك الحديد الذي زرعوه خلفهم قبل القتال حتى لا يتراجعوا، وبعضهم مات من اللهب الذي أعدوه[4].
- ترتب على انتصار المسلمين في هذه المعركة سقوط عدد من المدن الفارسية الواحدة تلو الأخرى[5].
- غنم المسلمون مغانم عظيمة بما فيها خزائن كسرى[6].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 116.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 519.
(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 550.
(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 117.
(5) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 257.
(6) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 519.

- **بعد هذه المعركة جاء ولاة غرب فارس يطلبون الدخول في الطاعة على أن يدفعوا الجزية، واعتنق بشر كثير من الفرس الإسلام[1].**
- **تعد موقعة نهاوند خاتمة المعارك الفاصلة في تاريخ الفتح الإسلامي لفارس ولذلك سميت فتح الفتوح، وفيها انهار سلطان الفرس نهائياً[2].**

---

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 551.

(2) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 257.

المبحث الثاني

الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومصر

أولاً:ـ أحوال الشام في ظل الدولة الإسلامية:

1ـ مقدمات الفتح:

بعد أن تولى أبو بكر الصديق t الخلافة، أراد أن ينفذ وصية الرسول e ، بإيفاد جيش أسامة بن زيد(*)إلى تخوم الشام، ليظهر للروم أن الدولة الإسلامية لازالت قوية على الرغم من الصعاب التي تواجهها في شبة الجزيرة العربية بظهور حركة الردة، وكان امتحاناً صعباً أمام الخليفة أبي بكر t وعلى الرغم من ذلك صمم على تنفيذ ما بدأه الرسول e ، بإرسال حملة أسامة بن زيد إلى الشام بعد تقهقرجيش المسلمين في معركة مؤته[1].

بعد القضاء على حركة الردة وعودة الاستقرار في شبة الجزيرة العربية، أراد الخليفة أبو بكر t اختصار الزمن بإرسال الجيوش إلى الشام، وكان ذلك في أول السنة الثانية عشر للهجرة، وقيل: في أول السنة الثالثة عشر[2]، حيث استنفر عرب شبة الجزيرة العربية للجهاد، وعقد أول لواء إلى الشام بقيادة خالد بن سعيد بن العاص، ثم عزله قبل أن يسيره، وأمره أن

(*) أسامة بن زيد (7 ق.هـ - 54 هـ = 615 – 674 م). أسامة بن زيد بن حارثة بن كنانة ابن عوف أبو محمد: صحابي خليل ولد بمكة وهاجر مع النبي إلي المدينة وأمره الرسول قبل أن يبلغ العشرين من عمره. الزركلي: المصدر السابق، ط 11، ج1، ص 291.

(1) ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص 304.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 83.

يكون مدداً لجيوش المسلمين ووجهه إلى تيماء[*] وأمره أن لا يفارقها إلا بـأمره، ويدعو من حوله من العرب إلا من ارتد ولا يبادر في القتال، وتجمعت أعـداد كـبيرة مـع خالـد بـن سـعيد مـن عـرب الـشام[1]، مـرحبين بجـيش المـسلمين ومنضمين إليه، وهذا يظهر مدى سأم العرب من حكـم الـروم الظـالم وتلـهفهم لليوم الذي يتخلصون فيه منهم[2]، فلما وصل خبر تجمع قوات خالد بن سـعيد إلى هرقل طلب من قبائل تخوم الشام من بهـراء وكلـب وسـليح وتنـوخ ولخـم وجذام وغسان، مواجهة هذه القوة، فكتب خالـد بـن سعيـد إلى أبـي بكـر t يعلمه بتجـمع هذه القـبائل فـرد أبو بكر t : "أن أقـدم ولا تـحجم واستـنـصر الله"[3]، فسـار إليـهم فلـما اقتـرب منـهم تفـرقوا ونزل منـزلهم وكتب إلى أبـي بكر t بذلك[4]، فكتب إليه أبو بكر t :" أقدم ولتقـتحمن حتـى لا تـؤتى مـن خلفك"[5]، فسار حتى لقيه البطريق باهان في قوة، تمكـن المـسلمون مـن هزيمتـه، وكتب إلى الخليفة أبي بكر t بهذا النصر، وطلب منه المـدد فمـده بقـوة كانـت

(*) تيماء: بليدة في أطراف الشام بين الـشام ووادي القـرى، عـلى طريـق حـاج الـشام ودمـشق والأبلق، حصن السموأل بن عاد ياء اليهودي مشرف عليها، فلذلك كان يقـال لهـا تـيماء اليهودي. ياقوت: المصدر السابق، ج 2، ص 67.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 253.

(2) حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام(السياسي – الثقافي – الاجتماعي)، ط15، دار الجيل، بيروت2001م، ج1، ص 183.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 332.

(4) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبـل الإسـلام – الـسيرة النبويـة – الخلافـة الرشيدة)، ص 474.

(5) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 332.

مستنفرة إلى اليمن بقيادة ذي الكلاع(*) وعكرمة بن أبي جهل، ومن كان معه من تهامه وعُمان والبحرين[1]، وبعزيمة قوية بدأ الخليفة أبوبكر t يفكر في ارسال قوة كبيرة إلى أنحاء الشام تكون قادرة على فتح الشام، وإزالة الإمبراطورية البيزنطية من المناطق العربية، وتحرير سكانها من جبروت الروم، فأمر عمرو بن العاص(*) بالخروج لجهاد الروم، وأن يقصد فلسطين، وبعث أيضاً إلى الوليد بن عقبه(*)، وكان على صدقات قضاعة وولاه الأردن[2]،

(*) ذو الكلاع (توفي سنة: 37هـ - 657 م) سميفع بن ناكور بن عمرو بن يغفر بن ذي الكلاع الأكبر أبو شراحيل الحميري: من ملوك اليمن المعروفين بالأذواء، كان في أواخر العصر الجاهلي ولما ظهر الإسلام أسلم ولم ير النبي وقدم المدينة في زمن عمر فروي عنه وشهد اليرموك وفتح دمشق ثم سكن حمص وتولى قيادة أهلها في جيش معاوية أيام صفين وقتل بها، وكان جسيماً وسيماً والمؤرخون مختلفون فى ضبط اسمه واسم أبيه متفقون على تعريفه بذي الكلاع. الزركلي: المصدر السابق، ط 11، ج3، ص 140.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 258.

(*) عمرو بن العاص: ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي السهمي، يكنى أبا عبد الله وقيل: أبو محمد وأمه النابغة بنت حرملة، سبيت من بني حلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة وأخوه لأمه عمرو بن أثاثة العدوي وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، وقيل: كان إسلامه لصفر سنة ثمانية قبل الهجرة بستة أشهر. ابن الأثير: أسد الغابة، ج4، ص 232.

(*) الوليد بن عقبة: (توفي سنة: 61 هـ - 680 م) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي القرشي: وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أسلم يوم فتح مكة، تولى ولاية الكوفة زمن خلافة عثمان بعد سعد بن أبي وقاص، سنة (25 هـ) ودامت ولايته إلى سنة (29هـ) مات بالرقة. الزركلي:المصدر السابق، ط 11، ج8، ص 122.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 84.

وانتدب يزيد بن أبي سفيان وسيره في جمع عظيم فيهم سهيل بن عمرو، واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على من أجتمع إليه وأمره على حمص[1].

وكان أول من وصل إلى خالد بن سعيد هو الوليد بن عقبة، الذي أخبره بالمدد وتحرك الأمراء إلى الشام، حينها استعجل خالد مواجهة الروم بعد وصول ذي الكلاع وعكرمة، فتقدم بقواته مع تراجع باهان إلى دمشق، حتى وصل خالد ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد إلى مرج الصفر[*]، حينها سد باهان الطرق وخرج إليهم وتمكن في طريقه من قتل سعيد بن خالد بن سعيد، وعند سماع خالد بمقتل ابنه هرب بالقرب من المدينة، وتمكن عكرمة من رد الروم، والتراجع بالمسلمين من نواحي الشام[2]، وفي هذه الأثناء جاء شرحبيل ابن حسنة إلى المدينة قادماً من العراق، حاملاً أنباء النصر، ومعه السبي والأخماس فأمره الخليفة أبو بكر t بأن يسير إلى الشام مكان الوليد بن عقبة، وسار مع من معه إلى عكرمة[3]، وكان ذلك في السنة الثالثة عشر للهجرة[4]، وكان مع كل أمير ثلاثة آلاف رجل، وظل الخليفة أبو بكر t يبعث لهم المدد حتى وصل مع كل أمير سبعة آلاف وخمس مائة[5]، فلما وصل عمرو ابن العاص إلى فلسطين كتب إلى الخليفة أبي بكر t يعلمه كثرة عدد العدو وعدته

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص333.

(*) مرج الصفر: بضم وتشديد الفاء، بالقرب من دمشق. ياقوت: المصدر السابق، ج 5، ص151.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص84.

(3) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين - ج2، ص 94.

(4) الحنبلي: المصدر السابق، ج1، ص 36.

(5) البلاذري: المصدر السابق، ص 187.

وسعت أرضه، فكتب الخليفة أبـو بكـر t إلى خالـد بـن الوليـد وهـو بـالعراق يأمره بالمسير إلى الشام[1].

2 – أسباب فتح بلاد الشام:

تعددت الأسباب التي دفعت الخليفة أبا بكر t إلى إرسال الجيـوش لفـتح الشام ومن أهمها:

أ- دافع الجهاد ونشر الدين الإسلامي خارج الجزيرة العربية[2].

ب- تحرير بلاد الشام من الاحتلال البيزنطي المهيمن على خيرات الـبلاد لفترة طويلة من الزمن[3].

ج- تأديب بعض القبائل العربية المتنـصرة، الـتي ناصـبت العـداء للدولـة العربية الإسلامية[4].

د- تأمين الحدود الشمالية من الخطر الدائم الذي يمثله الروم على الدولـة العربية الإسلامية[5].

هـ- وفرة خيرات بلاد الشام وكثرة غنائم الروم[6].

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 201.

(3) ابن أعثم، أبو محمد أحمد بـن أعـثم الكـوفي: الفتـوح، ط1، دار الكتـب العلميـة، بـيروت (د.ت)، ج1، ص 81.

(4) كرير وآخرون: المرجع السابق، ص 168.

(5) زيادة: دراسات فى التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسـلام – الـسيرة النبويـة – الخلافـة الرشيدة)، ص 439.

(6) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 198.

3ـ عمليات الفتح:

أ- مسير خالد إلى الشام وبداية العمليات(13 هـ - 634م)[1]:

لما وصل كتاب الخليفة أبي بكر t إلى خالد وهو في الحيرة، سار على عجل في ربيع الآخر سنة ثلاثة عشر، تاركاً قيادة الجيوش في العراق إلى المثنى ابن حارثة الشيباني[2]، وقد اختلف المؤرخون: في عدد الجيش الذي اصطحبه خالد إلى الشام، ولهذا لا يعرف العدد الصحيح فالبعض قال: ثمانمائة وقيل: ستمائة، وقيل: خمسمائة، وقيل: في ستة آلاف وقيل: تسعة آلاف، وقيل: إنما أمره أبو بكر t أن يأخذ أهل القوة والنجدة[3].

سار خالد بقواته، وسار معه المثنى في كتيبة حتى وصل قراقر[*]، وعندها رجع المثنى وأغار عليها خالد، واجتاز الصحراء الفاصلة بينها وبينة سوى[*]في خمسة أيام كما تقول بعض الروايات، حيث جنب الإبل وركب الخيل وملأ بطون الإبل ماء، وربط أفواهها كي لا تجتر، وصار يذبح منها ويسقي ما في بطونها من ماء حتى تمكن من اجتياز هذه الصحراء، وعند وصوله إلى سوى أغار عليها وسلب أموالها[4]، وسار منها إلى تدمر[*]، حيث سلم أهلها بعد

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 188.
(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 256.
(*) قراقر: واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 317.
(*) سوى: اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة. المصدر نفسه، ج 3، ص 271.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 189.
(*) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام. ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص 17.

مقاومة يسيرة وجنب خالد وهو في طريقه مهاجمة دمشق، لأنه جاء مدداً للمسلمين في اليرموك، وواصل سيره حتى وصل قسم(*)، فصالح أهلها، وسار حتى وصل ثنية العقاب(*)، توقف فيها ناشراً رايته ثم واصل سيره إلى مرج راهط(*) فأغار على غسان في يوم فصحهم، حيث كانوا نصارى فقتل وسبى[1]، ثم سار حتى وصل بصرى(*)، فحارب أهلها ثم صالحهم، فكانت بصرى أول مدينة تفتح في الشام على يد خالد بن الوليد، وبعث بالأخماس إلى الخليفة أبي بكر t في المدينة، ثم سار حتى وصل المسلمين في اليرموك[2]، وقيل: أنه عندما دخل الشام قادماً من العراق فتح مرج راهط، ثم سار حتى التقى الأمراء في بصرى فحاصروها، حتى فتحوها على الجزية ثم ساروا جميعا إلى فلسطين مدداً إلى عمرو بن العاص في أجنادين(*)، من هنا يظهر الخلاف بين المؤرخين في تحديد زمن اليرموك وأجنادين أيهما قبل الآخر[3].

(*) قصم: موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق. المصدر نفسه، ج4، ص 365.

(*) ثنية العقاب: فرجة في الجبل الذي يطل على غوطة دمشق من ناحية حمص تقطعه القوافل المغربة من دمشق من المشرق. المصدر نفسه، ص 133.

(*) مرج راهط: من نواحي دمشق وهو أشهر المروج في الشعر فإذا قالوه مفرداً فإياه يعنون. المصدر نفسه، ج5، ص 151.

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 484.

(*) بصرى: من أعمال دمشق وهي كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 441.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 258.

(*) أجنادين: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص103.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 85.

ب- معركة اليرموك[*] (13هـ- 634م)[1]:

كان لوصول خالد بن الوليد وقواته وقع طيب في نفوس المسلمين، نظراً لمكانة خالد القيادية وخبرته في المعارك الحاسمة، وبهذا تكاملت قوات المسلمين باليرموك، وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد الجيش المشارك في معركة اليرموك من الطرفين، حيث يذكر البعض: أن عدد المسلمين في ذلك اليوم أربعون ألفاً، سبعة وعشرون ألفاً مع الأمراء، وثلاثة آلاف من فلول خالد ابن سعيد، وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد[2]، وهناك من يقول إن عدد المسلمين يومئذ أربعة وعشرون ألفاً[3]، ومنهم من يرى: إن عددهم هو ستة وأربعون ألفاً[4]، وعلى الرغم من الاختلاف والتباين بين أغلب المؤرخين، إلا أنهم كانوا متفقين في عدد القوة مع الأمراء، وهو سبعة وعشرون ألفاً، وثلاثة آلاف من أفلال خالد بن سعيد، أما الاختلاف فقد وقع في القوة التي جاء بها خالد من العراق، كذلك كان الاختلاف واضحاً في تحديد القوات التي جاء بها الروم، حيث ذُكر: أن عدد الروم في هذه المعركة كان مائة وعشرين ألفاً[5]، وهناك من يقول: أن عدد الروم يومها كان مائتين وأربعين ألفاً[6]، وهناك من

(*) اليرموك: واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المنتنة.ياقوت: المصدر السابق ج5، ص 434.

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 335.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 259.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 219.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 85.

(5) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص5.

(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 334.

بالغ في العدد، حيث يذكر: أنهم كانوا ألف ألف[1]، ومهما كان عدد الفريقين، إلا أن الثابت أن الفارق في العدد بين الجيشين كان كبيراً، فقوة المسلمين كانت تتراوح ما بين ستة وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً، وقوة الروم ما بين المائتي ألف ومائتين وأربعين ألفاً[2].

- استعداد الجيشين للمعركة:

سار الجيش البيزنطي حتى عسكر في وادي اليرموك، وقد وصل إليه وهو منهك القوى، وكان يقوده القائد باهان[3]، وعندما علم خالد بحجم قوة الروم وانقسام جيش المسلمين بين الأمراء أشار عليهم بتوحيد القيادة، وبخاصة أن الموقف يتطلب قائداً عاماً لجيش المسلمين لضبط أموره، ويضع التكتيك المناسب للمعركة فاستقر الرأي على أن يكون خالد هو القائد العام للجيش[4]، فقسم خالد الجيش من ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين[5]، وجعل على كراديس الميمنة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، وعلى كراديس القلب أبا عبيدة بن الجراح، والميسرة عليها يزيد بن أبي سفيان، والقعقاع ابن عمرو على كراديس أهل العراق[6]، وصار خالد يوصي قواته بالصبر ويحثهم على الجهاد ونصرة الإسلام، ويبعد عنهم الخوف من حشود الروم الهائلة،

---

(1) اليافعي: المصدر السابق، ص 61.
(2) الحنبلي: المصدر السابق، ج1، ص 40.
(3) الماجد: المرجع السابق، ص 186.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 192.
(5) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 336.
(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 259 – 260.

حيث قال له رجل: "ما أكثر الروم وأقل المسلمين" فقال خالد:"ما أقل الروم وما أكثر المسلمين إنما تكثر الجند بالنصر وتقل بالخذلان "[1].

كان الروم قد استعدوا للمعركة استعداداً كبيراً، لمنع تقدم المسلمين إلى المدن الأمامية، وإعادة الهيمنة البيزنطية على الشام، ولهذا الغرض جمعوا الأعداد الهائلة واستعانوا حتى بحلفائهم من القبائل العربية، التي جعلوها في مقدمة جيشهم، بقيادة جبلة بن الأيهم الغساني[*] [2]، وقيل: أنه كان في جيش الروم ثمانون ألف مقيد، وأربعون ألف مسلسل للموت وأربعون ألفاً مربوطين بالعمائم لئلا يفروا، وثمانون ألف راجل وقيل: مائة ألف[3].

- بداية المعركة:

بدأت المعركة بمواجهة المسلمين لمقدمة القوات الرومية، التي كانت من العرب بقيادة جبلة بن الأيهم، حيث تمكن المسلمون من هزيمتهم وقتلوا معظمهم وهرب جبلة[4]، ثم بدأ القتال بين المسلمين والروم مرة بعد أخرى، حتى تمكن المسلمون من قهر عدوهم، حيث أبادوهم بالقتل وهرب البقية[5]،

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 337.

(*) جبلة بن الأيهم الغساني: (توفي سنة: 20هـ - 641م) من بني جفنة آخر ملوك الغساسنة في بادية الروم عاش زمناً في العصر الجاهلي وقاتل المسلمين في دومة الجندل سنة(12هـ) وحضر وقعة اليرموك سنة (15هـ) ثم أسلم وهاجر إلى المدينة في رواية ابن خلدون وارتد فيها وخرج إلى بلاد الروم وفى رواية البلاذري ارتد في بلاد الشام. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج2، ص 111 – 112.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 218.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 285.

(4) الحنبلي: المصدر السابق، ج1، ص 40.

(5) اليافعي: المصدر السابق، ص 61.

وتتبعهم المسلمون وسادت في صفوف الهاربين الفوضى، وأخذوا يتساقطون في الوديان العميقة التي تجاور منطقة اليرموك، حتى سقط منهم عدد كبير، وصار المسلمون يقتلون الأحياء منهم في كل واد وفرت فلول الروم إلى الشام[1].

- **نتائج المعركة:**

- أضعفت أمل الروم في البقاء في الشام، وهرب هرقل من إنطاكية إلى القسطنطينية[2].
- عظم أمل المسلمين في قهر الروم وفتح الشام.
- قتل فيها من الروم أكثر من مائة ألف، بينما استشهد من المسلمين ثلاثة آلاف، بينهم عدد من كبار الصحابة، منهم عكرمة بن أبي جهل، وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد[3].
- أظهرت المعركة ملاحم بطولية من بعض شجعان المسلمين، الذين أبلوا بلاءً حسناً، وكذلك كان للنساء دور في إثارة الحماسة، ومداواة الجرحى وبعضهن قاتل مع الرجال[4].
- أظهرت دور خالد البطولي وحنكته في تسيير المعركة وحسن قيادته لجيش المسلمين[5].

---

(1) الماجد: المرجع السابق، ص 186.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 222.
(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 490.
(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 260.

ج- معركة أجنادين(13هـ- 634م)[1]:

- استعداد الجيشين للمعركة:

بوصول عمرو بن العاص إلى وجهته فلسطين، بدأ يهاجم جنوب فلسطين، فحشد له هرقل قوة تقدر بمائة ألف[2]، فسار الأمراء من بصرى إلى عمرو وهو مقيم بالعربان(من غور فلسطين)، وعندما سمع تدراق وهو شقيق الإمبراطور هرقل، والذي كان يقود حشود الروم، بتحرك قوات المسلمين حرك قواته صوب أجنادين[3]، وقيل: كان على الروم القبقلار[4]، وعندما سمع عمرو بقدوم الأمراء سار إليهم، فلقيهم ونزلوا بأجنادين وعسكروا فيها[5].

يقال: إن القبقلار بعث رجلاً عربياً إلى جيش المسلمين ليأتي بالأخبار، فبات فيهم يوماً وليلة، وعندما رجع سأله ما وراءك فقال: " بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه، ولو زنا رجم لإقامة الحق فيهم " فقال: "لو كنت صدقتني، لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم، فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي"[6].

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 194.
(2) المصدر نفسه، ص 193.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 374.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 265.
(5) شمس الدين: المرجع السابق، ص 260.
(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 265.

-بداية المعركة:

تزاحفت الناس وبدأ القتال شـديداً بـين الفـريقين، حتـى انهـزم الـروم هزيمة نكراء، وقتل القبقلار وتدارق وأعداد كثيرة من جيوشهـم[1]، حيث يقـال: أن عدد القتلى وصل إلى خمسين ألفاً[2]، وكانت هذه الوقعة في سنة ثلاث عـشر للهجرة لليلتين بقيتا من جمادي الأول[3].

د- فتح دمشق(14هـ - 635 م)[4]:

- استعداد المسلمين لفتح دمشق:

بتـولي عمـر بـن الخطـاب **t** الخلافـة، أحـدث تغـييراً في قيـادة جيـوش المسلمين بعزل خالد وتولية أبـي عبيـدة بـن الجـراح، والـذي أظهـر ذلـك بعـد اليرموك[5]، خرج أبو عبيدة وراء فلول الروم الفارة مـن اليرمـوك حتـى وصـل صفر، حينها سمع أنهم تجمعوا في فحـل بـالقرب مـن دمـشق، وكـذلك سمـع بوصول مـدد مـن حمـص إلى دمـشق، فبعـث أبـو عبيـدة إلى الخليفـة عمـر **t** ، يستشيره هل يبدأ بدمشق أم بفحل؟ فجاءه رد عمر **t** : يـأمره أن يبـدأ بدمـشق لأنها حصن الشام، وبيت ملكهم، وأن يشغل أهـل فحـل فـإذا فتحـت دمـشق سار إلى فحل فإذا فتحت سار مع خالد إلى حمص، وتـرك شـرحبيل بـن حـسنة

(1) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ص 204.
(2) كرير وآخرون: المرجع السابق، ص 164.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 347.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 202.
(5) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 87.

وعمرو بالأردن وفلسطين[1]، نفذ أبو عبيدة نصيحة الخليفة عمر t بإرسال عشرة قواد لمنع وصول الإمدادات لجيوش الروم[2].

-حصار المسلمين لدمشق:

بعد أن قيد أبو عبيدة تحركات الروم وأمن عدم وصول المدد إلى دمشق، سار إليها مع خالد بن الوليد، فوصلاها وكان عليها نسطاس بن نسطورس فحاصراها، فكان أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو على ناحية ودام حصارها سبعين ليلة[3].

- فتح دمشق:

يُذكر: أن خالداً كان يقضاً قليل النوم، يعلم ما يدور داخل أسوار دمشق، فاستغل فرصة انشغال الروم في أحد احتفالاتهم وغفلتهم عن حراسة الباب الشرقي، فاستعمل سلالم من حبال، وبفضلها صعد نفر من المسلمين أعلى السور وكبروا وفتحوا الباب الشرقي بعد أن قتلوا حراسه، ودخل خالد بقواته من هذا الباب[4]، وقتل كل من عنده من الروم، فلما شاهد الروم ذلك ذهبوا إلى أبي عبيدة وعرضوا عليه الصلح، فقبل منهم وفتحوا له الباب وطلبوا منه أن يمنعهم من خالد وقواته، وفتحت بقية الأبواب ودخلها المسلمون صلحاً، إلا خالداً، فقد دخلها عنوة حتى التقى في وسط المدينة ببقية القوات وصالحوا أهل دمشق على المناصفة، وقسموا معهم للقوة التي عند

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 278.
(2) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين - ج2، ص 156.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 278.
(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 358.

فحل وعند حمص التي كانت رداءً للمسلمين، وبعث أبو عبيدة إلى الخليفة عمر t يخبره بالفتح[1]، وكان فتحها في رجب سنة(14 هـ - 635م)[2].

هـ- يوم فحل:

بعد أن تمكن المسلمون من فتح دمشق بناء على أوامر الخليفة عمر t ، سار أبو عبيدة إلى فحل بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق[3]، وكان أهل فحل قد خرجوا إلى بيسان[*]، وواصل المسلمون المسير حتى وصلوا فحل والروم في بيسان وكان بينهما المياه والأوحال التي أطلقها سكانها عند حصار المسلمين لها، وكتب المسلمون إلى الخليفة عمر t يعلمونه بهذه العوائق التي تمنعهم من عدوهم، وقبل وصول جواب عمر t هجم الروم على المسلمين، واقتتلوا قتالاً شديداً ليلة ويوم إلى الليل، حيث أطل الليل على الروم وأصبحوا حيارى لا يعرفون سبيلاً للتراجع، فتعقبهم المسلمون قتلاً وانهزموا شر هزيمة، فكان قتلاهم ثمانين ألفاً، ولم يتمكن من الهروب إلا القليل منهم[4]، وتعرف هذه المعركة عند معظم المؤرخين العرب: بمعركة

---

(1) شمس الدين: المرجع السابق، ص 262.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 204.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 359.

(*) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي، ويقال: هي لسان الأرض وهي بين حوران وفلسطين. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 527.

(4) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين- ج2، ص 158-159.

الردغة، وبيسان، وفحل[1]، وكانت هذه المعركة في رجب سنة(14 هـ - 635م)[2].

و- فتح بلاد ساحل دمشق:

لما توجه أبو عبيدة إلى فحل استخلف يزيد على دمشق التي سار منها لفتح مدن ساحل دمشق صيدا وعرقة[*] وجبيل وبيروت، وافتتحها بيسر ودون معاناة، وأجلى سكانها وكان على مقدمة جيشه أخوه معاوية[3].

ز- فتح بيسان:

لما فتح شرحبيل بن حسنة فحلاً وجه جيشه ومعه عمرو بن العاص إلى بيسان، حيث أرعب قدومه وما كان عليه مصير الروم في فحل أهل بيسان، الذين تحصنوا بكل مكان، وعند وصول شرحبيل إليهم حاصرهم أياماً ثم خرجوا عليهم فقاتلهم المسلمون حتى رضوا بالصلح على ما صالح المسلمون سكان دمشق[4].

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 280.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 86.

(*) عرقه:بلدة في شرقي طرابلس (الشام) بينهما أربعة فراسخ وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص109.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 281.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 360.

ح- فتح طبرية(*):

بعث أبو عبيدة أبا الأعور(*) إلى طبرية ليحاصرها، فصالح أهلها على ما صالح عليه أهل دمشق، وأن يقاسموا المسلمين منازلهم فنزلها المسلمون[1].

ط- وقعة مرج الروم(*)(15 هـ - 636 م)[2]:

أرسل هرقل جيشاً تحت قيادة تودر البطريق، وآخر بقيادة شنش الرومي مدداً وعوناً لأهل حمص، بعد سماعه بهزيمة جيشه في دمشق والأردن، ومسير القوات الإسلامية إلى حمص[3]، سار أبو عبيدة وخالد إلى حمص حتى نزلا مرج الروم، وفيه نزل جيش الروم، وفي الصباح لم يجد المسلمون إلا جيش شنش، حيث سمعوا بأن تودر سار لاحتلال دمشق، فلحقه خالد وبقى أبو عبيدة لمقاتلة شنش، وعند سماع يزيد بوجهة تودر تعرضه، واقتتلوا

(*) طبرية: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طرف بطبرية وهي في طرف جبل، وجبل الطور المطل عليها، وهي من أعما ل الأردن في طرق الغور بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس.، وبينها وبين عكا يومان وهي مستطيلة على البحيرة. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 17.

(*) أبا الأعور: كعب بن الحارث بن ظالم بن عبس بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار، شهد بدراً وأحد وليس له عقب، قال: عبد الله بن محمد الأنصاري اسم أبي الأعور: الحارث بن ظالم بن عبس، وإنما كعب الذي وقع في الكتب عم أبي الأعور فسماه به من لا يعرف النسب وهو خطأ. ابن سعد: المصدر السابق، ج 7، ص 514.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 281.

(*) مرج الروم: وهو غربي دمشق. المصدر نفسه، ص 338.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 443.

(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 558.

وعندها وصل خالد من خلف الروم، فأصبحوا في كماشة المسلمين ولم يفلت منهم إلا القليل، وتمكن خالد من قتل تودر وغنم المسلمون مغانم كثيرة، ورجع خالد إلى أبي عبيدة[1]، أما أبو عبيدة فقد تمكن من قتل شنش وهزيمة قواته في مرج الروم وقد امتلأ المرج بقتلاهم[2].

ك- فتح حمص(15 هـ - 636 م)[3]:

بعد هزيمة الروم في مرج الروم، واصل أبو عبيدة سيره باتجاه حمص، فنزل حولها وحاصرها ولحق به خالد، وكان حصار المسلمين لها عسيراً، حيث كان ذلك في شتاء بارد صبر فيه المسلمون وصمد فيه أهل حمص، حتى انقضى الشتاء وحينها زاد المسلمون قوات الحصار، حتى طلب أهل حمص الصلح على ما صالحوا عليه أهل دمشق على نصف المنازل وخراج الأرض، وأخذ الجزية على الرقاب، وبعث أبو عبيدة إلى الخليفة عمر t مع عبد الله ابن مسعود، وترك بحمص جيشاً كبيراً مع جماعة من الأمراء منهم بلال والمقداد[4]، وولى عليهم عبادة بن الصامت[*] [5].

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 443.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 338.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 444.

(4) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص52.

(*) عبادة بن الصامت:(38 ق-هـ - 34هـ = 586- 654 م)، عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبوالوليد: صحابي من الموصوفين بالورع شهد العقبة، وبدراً وسائر المشاهد، وحضر فتح مصر وهو أول من وُلي قضاء فلسطين ومات بالرملة أو بيت المقدس. الزركلي: المصدر السابق: ط11، ج 3، ص 258.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 104.

ل- فتح قنسرين[*] (16هـ- 637 م)[1]:

بعد أن فتح المسلمون حمص، أرسل أبو عبيدة خالداً لفتح قنسرين فاعترضه سيناس الرجل الثاني في الإمبراطورية البيزنطية بقوة فهزمه خالد وحاصر قنسرين حتى دخلها عنوة[2].

- ارتحال هرقل إلى القسطنطينية:

بعد مقتل سيناس واضمحلال الوجود الرومي في بلاد الشام، اجُبر هرقل على الهروب إلى القسطنطينية، فاراً بجلده فاقداً لملك كانت إمبراطوريته مهيمنة عليه، وعندما أراد الخروج قال بمرارة: " السلام عليك يا سوريا، سلام لا أجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشئوم، وياليته لا يولد، فما أحلى فعله، وأمره فتنه "[3].

س- فتح حلب وإنطاكية:

بعد فتح قنسرين سار أبو عبيدة إلى حلب، وفي هذه الأثناء سمع أن أهل قنسرين قد غدروا، فأرسل إليها قوة حاصرتها حتى تمكنت من فتحها وغنمت فيها مغانم كثيرة[4].

(*) قنسرين: من نواحي حمص وكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 403.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 224.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 104.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 446.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 342.

واصل أبو عبيدة مسيره إلى حلب، وبالقرب منها وجد جمعاً من العرب عرضوا عليه الصلح على الجزية فصالحهم، ثم أسلموا بعد ذلك ثم أتى حلب فحاصرها حتى طلبوا الصلح والأمان فصالحهم على مناصفة الدور والكنائس، وقيل: أن سكان حلب خرجوا منها قبل قدوم أبي عبيدة إلى إنطاكية فصالحوه ثم رجعوا إليها(1).

بعد فتح حلب سار أبو عبيدة إلى إنطاكية وبها جمع من الهاربين من أهل قنسرين وغيرهم، لاقاهم قريباً منها فهزمهم وأجبرهم على التراجع إلى المدينة، وظل يحاصرهم حتى صالحوه، وبعد رحيل أبي عبيدة عنها نقض أهلها الصلح فأرسل إليها قوة تمكنت من فتحها على الصلح الأول وقد أمر أبو عبيدة هذه القوة أن تظل مرابطة فيها(2).

ع- فتح بيت المقدس(إيلياء)(17هـ - 638 م)(3):

بعد أن تمكنت القوات الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص من فتح بلاد فلسطين لم يبق إلا إيلياء وهي المدينة المقدسة(بيت المقدس) فصمم على فتحها.

- دوافع الفتح:

- العامل الديني: مكانة بيت المقدس عند المسلمين، فمسجدها ثالث المساجد وهي أولى القبلتين، وإليها أسري ومنها أعرج بالرسول **r** (1).

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 104.
(2) المصدر نفسه، ص105.
(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 224.

- العامل السياسي: وهو إنهاء آمال الروم في أرض فلسطين، فتمكنهم من هذه المدينة يساعدهم على فتح مصر بقطع التواصل بين مستعمرات الإمبراطورية البيزنطية[2].

- حصار المسلمين للمدينة:

حاصر المسلمون بيت المقدس أربعة أشهر، عانوا فيها من قسوة البرد، وصبروا فيها على المنجانيق التي نصبها الروم على أسوار المدينة، والتي ألحقت بهم الخسائر، ومع تضايق الروم من الحصار وعدم وصول المدد، وعدم وجود سبيل لفك حصار المسلمين للمدينة، طلبوا الصلح بشرط تولي الخليفة عمر t عقده لما سمعوا عنه من تسامح وعدل[3]، فكتب أبو عبيدة إلى الخليفة عمر t بذلك، فقدم إلى فلسطين بعد أن استخلف علي بن أبي طالب t على المدينة[4].

- وصول الخليفة عمر t إلى الجابية[*]وعقد الصلح:

سار الخليفة عمر t حتى نزل الجابية، فلقيه الأمراء يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد، وجاءه أهل بيت المقدس الذين كان عليهم الأرطبون، الذي هرب

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 564.

(2) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(3) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين - ج2، ص166.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 348.

(*) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر من شمال حوران وبالقرب منها تل الجابية. ياقوت: المصدر السابق، ج 2، ص 91.

إلى مصر فصالحوه على الجزية، وفتحوا المدينة له وكذلك أهل الرملة(*) وقسم الخليفة عمر t فلسطين إلى قسمين، ولى علقمة بن حكيم على نصف وأسكنه الرملة، وعلقمة بن محزز(*) على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس[1].

- فتح الخليفة عمر t لبيت المقدس:

بوصول عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة إلى الخليفة عمر t وهو بالجابية، ساروا جميعاً نحو بيت المقدس فدخلها وكشف عن الصخرة، وأمر ببناء مسجد عليها، وكان ذلك سنة خمس عشرة وقيل: ست عشرة للهجرة[2].

بفتح بيت المقدس تمكن المسلمون من تحرير معظم بلاد الشام من هيمنة الروم، الذين سيطروا عليها زمناً طويلاً، واستعبدوا سكانها ونهبوا خيراتها، وبهذا بدأ المسلمون يستعدون للمرحلة الجديدة، وهي مرحلة الاستقرار وتثبيت نفوذهم في الشام، ومنعاً لعودة الروم إليها استعدوا لملاحقة الروم في مصر لكي يقطعوا دابر الروم قبل أن يستفحل خطرهم.

(*) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت وكانت رباطاً للمسلمين. المصدر نفسه، ج 3، ص 69.

(*) علقمة بن محزز: (توفي سنة: 20هـ - 641 م) علقمة بن محزز بن الأعور الكناني المدجلي: قائد من الصحابة شهد اليرموك وحضر الجابية وكان عاملاً لعمر على حرب فلسطين، ومات غريقاً في طريقه إلى الحبشة غازياً على رأس جيش بعث به عمر. الزر كلي: المصدر السابق، ط7، ج4، ص 248.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 106.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ثانياً: الفتح الإسلامي لمصر:

1ـ مصر الأرض والسكان:

أ- الطبيعة الجغرافية:

- التسمية:

تعددت أسماء مصر في العصور القديمة، حيث أطلق عليها المصريون القدامى (كمت) أي الأرض السوداء، مشيرين بذلك إلى الطمي الذي غمرت به الفيضانات التي لا حصر لها، وعرفت كذلك باسم(تاوى) بمعنى الأرضين، أرض الصعيد (تاشمعوا)، وأرض الدلتا (تامجوا) وظهر هذا الاسم منذ أواخر الألفية الرابعة قبل الميلاد، وأطلق عليها اسم(تامرى)، وهو اسم لم يتضح معناه بعد، فربما يعني أرض الفلاحة أو أرض الحياط، وسموها كذلك(واجات) بمعنى السليمة و(وجات ناتروا) بمعنى عين الأرباب السليمة[1]، واسمها باليونانية مقدونية[2].

ومصر كلمة سامية الأصل بمعنى الحد الفاصل بين أرضين، ظهرت لأول مرة على النقوش الأشورية، وعرفت مصر بوادي النيل أو أرض الكنانة[3]، وأطلق عليها العبرانيون اسم مصرائيم[1].

(1) مهران، محمد بيومى: مصر والشرق الأدنى القديم - مصر منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية - ط4، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1988م، ج1، ص 22.
(2) الهمذاني: المصدر السابق، ص 115.
(3) مهران: المرجع السابق، ج1، ص 22 – 23.

- الموقع والمناخ والسطح:

* الموقع:

تحتل مصر الركن الشمالي الشرقي لإفريقيا، وتشغل الحوض الأدنى لنهر النيل[2]،وقيل: "أن أرض مصر محدودة أربعين ليلة في مثلها، طولها من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش[*]إلى أسوان وعرضها من برقة[*]إلى ايلة[*][3].

* المناخ:

مناخ مصر حار وجاف[4]، ترتفع الحرارة صيفاً ارتفاعاً كبيراً[5]، وتزداد كلما اتجهنا جنوباً، وإذا ما هبت الرياح الشمالية فإنها تخفض من وطأة أشعة الشمس، وفي فصل الشتاء مناخها لطيف منعش، والسماء صافية ساطعة طوال السنة تقريباً، فالأمطار نادر سقوطها وإذا ما سقطت فإنها بسبب تعرض البلاد

(1) الفاسي، الحسن بن محمد الوزان: وصف افريقيا، ترجمة محمد صبحي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ج2، ص 189.
(2) عصفور: المرجع السابق، ص50.
(*) العريش: هي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 113.
(*) برقة: اسم صقع كبير بين الإسكندرية وأفريقيا. المصدر نفسه، ج1، ص388.
(*) ايلة: تقع علي ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام وهي أخر الحجاز وأول الشام. المصدر نفسه، ج1، ص 292.
(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 137.
(4) شربل: المرجع السابق، ص 583.
(5) الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص 191.

للأعاصير الشتوية بوجه عام، وتتناقص كميتها باتجاه الجنوب والشرق[1]، ومعدل المطر شتاء(50ملم)[2].

* السطح:

أرضها عموماً عبارة عن: واد منبسط تحف به الصحاري من الجانبين الشرقي والغربي، ولولا وجود نهر النيل بها لأصبحت هي الأخرى جزءاً من الصحاري المحيطة بها وقد وصفها هيرودوت بعبارته الشهيرة:" مصر هبة النيل"[3]، ويقسم النيل هذه الصحراء الواسعة بواسطة الدلتا[4]، وتنقسم أرض مصر جغرافياً إلى قسمين: مصر العليا وهي وادي ضيق في الجنوب، ومصر السفلى وهي دلتا واسعة في الشمال[5].

- نهر النيل:

من أعظم أنهار الدنيا وأطولها من البحيرات الكبرى في جنوب خط الاستواء، ويجري متجهاً نحو الشمال، ويلتقي به في السودان النيل الأزرق وعطبرة ويمدانه بالطمي(الفرين) ويخترق النيل في ما بين الخرطوم وعطبرة هضبة بلاد النوبة، وتعترض مجرى النيل من الخرطوم حتى الفانتين صخور تجعل الملاحة صعبة في هذا المجرى عند انخفاض الماء[6].

---

(1) دلو، برهان الدين: حضارة مصر والعراق(التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي والسياسي) ط1، دار الفارابي، بيروت 1989 م، ص 41.

(2) شربل: المرجع السابق، ص 538.

(3) عصفور: المرجع السابق، ص50.

(4) شربل: المرجع السابق، ص 539.

(5) عبد الستار: المرجع السابق، ص 8.

(6) دلو: المرجع السابق، ص 42.

لقد وصف القزويني نهر النيل فذكر:" نهـر النيـل أطـول الأنهـار، ويـصب من الجنوب إلى الشمال، وأصل مجراه من بلاد الزنج ثم يمر بـبلاد الحبـشة حتـى ينتهي ببلاد النوبة، ثم لا يـزال جاريـاً بـين الجـبلين بينهمـا قـرى وبلـدان حتـى يصب في البحر"[1].

تختلف الآراء حول أصل النيل فمنهم من يقول: إنه ينبع من جبل يـسمى جبل القمر، ومنهم من يزعم أنه ينبع من سهول مهجورة بسفح هذا الجبـل مـن عدة عيون متباعدة جداً بعضها عن بعـض، وقيـل: أن النيـل يتـسع في الجنـوب شيئاً فشيئاً ويصير كأنه بحيرة يتعذر التعرف على رسم مجراه[2]، وللنيـل موسـم لفيضانه يدوم في مصر أربعين يوماً ابتداء مـن الـسابع عـشر مـن يونيـو ويـدوم تناقصه أربعين يوماً كذلك، وقبل أن يصل الفيضان إلى مـصر يبقـى طيلـة شـهر مايو وجزءاً من شهر يونيو وهو ينحـدر في مجـرى النيـل[3]، وقـد تـشهد بعـض المواضع في مجراه في بعض الفترات أن تنضب وتجـف مـدة مـن الـزمن وتـصير أرضاً يابسة ثم يعود الماء إليها[4].

يقاس فيضان النيل بواسطة الآلـة الموجـودة بجزيـرة المقيـاس القريبـة مـن موضع الفسطاط[5]، وجعلت للنيل في مـصر عـدة تـرع، وهـي مفتـاح المـاء إلى الأرض وإلى الجداول ومن أهمها: ترعة ذنب التمساح، وترعـة بلقينـا، وخلـيج

(1) القزويني: المصدر السابق، ص 265- 266.
(2) الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص 256- 257.
(3) المصدر نفسه، ص 256.
(4) الهمذاني: المصدر السابق، ص 121.
(5) الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص 213.

سردوس، وخليج ذات الساحل، وتفتح هذه الترع إذا كان الماء زائداً في بعض الفترات[1].

ب- السكـــان:

- السكان الأصليون:

وهم السلالة المباشرة لقدماء المصريين الفراعنة[2]، ويمثلون الأغلبية الساحقة من سكان مصر، وقد اختلط بهم منذ زمن الفراعنة عدة عناصر أخرى بعضها أتى من بلاد النوبة في الجنوب والبعض من ليبيا من الغرب، والبعض من الفئات السامية في الشرق، ومنهم من أتى من الحامية في الشمال تمازجت كل هذه العناصر في وادي النيل فكونت شعباً واحداً ظل محافظاً على ميزاته[3].

- القبائل العربية:

سكنت مصر قبل الإسلام عدة قبائل من فرعي العرب الكبيرين القحطانيين الزراع، وكانوا يعبرون البحر ويستقرون في الوادي ويختلطون بالسكان، والعدنانيين الذين كانوا يجوبون الصحراء كبدو رحّل وبهذا لم يختلطوا كثيراً بالمصريين، وكانت موجات المهاجرين من الفرعين تأتي إلى وادي النيل عبر البحر الأحمر، وعن طريق سيناء التي كانت منذ القدم قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات[4]، حيث شهد مطلع ظهور المسيحية توافد عدد من القبائل

---

(1) المسعودي: المصدر السابق، ج1، ص 353.
(2) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص46.
(3) عبد الستار: المرجع السابق، ص 6.
(4) مهران: المرجع السابق، ج1، ص 43.

العربية إلى مصر مثل قبائل طي، ولخم، وجذام، وتلتها هجرة بطون من خزاعة، وهم فرع من الأزد خرجوا في الجاهلية إلى مصر بسبب القحط[1].

- العناصر السكانية الوافدة:

*** اليهود:**

من العناصر السكانية التي كانت موجودة قبل الفتح وكانوا يمتهنون حرفة التجارة، وكان جلهم يسكن الإسكندرية[*]، وما ورودهم في نص معاهدة الإسكندرية إلا أنهم كانوا يشكلون عنصراً مهماً من عناصر السكان[2]، حيث تذكر الرواية التاريخية: "أن عمراً بن العاص كتب كتاباً إلى الخليفة عمر t عقب فتح الإسكندرية من بين محتوياته أن عمراً حدد فيه عدد اليهود بالإسكندرية بأربعين ألفاً"[3].

---

(1) المرجع نفسه، ص 43 - 44.

(*)الإسكندرية: يقال: ان الإسكندر والفرما كانا أخوين بنى كل منهما مدينة بأرض مصر وسماها باسمه ولما فرغ الإسكندر من بناء مدينته قال: "قد بنيت مدينة الى الله فقرية وعن الناس غنية" فبقيت بهجتها ونضارتها الى اليوم وقال الفرما: لما فرغ من بناء مدينته "قد بنيت مدينة عن الله غنية والى الناس فقيرة" فذهب نورها فلا يمر يوم وشيء منها ينهدم وأرسل الله اليها الرمال فردمتها الى أن دثرت وذهب أثرها وقد اختلف في اول من أنشأ الإسكندرية فيقال: انها ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وذكر آخرون: ان الذي بناها هو الإسكندر الأول ذوالقرنين الرومي. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص183 – 184

(2) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 581.

(3) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 186.

* الرومان:

سكن مصر جماعة من الرومان بعد أن تمكنوا من احتلالها سنة(30ق.م)، وظلوا هم سادة البلاد حتى الفتح الإسلامي[1].

2ـ مصر قبل الفتح الإسلامي:

أ- الاحتلال الروماني لمصر:

كانت أوضاع البلاد قبيل الفتح أوضاعاً سيئة نظراً لهيمنة الرومان على البلاد، وتسلطهم على مقدرات وخيرات مصر حيث ظلت البلاد طيلة حكم الرومان جزءاً من كيان الإمبراطورية الرومانية[2]، حيث ربط الإمبراطور الروماني مصر بالكنيسة الإمبراطورية وعين كورش بطرياركاً على الإسكندرية سنة (631م)، وأطلق عليه اسم المقوقس والذي كان بسياسته الكنسية قد أثقل كاهل المصريين بجباية الضرائب الكثيرة[3]، فضلاً عن ذلك فقد أحكم الرومان سيطرتهم العسكرية باتخاذ الإسكندرية عاصمة لهم في مصر يديرون فيها شؤون البلاد، وقاموا ببناء الحصون والقلاع في معظم مناطق البلاد[4]، وقد عرفت البلاد في الفترة التي شهدت دخول المسلمين إليها اضطراباً وانشقاقاً بسبب تردي أحوال الإمبراطورية الرومانية التي أصبحت عاجزة على المحافظة عن

---

(1) يحي، لطفي عبدالوهاب: العرب في العصور القديمة – مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام - دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990م، ص 422.

(2) المرجع نفسه، ص 425.

(3) بروكلمان: المرجع السابق، ص 99- 100.

(4) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 579.

مناطق نفوذها في الشام، فضلاً عن ذلك الانقسام الديني الذي حدث بين الـروم وسكان مصر من الأقباط[1].

ب- العلاقة بين السكان ودولة الاحتلال:-

كانت بين سكان مصر والروم المحتلين علاقة مشحونة بالعداء والكراهيـة، نظراً لمعاناة المصريين من تسلط الروم، حيث هان علـيهم الانتقـال مـن سـلطان إلى سلطان فراراً من الظلـم والـضغط[2]، حيـث أنهكـتهم الأعبـاء الماليـة الـتي فرضها الروم عليهم، فضلاً عن ذلك كان هنـاك ضـغط سياسـي واجتمـاعي لا يقل عن الضغط الاقتـصادي[3]، فكانـت نظـرة الـروم للمـصريين نظـرة الـسيد للمنهـزم[4]، ونتيجـة لقـوة تـسلط الـروم علـى الـبلاد يـئس المـصريون مـن الاستقلال، فلا يهمهم إذا كان حاكمهم رومياً أو عربياً، وإنما يهمهـم أن يكـون لهم راحة تحت سلطانه[5].

3ـ الفتح الإسلامي لمصر:

أ- مقدمات الفتح:

يرجع فضل التفكير في فتح مصر إلى عمـرو بـن العـاص، الـذي اسـتأذن الخليفة عمر t وهو بالجابيـة في فتحهـا، لكـن الخليفـة عمـر t كـان مـترددا في

(1) زيدان، جورجي: تاريخ التمـدن الإسـلامي، ط4، مطبعـة الهـلال، (د.م) 1935م، ج1، ص62.
(2) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(3) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 43
(4) بروكلمان: المرجع السابق، ص 100.
(5) زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 62.

إرسال المسلمين إلى مصر لأنها مغامرة كبيرة يخشى عواقبها على المسلمين، وبخاصة أن جيش المسلمين كان موزعاً على عدة جبهات، وكذلك فإن جيش المسلمين كان في حالة استنفار وحرب على الجبهة الشامية، وكان الخليفة عمر t يريد إعطاءه فترة راحة وإعادة تنظيم، وتأجيل فتح مصر إلى فترة لاحقة، فضلاً عن ذلك عدم الدراية التامة بأرض مصر ودروبها وحجم القوات البيزنطية فيها، وخاصة بعد فرار أرطبون إليها عند فتح بيت المقدس، إلا أن الخليفة عمر t وافق بعد إلحاح عمرو بن العاص الذي كانت له دراية بأرض مصر، حيث زارها أيام الجاهلية ولهذا كان متحمساً لهذا الهدف[1].

بعد أن نجح عمرو في إقناع الخليفة عمر t بفتح مصر، حيث هون عليه فتحها وذكر له كثرة خيراتها، وأنها سوف تكون عزاً للمسلمين فعقد له في أربعة آلاف وقال له:" سيأتيك كتابي سريعاً، فإن لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف قبل أن تدخل شيئاً من أرضها فانصرف، فإن دخلتها ثم جاءك كتابي فامض واستعن بالله"[2]، وهذا يوضح حرص الخليفة عمر t على المسلمين والخوف عليهم وعدم المجازفة في اختبار لا يعلم عاقبته ولهذا شعر بالندم على الرغم من تبسيط عمرو له هذا الأمر، وتذكر الرواية التاريخية:" أن كتاب الخليفة عمر t وصل إلى عمرو قبل أن يدخل مصر، غير أنه سار مسرعاً بقواته حتى دخل أرضها وحينها نظر ما في الكتاب"[3].

(1) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي - تاريخ الخلفاء الراشدين - ج2، ص 170.
(2) اليعقوبي: المصدر السابق، ج1، ص101.
(3) المصدر نفسه، ص 110.

كانت القوة التي سار بها عمرو تقدر بأربعة آلاف يتمون إلى قبيلة عك، وفي رواية أخرى أنها كانت حوالي(3500) رجل، وأن ثلثهم من قبيلة غامق، ويبدوا أنها كانت حملة استطلاعية على الرغم من معرفة عمرو بأحوال مصر السياسية، بعد ذلك أرسل الخليفة عمر t إمدادات جديدة تراوحت بين (10000 إلى 12000) مقاتل، على رأسهم الزبير بن العوام ومجموعة أخرى من الصحابة كالمقداد بن الأسود(*) وعبادة بن الصامت(1).

ب- أسباب الفتح:

- تأمين فتوحات الشام بفتح مصر، خشية أن يتخذها الرومان قاعدة لاسترداد ما فتح.
- كراهية سكان مصر للروم مما يساعد المسلمين على فتحها لأنهم لن يقاوموهم.
- باعتبار مصر امتداداً لجنوب فلسطين وفتحها لا يكلف إلا القليل.
- أن فتحها يمنع هروب جنود الروم إليها من الشام، كما فعل أرطبون الذي جمع حشوداً لمقاتلة المسلمين في بلبيس.

(*) المقداد بن عمرو: (37ق-هـ - 33هـ=587-653م) يعرف بابن الأسود الكندي البهراني الحضرمي أومعبد أو أبو عمرو: صحابي من الأبطال وهو أحد السبعة الذين كانوا اول من أظهروا إسلامهم. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج7، ص 282.

(1) ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري: تاريخ خليفة ابن خياط، راجعه وضبطه مصطفى نجيب فواز وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 م، ص 79.

- كثرة ثروات مصر وخيراتها يغري بالفتح، ويزيد من قوة المسلمين ويضعف من قوة الروم[1].

- تحقيق قول الرسول r :(إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم منكم صهراً وذمة)[2].

ج- تاريخ الفتح:

اختلف المؤرخون: في تحديد السنة التي فتح فيها عمرو مصر ومن هذه الآراء ما يلي:

الرأي الأول: يذكر أن فتح مصر ابتدأ سنة (18هـ - 639م) إلى سنة (20 هـ - 641 م)[3]، والرأي الثاني: يذكر أن عمراً سار لفتح مصر وأتبعه الزبير بن العوام، ففتحا مصر في سنة(20هـ - 641م) أو(22هـ - 643 م) أو (25هـ - 646 م)[4]، والرأي الثالث: يرى أن عمراً افتتح مصر عنوة سنة (19هـ - 640 م)[5]، حيث قيل: أن عمراً افتتح

---

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 570.

(2) العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي: كشف الخفاء، ومزيل الألباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق سعيد بن أحمد الحلبي العطار، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م، ج2، ص 212.

(3) دحلان، أحمد بن زيني: الدولة الأموية، دار المعرفة، بيروت 1938 م، ج1، ص 56.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص114.

(5) اللحام، بديع الزمان: موجز تاريخ الإسلام، دار الإيمان، بيروت 1988م، ص83.

مصـــر سنـــة (20هــ - 641م)[1]، وهـذا التـاريخ هـو الأقـرب إلى الـصواب نظراً لاتفاق معظم المؤرخين العرب عليه.

د- عمليات الفتح:

- فتح العريش والفرما(*):

سار عمـرو في أرض مـصر حتـى لحـق بـه الـزبير بـن العـوام[2]، مخترقـاً صحراء سيناء حتى وصل للعريش فاستولى عليها دون مقاومة تـذكر، ثـم سـار حتى وصل الفرما، وكانت تعتبر مفتـاح مـصر فحاصـرها المـسلمون أكثـر مـن شهر ولعب المصريون دوراً هاماً في مساعدة المسلمين ضد الروم حتـى سـقطت في يد المسلمين سنة(19-هـ - 640م)[3].

-فتح بلبيس(*):

بعد فتح الفرما اتجه عمرو إلى الجنوب الغربي، حتى وصل إلى موضـع في برزخ السويس فأخذ طريق الصحراء خـشية أن يتعـرض لمواجهـة في الأراضـي المزدحمة بالسكان، كذلك اتخاذ الصحراء حصناً له وقت الحاجـة، وتجنـب عبـور القنوات وفروع النيل نظراً لعدم وجود الإمكانيات لكل ذلك، لأن قواتـه كلـها

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 512.

(*) الفرما: مدينة على الساحل من ناحية مصر وهى حصن على ضفة البحر. ياقوت: المـصدر السابق، ج4، ص 255.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 405.

(3) شلبي: المرجع السابق، ج1، ص 405.

(*) بلبيس: مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريـق الـشام. يـاقوت: المـصدر السابق، ج 1، ص 479.

من الفرسان، سار عمرو بقواته حتى اقترب من بلبيس وعندها ظهر له الأرطبون ودارت معركة قوية انتهت بهزيمة الأرطبون، وبانتصار كبير للمسلمين، فقد رُوي: " أن عدد القتلى من الروم بلغ ألف قتيل، وأسر ثلاثة آلاف من بينهم(أرمانوسة) بنت بطريق الإسكندرية، فأرسلها عمرو إلى أبيها مكرمة فقدر أبوها هذا العمل لعمرو"(1).

- فتح أم دنين(*) وعين شمس(*):

بعد أن تمكن المسلمون من فتح بلبيس لم يبق بين العرب ورأس الدلتا إلا مسيرة يوم واحد، فسار عمرو جنوباً ومر بمدينة هيلوبوليس(*)، حتى وصل إلى قرية صغيرة على النيل شمال حصن بابليون(*) تسمى أم دنين، فدارت بينه وبين الروم معركة هائلة انتهت بسقوط أم دنين وعين شمس، وقد وضع عمرو خطة حربية، حيث قسم جيشه إلى ثلاثة أقسام، لاقى القائد تيودور بقسم من الجيش، ووضع كميناً للروم عند الجبل الأحمر شرق العباسية(*)،

---

(1) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين - ج2، ص 173 – 174.

(*) أم دنين: قرية صغيرة كانت بين القاهرة والنيل اختفت بمنازل ربض القاهرة. ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 251.

(*) عين شمس: اسم مدينة فرعون موسى بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ بينه وبين بلبيس من ناحية الشام قرب المطرية وليست على شاطيء النيل. المصدر نفسه، ج 4، ص178.

(*) هيلوبوليس: معناها مدينة الشمس. عبودي:المرجع السابق، ص 585.

(*)بابليون: هو اسم عام لديار مصر بلغة القدماء وقيل: هو اسم لموضع الفسطاط خاصة، ومعناها الفرقة الطيبة. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 311.

(*) العباسية: هي بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ذات نخل طوال. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 75.

وكميناً آخر قرب أم دنين، ولما حمى القتال خرج الكمين الذي عند الجبل على الأعداء، فتراجعوا إلى أم دنين فأخذهم الكمين الذي عندها فعمت الفوضى في صفوفهم وانهزموا إلى حصن بابليون[1].

- معركة بابليون (20هـ - 641م)[2]:

بتراجع الرومان إلى حصن بابليون حاصرهم المسلمون، وكان الحصن من المناعة والحصانة بحيث لا يمكن اقتحام أسواره أو تخريب أبراجه، فلما صعب على عمرو فتح الحصن وطال الحصار كتب إلى الخليفة عمر t يستمده فأمده بأربعة آلاف رجل، وكتب إلى عمرو " إني أمدتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام، وعبادة ابن الصامت، والمقداد بن عمرو، ومسلمة بن مخلد"[*] [3].

وتذكر الرواية التاريخية:"أن قدوم المدد على رأسه الزبير بن العوام وجماعة من الصحابة كان قبل فتح عين شمس وهي المطرية"[4]، ويذكر البعض الآخر:"

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 573-574.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 512.
(*) مسلمة بن مخلد: (1-62 هـ =622 – 682م) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي: من كبار الأمراء في صدر الإسلام وفد علي معاوية قبل أن يستتب له الأمر وشهد معه معارك صفين فولاه مصر سنة (47 هـ) ثم أضاف اليه المغرب فأقام بمصر. الزركلي: المصدر السابق، ط 11، ج 7، ص224.
(3) ابن عبد الحكم القرشي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن 1920م، ص 91.
(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 114.

أن المدد الذي جاء مع الزبير كان عشرة آلاف، ويقال: اثني عشر ألفاً، فيهم خارجة بن حذافة(*)وعمير بن وهب الجمحي(*)،(1).

- فتح الحصن وعقد المعاهدة:-

عندما طال الحصار، أخذ قيرس وهو المقوقس حاكم مصر، يفاوض عمراً على شروط الصلح بعد أن قدر عاقبة الهزيمة، وربما أراد كسب الوقت للمقاومة، ونقل شروط الصلح إلى بيزنطة فرفضها الروم واستؤنف القتال من جديد، وتمكن المسلمون من فتح الحصن، وعقد معاهدة مع المصريين تعرف بمعاهدة حصن بابليون الأولى سنة(20هـ - 641م)(2)، وبسقوط هذا الحصن الذي حاصره المسلمون أكثر من ثمانية أشهر فقد الروم أكثر من نصف مصر(3).

نلاحظ من سير الحرب أنها لم تكن قائمة إلا بين المسلمين والروم، وأن القبط وقفوا محايدين، وكانوا يتمنون النصر للمسلمين، لما سمعوه عنهم من طيب المعاملة وحسن السياسة، ولهذا استمر الروم وراء حصن بابليون سبعة

(*) خارجة بن حذافة العدوي: (توفي سنة: 41هـ - 660 م) خارجة بن حذافة بن غانم من بني كعب بن لؤي: صحابي من الشجعان كان يعد بألف فارس، أمد به عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فشهد معه فتح مصر وولي شرطتها. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج2، ص 293.

(*)عمير بن وهب الجمحي: (توفي سنة: 22هـ - 643م) عمير بن وهب بن خلف الجمحي أبو أمية: صحابي شهد وقعة بدر مع المشركين وأسلم قبل معركة أحد وشهد المعركة مع المسلمين. المصدر نفسه، ج5، ص 89.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 310.

(2) كرير وآخرون: المرجع السابق، ص 173.

(3) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي –تاريخ الخلفاء الراشدين - ج2، ص 179.

أشهر والمسلمون يزدادون إصراراً على الفتح وزادهم في ذلك الإيمان وحب الجهاد[1].

-فتح الإسكندرية(20 هـ- 641م)[2]:

بعد أن عقدت المعاهدة بين المسلمين والرومان، أرسل عمرو إلى الخليفة عمر t : يبشره بفتح حصن بابليون ويطلب منه المدد[3]، ثم أن عمراً سار إلى الإسكندرية وفي الطريق تجمع له جمع من الروم والقبط وقالوا: " نغزوه قبل أن يغزونا ويروم الإسكندرية"، فالتقوا ودارت معركة انتهت بهزيمتهم[4].

* حصار المدينة:

واصل عمرو السير حتى انتهى إلى الإسكندرية فوجد أهلها مستعدين لقتاله، إلا أن القبط يريدون الصلح، فأرسل المقوقس إلى عمرو يعرض عليه الصلح، غير أن عمرو رفض ذلك وحينها أراد المقوقس إرهاب المسلمين، فتظاهر لهم بأنه يملك جيشاً قادراً على حماية حصن الإسكندرية وذلك بوضع النساء على سور المدينة مقبلات وجوههن إلى داخله، وأقام الرجال على السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين[5]، فأرسل إليه عمرو:" إنا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غلبنا ما غلبنا فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان "، فقال المقوقس لأصحابه:" لقد صدق هؤلاء القوم، أخرجوا ملكنا من دار

(1) الشيال، جمال الدين: دراسات في التاريخ الإسلامي، دار الثقافة، بيروت 1964 م، ص81.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 512.
(3) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي – تاريخ الخلفاء الراشدين -ج 2، ص179.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 407.
(5) البلاذري: المصدر السابق، ص 319 – 320.

مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية فنحن أولى بالإذعان " فأغلظوا له القـول وأبـوا إلا المحاربة[1].

كانت الإسكندرية مدينة حصينة لها أسوار محكمة البناء ولهـا حـصن منيـع بناه الفرس في فـترة احـتلالهم لهـا، وكـان مـن الناحيـة الـشرقية، وأدرك عمـرو استحالة دخول الإسكندرية لمناعتها ففصل جزءاً من جيشه يحاصـرها وأن يـسير هو بالجزء الآخر إلى مصر السفلى[2]، فسار إلى دمنهـور[*]ثـم إلى إقلـيم الغربيـة ثم إلى سنجا[*]، ومنها تحرك إلى الجنـوب حتـى وصـل إلى طـوخ[*] الواقعـة إلى الشمال من طنطا[*]، ومن طوخ عبر فرع دمياط[*] إلى دمـسيس[*]، ويقـال: أنـه لم يفتح هذه البلاد لمناعة أسوارها و لإحاطة المياه بها وبعد هذه الرحلة الطويلـة التي استمرت سنة كاملة في إقليم الدلتا رجع إلى الإسكندرية[3].

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 320.

(2) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 233.

(*) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر: متوسطة في الصغر والكبر. ياقوت: المصدر السابق، ج 2، ص 472.

(*) سنجا: كورة بمصر قصبتها سنجة بأسفل مصر. المصدر نفسه، ج 3، ص 169.

(*) طوخ: هي قرية في صعيد مصر على غربي النيل. المصدر نفسه، ج 4، ص 46.

(*) طنطا: من قرى مصر على النيل المفضي إلى المحلة وهى من كور الغربيـة بينهـا وبـين المحلـة ثمانية أميال. المصدر نفسه، ص 43.

(*) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيـل مخـصوصة بـالهواء الطيب. المصدر نفسه، ج2، ص 472.

(*) دمسيس: قرية من قرى مصر بينها وبين سمنوت أربعة فراسخ وبينهـا وبـين بـر فرسـخان ويضاف اليها كورة دمسيس ومنوف. المصدر نفسه، ص 463.

(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسـلام – الـسيرة النبويـة – الخلافـة الرشيدة)، ص 580.

*** فتح المدينة:**

تـذكر الروايـة التاريخيـة:" أن عمـراً فـتح الإسـكندرية بالـسيف بعـد أن حاصرها ثلاثة أشهر وغنم ما فيها وترك أهلها فيها، ولم يقتـل ولم يـسب وجعـل لهم ذمة وكتب بذلك إلى الخليفة عمـر t وبعـث إليـه بالأخمـاس"[1]، وقيـل:" أن المقوقس صالح عمرو على اثني عشر ألف دينار على مـن أراد البقـاء مـن أهـل الإسكندرية فيبقى ومن أراد الخروج فله ذلك"[2].

*** معاهدة الإسكندرية: نصت هذه المعاهدة على ما يلي:**

- أن تعقـد هدنـة مـدتها أحـد عـشر شـهراً تنتهـي في(28 سـبتمبر سنة642م).
- أن يبقى العرب في مواضعهم مدة الهدنـة علـى ألا يقومـوا بعمـل حربي ضد الإسكندرية، وأن يوقف الروم كل الأعمال العدائية.
- أن ترحل حامية الإسكندرية إلى البحـر وأن يحمـل الجنـود معهـم متاعهم وأموالهم على أنه من أراد الرحيل براً له ذلـك بـشرط أن يدفع جزية شهرية ما بقى في رحلته في أرض مصر.
- ألا يحاول الروم استرداد مصر ولا تعود إليها قوة بحرية.
- أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين كل عام.
- ألا يتعـرض المـسلمون للكنـائس بـسوء وألا يتـدخلوا في شـئون المسيحية.

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 320.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 408.

- أن يسمح لليهود البقاء في الإسكندرية.
- أن يبقى في أيدي المسلمين مئة وخمسون جندياً وخمسون مدنياً لتنفيذ هذه المعاهدة.أمضيت هذه المعاهدة سنة(21 هـ– 642م)[1].

لم يحترم الروم هذه المعاهدة بعد عودة عمرو إلى الفسطاط، وتركه حامية عليها بقيادة عبد الله بن حذافة بن قيس[*]، كتب الروم إلى ملكهم قسطنطين يعلموه بقلة عدد المسلمين بالمدينة، فبعث ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلين وعليهم القائد مانويل، فتمكن من دخول الإسكندرية وقتل من بها من المسلمين إلا من هرب، وكان ذلك سنة(25هـ– 646 م)، وبلغ ذلك عمراً فسار إليهم في خمسة عشر ألفاً فتمكن من هزيمتهم، وقتل المقاتلة، وسبى الدرية، وقتل مانويل، وقام بهدم جدار الإسكندرية[2]، ويذكر البلاذري: أن تاريخ هذه المعركة كان سنة(23هـ – 644م)، ووضع عمرو على أرض الإسكندرية الخراج، وعلى أهلها الجزية، ويقال: أن المقوقس ترك أهل الإسكندرية حين نقضوا المعاهدة، فجعله عمرو عليهم[3].

---

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 581-582.

(*)عبد الله بن حذافة بن قيس: (توفي سنة: 33هـ- 653م) عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي أبوحذافة: صحابي أسلم قديما وبعث به النبي r الى كسرى وهاجر الى الحبشة وقيل: شهد بدراً. الزركلي: المصدر السابق، ط7، ج4، ص 78.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 320 – 321.

(3) المصدر نفسه، ص 321.

-فتح بلاد الصعيد:

كان فتح مصر العليا أمراً بسيطاً مقارنة بغزو بقية البلاد المصرية، فقد أرسل عمرو سرايا من جيشه في أثناء حصاره للإسكندرية، فسارت حتى وصلت طيبة[*]، وبعد فتح الإسكندرية أرسل خارجة بن حذافة لإكمال فتح بلاد الصعيد[1]، وقيل: " أن عمرو عندما فتح مصر والإسكندرية غزا بلاد النوبة ولكنه لم يظفر، وبقيت حتى صالحهم عبد الله بن أبي السرح[*]أيام خلافة عثمان t على عدة رؤوس في كل سنة، ويهدي إليهم المسلمون طعاماً وكسوة فاستمر ذلك فيها "[2].

(*) طيبة: كورة الأشمونيين بالصعيد. ياقوت: المصدر السابق، ط7، ج4، ص 53.

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة) ص564.

(*)عبد الله بن أبي السرح: (توفي سنة:37 هـ -657م) عبد الله بن سعد بن السرح القرشي العامري، من بنى عامر بن لؤي من قريش: صحابي أسلم قبل فتح مكة وهو من اهلها. الزركلي: المصدر السابق، ط7، ج4، ص 88 – 89.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص115.

المبحث الثالث

قيام المعسكرات البدائية للجند

أولاً: بداية التأسيس:

بعد انتهاء الفتوحات الإسلامية في العراق والشام ومصر، كان لابد من إيجاد قواعد ومعسكرات ثابتة تؤمن الوجود الإسلامي في هذه المناطق المفتوحة، فضلاً عن ذلك لتكون بمثابة قواعد لتنظيم الجيش إدارياً ونقطة انطلاق لفتح المناطق الأخرى أو للقضاء على أية مقاومة، وكان العرب في بداية حركة الفتح يعتمدون على معسكرات متنقلة غير ثابتة، وما إن زاد عدد المقاتلين حتى أصبح حتمياً إيجاد مقر لهؤلاء لتنظيم أمورهم[1].

لقد أدرك الخليفة عمر t الذي تمت في زمنه أعظم الانتصارات الأولى في الفتوحات الإسلامية، أهمية الاستقرار في السنوات الأولى من خلافته بعد هذه الانتصارات فأمر بتأسيس الأمصار[*] لتفي بغرضها المأمول[2]، فقد كان الخليفة عمر t يعي الدور الكبير الذي سوف تلعبه هذه المعسكرات في تثبيت أقدام المسلمين في المناطق المفتوحة، وتأمين سلامة الجيش خاصة وأن الخليفة عمر t كان أحرص الناس على الجيش الإسلامي، حيث يذكر: أن السبب

---

(1) قاسم: المرجع السابق، ص 14.

(*) الأمصار: حد بين أرضين أو بين شيئين – مدينة كبيرة - عاصمة كل كورة تقام فيها الحدود يقسم فيها الفيء والصدقات - ومثناه مصران. غالب، عبد الرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت 1988م، ص388.

(2) العلي، صالح أحمد: خطط البصرة ومنطقتها، دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العصور الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي، بغداد 1986م، ص 5.

المباشر الذي دفع الخليفة عمر t ليأمر بتأسيس المعسكرات، والثابت هو: خوفه على صحة الجيش، وذلك عندما علم بأن العرب الفاتحين تغيرت ألوانهم ورأى ذلك في وفودهم فسألهم فقالوا: "وخومة البلاد غيرتنا"، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص قائده في العراق يسأله عن ذلك فأجابه: "غيرتهم وخومة البلاد والعرب لا يوافقها من البلاد إلا ما وافق إبلها"[1]، فأمر الخليفة عمر t بإقامة معسكرات جديدة للجند تكون مقراً لهم ونقطة انطلاق لفتوحاتهم، وقد وضع الخليفة عمر t استراتيجية مدروسة لاختيار موضع هذه المعسكرات، حيث اشترط على قواده في اختيار مكان هذه المعسكرات شروطاً.

1ـ شروط اختيار موضع المعسكرات:

أ- ألا يفصلها عن الخلافة في المدينة حاجز مائي.

ب- أن يكون مناخها ملائماً لأهل الصحراء ومواشيهم[2].

لقد أراد عمر t بهذه الشروط تأمين سلامة الجند بعدم وجود عائق مائي يمنع إيصال المدد إليهم، ويمنعهم من التراجع وقت الخطر، وقد يقطع خط الاتصال بينه وبينهم، فضلاً عن ذلك عدم الدراية وقلة إمكانياتهم البحرية، إيجاد المكان الملائم لمناخ الجزيرة العربية، حتى لا تضعف أبدان الجند وبالتالي تضعف هممهم العسكرية ويكون المكان قريباً من مصدر المياه والمرعى.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 110.
(2) العلي: المرجع السابق، ص 5- 6.

2ـ أهداف التأسيس:

أنشأ المسلمون قواعد ومعسكرات جديدة في كل من(البصرة، الكوفة، الفسطاط) حيث كان للعامل العسكري دور كبير في اختيار موقعها ومن ثم تأسيسها، فالكوفة والبصرة كانتا قد اختيرتا في فترة تاريخية متقاربة إلى درجة كبيرة، وكان الهدف هو تقسيم المنطقة إلى جبهتين عسكريتين، فصار القسم الشمالي من العراق المتمثل في المدائن وما جاورها من اختصاص قيادة الكوفة، وأما القسم الجنوبي المتمثل في الأُبُلّة والأحواز[*] فصار من اختصاص قيادة البصرة، أما الفسطاط التي اختار موضعها القائد عمرو بن العاص فكان دورها الإشراف على عمليات فتح مصر بالدرجة الأولى وجزء من المغرب وشمال إفريقيا[1].

إن هذه المعسكرات الثلاثة لعبت دوراً مميزاً في حركة الفتح الإسلامي، وكان لها الأثر الكبير في تنظيم الجند واستقبال الأعداد الكبيرة الوافدة إليها من المسلمين، وعودة الجند وارتياحهم من مشقة الطريق والمكان الذي يأويهم عند سوء الطقس.

3ـ التنظيمات العسكرية والإدارية للمعسكرات البدائية:

وضع الخليفة عمر t عدة ضوابط تنظم هذه المعسكرات، ومن بينها أن الجندية مقتصرة على العرب وحدهم دون أهل الذمة، ولذلك منع العرب من

(*) الاحواز: من نواحي بغداد، من جهة النهروان. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص117.

(1) ناجي، عبد الجبار: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ط1، جامعة البصرة، البصرة1986 م، ص 102 – 103.

امتلاك الأراضي في الشام ومصر والعراق، خوفاً من انصرافهم عن دورهم العسكري، ولذلك أقامهم في معسكرات بعيدة عن العمران لكي لا يختلطوا بالمغلوبين[1]، كذلك دمج الخليفة عمر t في المعسكرات القبائل بعضها ببعض حتى يقلل من العصبية القبلية[2]، وكذلك ضمن الخليفة عمر t أرزاق الجند وأسرهم بصرف المرتبات لهم، فكان الجندي يتقاضى(200 درهم[*]) في السنة ثم زاد إلى(300 درهم) ونال القائد(700 إلى 10000 درهم) في السنة، إلى جانب ذلك يعطي زوجة كل جندي وطفل له عطاء من الدولة، وكان كل جندي يأخذ سلاحه وملبسه ونعاله بدون مقابل، فضلاً عن ذلك توزع الأربع أخماس من الغنائم من الثروات الهائلة بين الجند، وهذا كله لغرض توفير سبل الراحة للجند في معسكراتهم[3]، كان الخليفة عمر t أول من جعل الجند فئة مخصوصة، فأنشأ ديوان الجند للإشراف عليها بتسجيل أسمائهم وأوصافهم ومقدار أرزاقهم وإحصاء أعمالهم[4].

---

(1) زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 133.

(2) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 270-271.

(*) الدرهم: قيمة الدرهم:عشرة دراهم فضيه تساوي ديناراً واحداً ذهبياً ووزن الدينار الذهبي هو: (4،276جرام). حلاق، حسان: دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت 1989م،ص142.

(3) الخربوطلي، علي حسني: الحضارة العربية الإسلامية، ط2، مكتبة الخانجي للطبع والنشر، القاهرة (د.ت)، ص 50- 51.

(4) المرجع نفسه، ص 50.

على الرغم من بساطة بناء هذه المعسكرات، حيث كانت مادة البناء القصب بعد مرحلة الفساطيط إلا أنه كان يوجد في المعسكرات مرافق حيوية مثل المسجد والديوان ودار الإمارة والسجن[1].

كان الخليفة عمر t حريصاً على إقامة قواعد حربية في العراق ومصر، أما الشام فلم تنشأ فيه أمصار إسلامية، لأن الشام كان يزخر بالدُور التي هجرها أهلها فراراً من جيوش المسلمين، فاستولى عليها هؤلاء وأصبحت تغنيهم عن دُور جديدة[2].

لم يكن للمعسكرات علم خاص في بداية قيامها، بل كان العرب يجرون في نصب خيامهم وترتيبها على ما كانوا عليه في جاهليتهم، فيكون فسطاط الأمير في الوسط وحوله فساطيط الأمراء والخاصة، وإذا كانت النساء والأولاد معهم جعلوهم وراء المعسكر، ولما أبطلوا حمل العيال معهم جعلوا يقلدون الروم والفرس في مضاربهم وتفننوا في ذلك ما اقتضته الأحوال[3].

ثانياً:ـ معسكر البصرة:

كان اتخاذ البصرة معسكراً ضرورة حتمية فرضتها الأوضاع لجند المسلمين، فضلاً عن ذلك توافق موقعها مع الشروط التي وضعها عمر t بخصوص اختيار المكان الذي يناسب جيش المسلمين[4]،

(1) قاسم: المرجع السابق، ص 14.
(2) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 271.
(3) زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 169- 170.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.

فلم تكن المنطقة قبل وصول المسلمين إليها عام(12هـ- 633م) على رأي أو سنة(14هـ- 635م) أثناء حملة عتبة بن غزوان[*] إلا خريبة بها بعض الخرائب لقصور قديمة فأطلقوا عليها اسم الخريبة[1]، وكان من الضروري على الفاتحين احتلال المنطقة التي تتلاقى فيها الطرق العامة المرتفعة التي تشرف على وجه خاص على كل من يفد إلى العراق من ناحية البحر[2].

1ـ تاريخ نزول المسلمين البصرة وكيفية اتخاذها قاعدة للجند:

اختلف المؤرخون: في سنة نزول المسلمين البصرة واتخاذها قاعدة للجند وكيفية اختيار موضعها، فبعض الروايات تشير: إلى أن الخليفة عمر t هو الذي أرسل عتبة بن غزوان سنة (14 هـ - 635 م) لفتح وتحرير الأُبُلّة، واتخذ موضعه في البصرة في تلك السنة[3]، أما المجموعة الثانية من الروايات فتقول: أن نزول المسلمين للبصرة كان سنة(16هـ- 637م) وتفسير ذلك أن خروج عتبة إلى البصرة لم يكن بناءاً على أوامر صادرة من الخليفة، بل بناءاً على توجيه من قائد الجبهة الكوفية سعد بن أبي وقاص الذي تسلم أمراً من الخليفة وفيه: "اضرب قيروانك بالكوفة، ووجه عتبة بن غزوان إلى البصرة"[4]، وأما المجموعة

(*) عتبة بن غزوان (40 ق هـ - 17 هـ = 584 – 638 م) عتبة بن غزوان بن جابر ابن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله، صحابي: قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً. الزركلي: المصدر السابق، ط 7، ج4، ص 201.

(1) ناجي، عبد الجبار: أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الاقتصادية في البصرة، مجلة الخليج العربي، العدد 1، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة 1986 م، المجلد الثامن، ص 56.

(2) دائرة المعارف الإسلامية: دار المعرفة، بيروت(د. ت)، ج3، ص 669.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 131-132.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 466-467.

الثالثة من الروايات فتشير: إلى أن عتبة بن غزوان هو الذي اختار موضع البصرة بعد أن كره المسلمون الإقامة في المدائن، وأمر الخليفة عمر t بالبحث عن مكان يتخذه المسلمون معسكراً، ولم يحدد مكاناً معيناً ينزله المسلمون ولكنه اكتفى بذكر الشروط العامة لإقامة المعسكرات الجديدة، فضلاً عن ذلك فإن القائد سعد عندما بعث عتبة لم يحدد له مكان البصرة ليتخذه موضعاً له[1].

وقيل: "أن عتبة نزل البصرة ثلاث مرات قبل أن يتخذها مستقراً له ولقواته، وربما استحسن المكان وفضله"[2]، والمجموعة الرابعة من الروايات تشير: أن عتبة عندما فتح الخريبة سنة(14هـ- 635م) كتب إلى الخليفة عمر t يعلمه نزوله إياها، وحاول عتبة إقناع الخليفة لكي يوافق على اتخاذها منزلاً لهم، ويتضح ذلك من كتابه حيث ذكر له:" لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، ويسكنون فيه إذا انصرفوا من غزوهم "[3]، وهذا يوضح أن عتبة هو من اختار الموقع المذكور، والموافقة تمت من جانب الخليفة عمر t بعد أن وصف عتبة له أوصاف الموقع، حيث كان رد الخليفة عمر t :" إنها أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعى والمحتطب " وأمره أن ينزل بها الناس[4].

(1) الخربوطلي: المرجع السابق، ص281.
(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص111.
(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.

لقد مر معسكر البصرة بمرحلة مهمة من مراحله وهي توزيع عتبة جيشه إلى سبعة دساكر(*) اثنان بالخريبة واثنان بالزابوقة(*)، وثلاثة في الموضع الذي نزلته الأزد بعد ذلك، ونزل هو بالخريبة(1).

إن وجود جيش المسلمين بهذه الدساكر لم يدم فترة طويلة، إذ سرعان ما جاء الأمر من الخليفة عمر t لعتبة بالبحث عن مكان يجمع فيه أصحابه، ويكون مناسباً للشروط التي حددها له في طبيعة الموقع المختار(2)، وفي رواية أخرى:"أن عتبة نزل بالناس في خيم فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخريبة اثنان، وبالزابوقة، واحد وفي الأزد اثنان، وفي تميم اثنان"(3).

ومهما يكن في كيفية اختيار الموضع واختلاف الروايات، إلا أن المرجح: أن عتبة بن غزوان نزل البصرة سنة(14هـ - 635 م)(4).

(*)الدساكر: فارسية وهي بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها مكان للشراب والملاهي – بناء علي هيئة قصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم يكون للملوك وعظماء الروم. غالب: المرجع السابق، ص188.

(*) الزابوقة: موقع قريب من البصرة كان فيه وقعة الجمل أول النهار وهو مدينة المسامعة بنت ربيعة بالبصرة. ياقوت: المصدر السابق، ج 3، ص 125.

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 431.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.

(3) المصدر نفسه، ص 634.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 439.

2ـ العوامل التي دفعت المسلمين لاتخاذ البصرة معسكرا:

أ- أن يشغل عتبة الفرس حتى يتمكن سعد بن أبي وقاص من التقدم وتحقيق هدفه العسكري كذلك ليحرر الأُبُلة ويساعد قطبة السدوسي(*) في هجماته ضد الفرس[1].

ب- توافق طبيعة البصرة مع الشروط التي وضعها الخليفة عمر t في اختيار مواقع المعسكرات الجديدة، من حيث قربها من الماء والمرعى وعدم وجود فاصل مائي يفصلها عن عاصمة الخلافة الإسلامية المدينة المنورة[2].

ج- موقعها على الأطراف، وبعدها عن السكان والعمران، خاصة وأن الخليفة عمر t كان يمانع في اتخاذ المدن القديمة كمخيمات عسكرية خوفاً أن ينشغل الجند بحياة المدن فتفتر عزائمهم[3].

د- هناك سبب وجيه ذُكر في كتاب عتبة بن غزوان الذي بعثه إلى الخليفة عمر t في اتخاذ البصرة مخيماً لجنده حيث قال:" لابد للمسلمين من مكان إذا شتوا شتوا فيه، وإذا رجعوا من غزوهم لجأوا إليه "[4].

(*) قطبة السدوسي: (توفي سنة: 14 هـ - 635م) قطبة بن قدادة بن جرير السدوسي الشيباني من بكر بن وائل: أسلم بعد فتح مكة. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج5، ص 200.

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 133.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 134.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 472.

هـ -اختيار عتبة البصرة ربما كان لاستحسانه للمكان، خاصة أن المسلمين عسكروا بالقرب من الموضع ثلاث مرات قبل أن يستأذن عتبة من الخليفة عمر t في نزوله[1].

و- لتكون قاعدة إمداد وتنظيم لضبط التحركات الحربية في المنطقة، وتكون المعسكر الأمامي المسئول عن فتح بلاد فارس وخراسان[2].

3ـ نزول عتبة البصرة:

بعد أن حصل عتبة على الإذن من الخليفة عمر t في اتخاذها مخيماً لمعسكره، نزل بها وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد القوة التي نزلت مع عتبة للبصرة في بداية الأمر، حيث تذكر إحدى الروايات: "أن العدد الذي كان معه حينما قصد البصرة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وانضم إليه بعض الأعراب وأهل البوادي فقدم البصرة في خمسمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً"[3]، وتذكر رواية ثانية: "أن عدد قوات عتبة عند نزوله البصرة ثمانمائة"[4].

وعلى الرغم من الاختلاف في تحديد العدد بدقة إلا أنه لم يكن التباين كبيراً، فالعدد يتراوح ما بين ثلاثمائة إلى ثمانمائة وهذا يوضح أنها كانت حملة عسكرية استطلاعية[5].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص111.

(2) السامرائي، خليل إبراهيم: الملامح السياسية والحضارية لمدينة البصرة من خلال كتاب ألف ليلة وليلة، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد 1987 م، ص 205.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 439.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 463.

(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 134.

4ـ مادة البناء التي اتخذها عتبة لبناء معسكره في البصرة:

تشير معظم الروايات التاريخية إلى: أن عتبة لما قدم البصرة أقام معسكره من خيام وفساطيط وقباب[1]، لأن المنطقة في ذلك الوقت كانت خالية من الأبنية لا يوجد فيها إلا بعض المسالح[*] القديمة وكذلك قصر قديم[2]، ويوضح اتخاذ عتبة للخيام والفساطيط أن هذه المرحلة لم تعرف الاستقرار، فالوضع العسكري يتطلب التنقل والمعسكر في بداية قيامه لم يكن ثابتاً، إذا غزوا نزعوا خيامهم، وإذا رجعوا إلى الموضع أعادوا بناءه، فإذا أرادوا نقل معسكرهم من مكان إلى آخر سهل عليهم إزالة الخيام فكما تذكر الرواية التاريخية:" أن عتبة تنقل بمعسكره ثلاث مرات وفي الرابعة أمره عمر أن ينزله"[3].

نتيجة لتزايد أعداد الجند التي وفدت على المعسكر طلب عتبة الإذن من الخليفة عمر t في البناء بالقصب[*] فأذن له الخليفة بذلك، وتتفق جميع الروايات التاريخية: على أن مادة البناء في هذه المرحلة كانت القصب وذلك

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 472.

(*) المسالح: مكان موضع السلاح. البلاذري: المصدر السابق، ص 248.

(2) عبده، عبد الله كامل موسى: المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دار الآفاق العربية، القاهرة 2003، ص 134.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 439.

(*) القصب: الواحدة قصبة نبات مائي استعمل بأنواعه المختلفة في بناء الأكواخ وأسوار البساتين وسياجات أفنية الدور وسقوفها واستعمل كأنابيب لجر المياه لمسافات قريبة. غالب: المرجع لسابق، ص 315.

لوفرتها بغزارة في المنطقة، فإذا أرادوا التوجه للقتال نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو فإذا رجعوا أعادوا بناءه[1].

إن الدافع الذي جعل عتبة يحدد للخليفة عمر t مادة القصب في هذه المرحلة، وفرتها بالقرب من الموضع الذي نزل به بما يكفي لبناء عرائش للأعداد الوافدة إليه من جند المسلمين[2].

وعلى الرغم من سماح الخليفة عمر t للمسلمين بالبناء بالقصب، إلا أنه كان مضطراً لأنه لا يريد معارضة رغبتهم، فالسبب الذي جعله لا يرتاح لبناء القصب تفكيره العميق في أن أوتاد القصب أعمق من أوتاد الخيام، وهذا يجعل المسلمين يستأنسون إلى الأرض ويطمئنون إليها فيعيشون حياة الدعة والهدوء وهو يريدهم دائماً مستعدين حتى يمكنهم رفع خيامهم في أية لحظة بسرعة لا تقيدهم عوائق وهذا كله يفهم من رد عمر t عندما قال: " إن العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم "[3].

وهذا يوضح أن استخدام المسلمين للخيام والفساطيط في المرحلة الأولى والقصب بعد ذلك أمر فرضته الظروف العسكرية التي أجبرتهم على التنقل ونزع مساكنهم[4].

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 468.

(2) ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 432.

(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 540.

(4) ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 432.

5ـ حريق البصرة:

تشير إحدى الروايات التاريخية إلى أن:" البصرة تعرضت لحريق وقع سنة (17هـ - 638 م)، و ذلك عندما كان عتبة على البصرة"[1]، وهذا يعارض معظم الروايات التاريخية التي تذكر: أن الحريق وقع زمن أبي موسى الأشعري[*]الذي ولي البصرة سنة (16هـ- 637م)، وقيل: سنة (17هـ- 638 م)[2]، وهناك من يذكر: أن إمارة عتبة كانت سنة (15هـ- 636 م)، وقيل: سنة (16هـ - 637 م) والأولى أصح وكانت إمارته عليها ستة أشهر[3].

كان للحريق الذي وقع في البصرة دور كبير في انتقالها من مرحلة المعسكر المتنقل إلى مرحلة البناء الثابت والاستقرار فمن هنا تبدأ مرحلة التخطيط والتمدن والبناء باللبن[*] [1].

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.

(*) أبو موسى الأشعري: (21 ق.هـ - 44هـ / 602 – 665 م) عبدا لله بن قيس بن سُليم ابن حضار بن حرب، وهو من بني الأشعر بن قحطان: صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين ولد في زبيد باليمن وقدم مكة عند قدوم الإسلام، فأسلم وهاجر إلى الحبشة ثم استعمله الرسول على زبيد وعدن وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة (17 هـ). الزركلي: المصدر السابق، ط 7، ج4، ص114.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 336.

(*) اللبن: الوحدة لبنة، وهو طين تصب منه حجارة متوازية المستطيلات تجفف في الشمس وتبنى بها جدران غليظة يبلغ عمقها ثمانين سم وقد عرف البناء باللن منذ القدم وخاصة حيث ينذر الحجر كبلاد ما بين النهرين ومنه كانت بيوت دمشق قبل الفتح وبعده وجدران مسجد الرسول r غالب: المرجع السابق، ص 330.

ثالثاً: معسكر الكوفة:

هو ثاني المعسكرات التي أقامها المسلمون في العراق بعد معسكر البصرة، حيث فرضت الظروف البيئية والعسكرية على اتخاذ الكوفة معسكراً بعد الانتصار الكبير في معركة القادسية وفتح المدائن[2].

1ـ سبب اتخاذ الكوفة معسكرا للمسلمين:

أ-العوامل الصحية: تذكر أغلب الروايات التاريخية: أن الخليفة عمر t هو الذي أمر سعد بن أبي وقاص قائد القوات الإسلامية، أن يختار منزلاً ينزله المسلمون بعد القادسية واستقرارهم في المدائن، حيث تذكر هذه الروايات: أنه عندما وفدت وفود العراق بالفتح على عمر t بالمدينة لاحظ تغير ألوانهم وحالهم فسألهم فقالوا: "وخومة البلاد" فكتب عمر t إلى سعد: عن الذي غيرهم وأن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، وذكر له أن يبعث سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان، رائدين فليرتادوا منزلاً برياً وبحرياً ليس بينه وبينهم بحر ولا جسر، وسار سلمان وحذيفة حتى اختارا الكوفة[3]، وهناك رواية أخرى تذكر: بأن سعداً هو الذي استأذن الخليفة عمر t في ترك المدائن والبحث عن مكان أخر يناسب حياة المسلمين، ولا يؤثر في أجسامهم حيث كتب سعد إلى الخليفة عمر t بوخومة البلاد ورداءة جوها، فأذن له بأن يبحث عن مكان آخر حيث جاء في كتابه:" أنزلهم منزلاً

(1) زيدان: المرجع السابق، ج2، ص 171.
(2) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 491.
(3) زيدان: المرجع السابق، ج2، ص 172-173.

غريباً "[1]، وهناك رواية أخرى تذكر: أن حذيفة بن اليمان هو الذي كتب إلى الخليفة عمر t يقول له:"إن العرب قد رقت بطونها وجفت أعضادها وتغيرت ألوانها"، وكان حذيفة مع سعد في المدائن، فأرسل عمر t إلى سعد يتساءل عن سبب ذلك فكان رده بأن ذكر له: سوء مناخ البلاد، وأنها غير ملائمة لطبيعة المسلمين فرد عليه: بأن يختار مكاناً آخر يناسبه، ولم يحدد له مكاناً معيناً بل ذكر الشروط العامة التي لابد من توافرها في الموضع الجديد لإقامة جيش المسلمين[2]،وقيل: "أن سعداً عندما ترك المدائن باحثاً عن موضع آخر لم يختر الكوفة مباشرة بل أتى الأنبار، وأراد إتخادها منزلاً فكثر عليه الذباب فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح فتحول إلى الكوفة "[3].

ب- العوامل الاجتماعية: من بين الأسباب الجوهرية التي دفعت الخليفة عمر t أن يأمر سعداً بترك المدائن رفضه لمخالطة السكان الخاضعين، للمحافظة على الهوية، وحتى لا يضعف دورهم العسكري بإقامتهم في المساكن والعمران التي من شأنها أن تحولهم إلى حياة الدعة والرفاهية[4].

ج- العوامل السياسية: توافق موقع وطبيعة الكوفة للشروط التي وضعها الخليفة عمر t لقيام المعسكرات الجديدة[5].

د- العوامل العسكرية: لعبت العوامل العسكرية دوراً كبيراً، ومركزياً في دفع سعد إلى التفكير في اتخاذ موضع أو مخيم للعرب المقاتلين، وخاصة بعد

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 390.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 372.
(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 539.
(4) جعيط: المرجع السابق، ص 67.
(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 373.

الانتصار الرائع في المدائـن، هذه المتغيرات العـسكرية فرضـت علـى العـرب أن يتخذوا لهم ولعوائلهم مستقراً، شريطة أن يوافق الشروط الـتي وضـعها الخليفـة عمر t [1].

2ـ سنة قدوم المسلمين إلى الكوفة:

اختلـف المؤرخـون في سـنة قـدوم المـسلمين إلى الكوفـة فتـذكر بعـض الروايات: أن سعداً قدم الكوفة سـنة(17هــ - 638م)، ودلاه عليهـا سـلمان الفارسي وحذيفة بـن اليمـان[2]،وهنـاك روايـة تـذكر: أن سـعداً اتخـذ الكوفـة منـزلاً سنة(15هـ - 636 م) ودله على موضعها ابن بقيلـة الغـساني[*] وقـال لسعد:" أدلك على أرض ارتفعت عن البر انحـدرت عـن الفـلاة[*]"، فدلـه علـى موضـع الكوفـة[3]، وهنـاك روايـة أخـرى تقـول: أن المـسلمين نزلـوا الكوفـة سنة(18هـ - 639م)[4].

---

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 157.
(2) ابن ا الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 373.
(*) ابن بقيلة الغساني: (توفي سنة: 12هـ - 633 م) عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان ابن بقيلة الغساني: معمر من الدهاة من أهل الحيرة له شعر وأخبار، أدرك الإسلام وظـل على نصرانيته. الزركلي: المصدر السابق، ط7، ج4، ص 153.
(*) الفلاة: المفازة (الصحراء الواسعة). الرازي، محمـد بـن أبي بكـر بـن عبـد القـادر: مختـار الصحاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د.ت)، ص 583.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 338.
(4) اليعقوبي: المصدر السابق، ج1، ص 103.

3ـ نزول المسلمين الكوفة:

عندما نزل سعد الكوفة كتب إلى الخليفة عمر t بذلك وقال له:" إني نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً ينبث الحلي والنص(*) "(1)، وقيل: أن سعداً عندما خرج من المدائن لم يجبر العرب المسلمين على تركها بل خيرهم، ويتضح ذلك عندما كتب إلى الخليفة عمر t يعلمه بقدومه الكوفة، حيث ذكر له: " خيرت المسلمين بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة "(2)، وأغلب من قدم الكوفة مع سعد كان ممن اشترك في معركة القادسية وفتح المدائن، جلهم من أهل اليمن وشمال شبه الجزيرة العربية، وفيهم بيوت عربية قديمة كانت لها مركز مرموق في العصر الجاهلي(3)، وتذكر الروايات:" أن أهل اليمن كان عددهم اثني عشر ألفاً ونزار ثمانية آلاف، وهم أكثر أهل الكوفة الذين قدموها مع سعد"(4).

4ـ مادة بناء معسكر الكوفة:

يبدو أن المقاتلين العرب قد استقروا في المرحلة الأولى في خيام وفساطيط، كما هو الحال في البصرة ويدل على ذلك طلب سعد من الخليفة

(*) النص: تنبت ما دام رطباً فإذا ابيضّ فهي طريفة وإذا ضخم ويبس فهو الحلى. ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج2، ص 337.
(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 373.
(3) العلي، صالح أحمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة القرن الأول الهجري، ط2، بيروت1969 م، ص 18.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 389.

عمر t أن يأذن له بالبناء بالقصب حيث تذكر الرواية التاريخية: " أن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب واستأذن فيه أهل البصرة، فقال لهم الخليفة عمر t : العسكر أجد لحربكم، وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم، ومالقصب؟قالوا: العكرش إذا رُوي قصب فصار قصباً قال: فشأنكم، فابتنى أهل المصرين بالقصب"[1].

إن طلب سعد من الخليفة عمر t البناء بالقصب كان القصد منه توفير المسكن للأعداد الكبيرة من الجند التي قدمت معه إلى الكوفة، وساعده توفر مادة البناء بغزارة في هذه المنطقة[2].

كانت الكوفة في هذه المرحلة تتصف بصفة المعسكر لخدمة الأغراض العسكرية لقوات المسلمين، مثلما كانت عليه البصرة في هذه المرحلة ولهذا كان البناء بالقصب غير ثابت، فكانوا ينزعونه أثناء قيامهم بالحملات العسكرية[3].

5ـ حريق الكوفة:

في نفس الوقت الذي وقع فيه حريق البصرة، وقع حريق آخر في الكوفة والذي كان أشد من حريق البصر ة[4]، هذا الحريق الذي اشتعل في عرائش القصب التي بنيت بها الكوفة كان سبباً مباشراً في استئذان سعد بن أبي وقاص

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 161.
(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 373.

من الخليفة عمر t في البناء باللبن[1]، فوافق الخليفة عمر t على ذلك، وبعث شروطه التي حدد فيها شكل البناء[2].

رابعاً: معسكر الفسطاط:

بعد أن تمكن المسلمون من فتح الإسكندرية وتحرير معظم أراضي مصر، أصبح حتمياً عليهم اتخاذ موضع لتنظيم الجيش، والمحافظة على المكاسب العسكرية التي حققوها في بلاد مصر.

1ـ نزول المسلمين في موضع الفسطاط في المرحلة الأولى للفتح:

كان الموضع معسكراً للعرب لما جاءوا لفتح حصن بابل[*]، فلما فتحوه عزموا على الإسكندرية لفتحها فأمر عمرو بن العاص بنزع فسطاطه أي خيمته، التي تعتبر مركز القيادة، فإذا فيه يمام قد فرّخ، فأخبروا عمراً بذلك:" قد تحرم البناء بمحترم "، فأمر بترك الفسطاط كما هو وأوصى به من بقي هناك من القبط[3].

---

(1) زيدان: المرجع السابق، ج2، ص 173.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.
(*) حصن بابل: المعروف بدير النصارى أو دير ماجرجيرس بمصر العتيقة. زيدان: المرجع السابق، ج2، ص 173.
(3) القزويني: المصدر السابق، ص 236.

2ـ الدوافع التي جعلت عمرا يفكر في اتخاذ الإسكندرية منزلا للمسلمين:ـ

كانت الإسكندرية عاصمة لمصر قبل الفتح الإسلامي، وقد فكر عمرو في أن يتخذها مقراً ومعسكراً للمسلمين ليكون أقرب لحمايتها والدفاع عنها، وبخاصة أن الروم حاولوا مهاجمتها عن طريق البحر[1].

بعد فتح الإسكندرية ترك أهلها منازلهم، فأراد عمرو بن العاص أن ينزلها، وقال:" منازل قد كفيناها "، وهذا يدل على أنه ما كان يريد أن يبذل جهداً في إنشاء موضع ينزله[2]، كذلك رؤية عمرو إلى الموقع الإستراتيجي الهام الذي تتميز به مدينة الإسكندرية وتميزها بالاستقرار[3].

على الرغم من وجود كل هذه الإيجابيات المتوافرة في الإسكندرية، إلا أن الخليفة عمر t كان له رأي مغاير، حيث رفض اتخاذ الإسكندرية منزلاً للمسلمين لأنها لا توافق المستلزمات والشروط الأساسية للمكان المنتخب، وهذه الشروط تشابه تماماً ما سبق أن عرضه الخليفة على عتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص، مما يؤكد اتفاقها مع الإستراتيجية العسكرية العربية آنذاك[4].

(1) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 72.
(2) الشيال: المرجع السابق، ص 28.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 180.
(4) المرجع نفسه، ص 106.

3ـ سبب اختيار الفسطاط:

أ. عدم وجود العائق المائي الذي يفصل هذا الموقع عن الخليفة عمر t في شبه الجزيرة العربية، حيث شدد الخليفة عمر t على ذلك، حينما أراد عمرو بن العاص اتخاذ الإسكندرية منزلاً عندما كتب له:" إني لا أحب للمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في صيف وشتاء"[1]، فالموقع يقع على شاطئ النيل[2]، ويتميز بجمعه بالقرب من الماء والقرب من الصحراء، وهما عاملان أكدعليهما الخليفة عمر t [3]، فضلاً عن ذلك عدم وجود ازدحام سكاني في المنطقة، حيث لا يوجد فيها بناء سوى حصن بابليون، وهذا يؤيده الخليفة عمر t ، لأنه لا يحبذ مخالطة الجيش للسكان الخاضعين[4].

ب. قرب موقع الفسطاط من البحر الأحمر، الذي يفصل وادي النيل عن شبه الجزيرة العربية مركز الدولة الإسلامية، وكذلك كونه يتوسط بلاد مصر فيسهل منه الإشراف على البلاد[5].

ج. يذكر أن: السبب المباشر في اتخاذ موضع الفسطاط منزلاً لجيش المسلمين، قصة اليمامة، وترك الفسطاط في هذا الموضع، فعندما صار عمرو يبحث عن موضع آخر بعد رفض الخليفة عمر t

(1) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 72.
(2) عبد الستار: المرجع السابق، ص 69.
(3) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 72- 73.
(4) الخربوطلي: المرجع السابق، ص286.
(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

للإسكندرية، سأل عمرو أصحابه أين تريدون أن تنــزلوا ؟ قـالوا: " ننـزل إلى فسطاطك لنكون على ماء وصحراء "[1].

4ـ نزول المسلمين موضع الفسطاط:

بعد أن استخلف عمـرو حاميـة علـى الإسـكندرية، سـار قاصـداً مكـان فسطاطه بالقرب من حصن بابليون، فلما بلغـوه وجـدوه منـصوباً، فنــزلوا فيـه وجعلوا تلك الخيمة مركز القيادة[2]، وكان مجموع القوة التي جاءت مـع عمـرو تقدر بخمسة عشر ألفاً[3]، وأما سنة نزول عمرو الفسطاط ففيـه خـلاف ومهمـا يكن من تفاوت في وجهات النظر لسنة النـزول، فـيمكن القـول أنـه امتـد مـن سنة(20هـ- 640م) إلى سنة(21هـ- 641 م) إلى سنة(22هـ- 642م)[4].

5ـ مادة بناء معسكر الفسطاط:

قيل أن:"جند مصر أقاموا في الخيام حيث ضـربوا خيـامهم حـول فـسطاط عمرو بن العاص[5]، وباستقرار المسلمين في الفسطاط، انتقل كرسي الإدارة من الإسكندرية إلى الفسطاط فصارت هي المركز الإداري والسياسي بعد أن كانـت الإسكندرية "[6].

---

(1) القزويني: المصدر السابق، ص 236.
(2) زيدان: المرجع السابق، ج2، ص 173.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 179.
(4) المرجع نفسه، ص 178-179.
(5) زيدان: المرجع السابق، ج2، ص 150.
(6) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 180.

الفصل الثاني

تخطيط البصرة

مدخل.

المبحث الأول: ظهور البصرة.

المبحث الثاني: خطط البصرة ومعالمها العمرانية.

الفصل الثاني

تخطيط البصرة

مدخل :

تعد البصرة أولى المدن التي أسسها العرب المسلمون خارج شبه الجزيرة العربية حينما توجهت الجيوش العربية الإسلامية لتحرير العراق من السيطرة الساسانية الفارسية في القرن السابع الميلادي، هذه المدينة التي بدأت باحتواء قوة إسلامية بسيطة، كانت مساكنهم فيها خيام وأغصان قصب، بدون خطط مستقلة، على الرغم من تزايد السكان، ومع بداية البناء باللبن أخذت المدينة تنتقل من مدينة ريف إلى مدينة منظمة بدرجة كبيرة، وذلك لثبات الوحدات العمرانية[1]. لقد كان تخطيط مدينة البصرة رهاناً قابلاً للنجاح والإخفاق باعتباره أول مخطط يرسم لبناء مدينة أولى خارج شبه الجزيرة العربية في زمن الدولة الإسلامية، غير أن الخليفة عمر t ومخططي المدينة نجحوا في الرهان كما نجحوا في اختيار الرقعة التي سوف يرسم عليها هذا المخطط، وبنظرة ثاقبة وضع الخليفة عمر t الخطوط العريضة والمنهجية المثلى لمخطط البصرة والذي سوف تنتهجه المدن التي تلتها في التأسيس (الكوفة والفسطاط)[2].

بدأ تخطيط البصرة بتحديد المساحة المركزية النواة التي تمثل المركز الإداري والديني للمدينة ثم تحديد اتجاهات ومسافات الدروب والأزقة التي توزع المدينة على عدة خطط سكنية، والتي توزعت توزيعاً قبلياً نظراً لكون المقاتلة العرب

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 139.

(2) الخربوطلي: المرجع السابق،، ص 281.

الذين استوطنوا البصرة عند تأسيسها قد قدموا من شبه الجزيـرة العربيـة حيـث كانت النظم السائدة فيها قائمة على الأسس القبلية، ولهذا اختطت وفقا للنظـام القبلي كمدن الجزيرة العربية (مكة و المدينـة المنـورة)، وصـارت بـذلك نموذجـاً لمثل هذا التخطيط للمدن والأمصار الإسلامية الأولى[1].

ومع التطورات التي جدت على البصرة وتوافد عدد كـبير مـن المهـاجرين إليها، أصبح لزاماً إعادة تنظيم المدينة وتجديد تقسيماتها الطبوغرافيـة والـسكانية فقسمت إلى خمسة أخماس، مما سهل في إدارة و استنفار الجيش وهي الغاية الـتي هدف إليها هذا التقسيم، فضلاً عن هذا التطـور في التخطـيط شـهدت البـصرة تطوراً في مبانيها ومواد بنائهـا حيـث تعـددت مؤسـساتها ومرافقهـا العمرانيـة، فكانت لكل خطة مؤسساتها الخاصة بها، وبرزت مظاهر الأبهـة في البنـاء ببنـاء القصور والدُور ذات الطوابق، ودخل الآجـر والجـص في بنـاء بعـض مرافقهـا العمرانية ,ثم دُورهـا الـسكنية، حيـث تمثـل هـذه المـواد مـادة بنائيـة في تـاريخ العمارة الإسلامية، لذلك تعد البصرة المظهر الأول لفن تخطـيط المـدن في العـالم الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية، وقـد وجـدت أصـول هـذا التخطـيط في المدينة المنورة على عصر رسول الله r [2].

على الرغم من أن البصرة واجهت تحدياً تمدنياً منذ منتصف القرن الثـاني للـهجرة ذلـك المتمثـل بـبروز مدينـة العاصـمة بغـداد (المدينـة المـدورة) سـنة (145هـ- 762 م) واعتبارها المحور المركزي للدولـة العباسـية، إلا أن البـصرة

---

(1) عثمان، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة 1999 م، ص65 .

(2) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 57.

استطاعت الصمود والتطور بفعل تطور جديد رافق نـشوء الدولـة العباسـية ألا وهو النشاط الاقتصادي القائم على التجارة، مما جعل البصرة مرة أخرى مركـز جذب ونشاط اقتصادي متطور بنقل مركز الخلافة من دمشق إلى العـراق والـتي نقل معها الميزان التجاري البحري من طريق البحـر الأحمـر البحـر المتوسـط إلى الخط البحري الأقصر عبر المحيط الهندي ثـم الخلـيج العربـي، وبهـذا أصـبحت مفتوحة أمام العديد من العناصر العربية وغـير العربيـة، فالتقـت فيهـا المـؤثرات الحضارية والأفكار والآراء المترجمة مـن الحـضارات العالميـة كاليونانيـة والهنديـة والفارسية والسريانية فظلت مدينة البصرة تلعب دوراً هامـاً في التـاريخ العربـي الإسلامي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً لقرون عديدة [1].

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 141.

المبحث الأول

ظهور البصرة

أولاً: التسمية والموقع الجغرافي:

1ـ التسمية:

البصرة: الحجر الأبيض الرخو، وقيل: البصر الحجارة القريبة إلى البياض فإذا جاءوا بالهاء قالوا البصرة[1] والبصرة في كلام العرب الأرض الغليظة[2]، واتفق جملة من المؤرخين على أن تسمية البصرة جاءت من الحجارة الموجودة فيها وهي الجص أي الحجارة الرخوة، فالعرب تسمي كل أرض حجارتها جص (البصرة) [3].

وقيل: إن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها، نظروا إليها من بعيد، وأبصروا الحصى عليها فقالوا:" إن هذه أرض بصرة"، يعنون حصبة فسميت بذلك [4]، وذكر بعض المغاربة:" أن البصرة الطين العلك"، وقيل: الأرض الطيبة الحمراء، وذكر أحمد بن محمد الهمذاني حكاية عن محمد بن شرحبيل بن حسنة أنه قال:" إنما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة

---

(1) ابن منظور: المصدر السابق، ج 4، ص67.

(2) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 430.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 439.

(4) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 430.

وهي البصرة" [1]، وقيل:" سميت البصرة لأنه كان فيها حجارة رخوة تضرب إلى البياض" [2].

خلال عرضنا لهذه الآراء والتفسيرات اللغوية التي أوردها المؤرخون، اتضح أن أصل كلمة (بصرة) عربي مأخوذ من الطبيعة الجغرافية للأرض التي تأسست عليها مدينة البصرة.

وهناك رأي آخر يشارك هذه الآراء حيث يرى البعض: أن في كلمة (البَسْرة) بفتح الباء وسكون السين شيئاً مفيداً للوصول لأصل التسمية، فالبسرة من مياه بني عقيل بنجد بالأعراف (أعراف غمرة)، فإذا شرب الإنسان من مائها شيئاً لم يروا، وليست ملحة جداً ولكنها غليظة، وقيل: تسهل البطن ولعل العرب سموا هذه الحاضرة التي مصروها فكانت البصرة باسم تلك المادة لشبه مائها بماء تلك، ثم كان ما كان من السين والصاد في الإبدال الصوتي[3].

اسم البصرة قديماً قبل مجيء المسلمين إليها:

لقد تضاربت آراء الكتاب المستشرقين في التفاسير التي قدمها اللغويون والمؤرخون العرب عن تسمية البصرة، فمنهم من ادعى أن اسمها مشتق من

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) الهمذاني: المصدر السابق، ص 227.

(3) ماسينيون، لويس: خطط البصرة وبغداد، ترجمة إبراهيم السامرائي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1981 م، ص71.

الآرامية أو الكلدانية أو الفارسية ثم العربية[1]، حيث نجد لفظة (بصرياثا) في الآرامية، وردت في نبذة نقلها المستشرق (لسترانج) في عرضه لكتاب جغرافي لابن سرابيون [2]، ويرى بعض الباحثين أن (بصر) الكلدانية الجزء الضعيف، و(بصريا) و (بصرى) الأقنية و(بيت صربى) و(باصرى وباصرا) محل الأكواخ، ومن هذا نلمح شدة قرب الكلمة القديمة من الاسم العربي [3].

وقيل:" أن البصرة كانت تسمى في عصر الكلدانيين تدمر أو تردم أو تردن"[4]، وأطلق عليها اليونانيون حين استقروا بها بعد غزو الإسكندر، (تردون أو تريدون) [5]، وعرفت باللسان الفارسي (بس راه) أي الطرق الكثيرة، فالبصرة تعريب بس راه لأنها ذات طرق كثيرة تشعبت إلى أماكن مختلفة، ويؤيد ذلك أن المنطقة كانت منذ القدم إقليماً تجارياً، وكثرة الطرق بها ظاهرة طبيعية، بل ربما كانت كثرة الأنهار التي عرفت بها البصرة عاملاً آخر في تقوية هذه التسمية عند الفرس [6].

ويذكر بعض الباحثين: أنه من خلال استقراء الإشارات التي وردت في تاريخ العراق القديم تبين أن هناك موضعاً مأهولاً يقع في مكان ما من المنطقة

---

(1) العباسي، عبد القادر باش عيان: موسوعة تاريخ البصرة، شركة التابمس للطبع والنشر، بغداد 1988 م، ج1، ص 22.

(2) زكي: المرجع السابق، ص 19.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص22.

(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(6) زكي: المرجع السابق، ص 19.

التي احتلت مدينة البصرة جزءاً منها، فقد ورد في نقش يرجع تاريخه للملك الأشوري سنحاريب، اسم موضع يعرف بـ (باب سلامتي) أو باب السلامة، الذي كما يعتقد البعض أنه كان يقع في مكان قريب من الموضع الذي صار فيما بعد مدينة البصرة [1].

ويدل على وجود اسم البصرة قديماً قبل مجيء المسلمين إلى الموضع، أن الخليفة عمر t طلب من المسلمين أن يتخذوا منزلاً ينزلونه، فقدم عليه رجل من بني سدوس يقال له: ثابت يصف له الموضع قبل نزوله فقال: " يا أمير المؤمنين إني مررت بمكان دون دجلة فيه قصر وفيه مسالح للعجم يقال له الخريبة ويسمى أيضاً البصرة " [2].

إن ارتباط الكلمة بأرض البصرة وتربتها، هو أكثر واقعية لاشتهار أرض البصرة القريبة من نهر شط العرب بأنها تربة حمراء طينية، بينما كانت الأرض حجرية جصية كلما ابتعدنا غرباً باتجاه البادية، ومع أنه لم يرد اختلاف حول شكل الكلمة (بصرة) في العربية، لكن الكلمة اتخذت أشكالاً مختلفة في المصادر الأجنبية، إذ أنها وردت على شكل بوزرا وبوصار وبالصورا وبابصار وباصورا[3].

---

(1) ناجي: أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الثقافية في البصرة، المرجع السابق، ص55.

(2) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 430.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 130.

أما النسب إليها فقال بعض أهل اللغة:" بِصري بكسر الباء لإسقاط الهاء فوجدت كسر الباء في البصري مما غيره من النسب، كما قيل في النسب إلى:اليمن يماني وإلى تهامة تهامي" [1].

أسماء اقترنت باسم البصرة:

كانت البصرة تحمل أسماء غريبة وقديمة حتى الفتح الإسلامي، فإذا هي الخريبة وكانت مسلحاً للأعاجم، وبعد تمصيرها سميت بأسماء كثيرة، منها: أم العراق، وخزانة العلم، وعين الدنيا، وذات الوشامين، والبصرة العظمى، والبصرة الزاهرة، والبصرة الفيحاء، والبصرة الرعناء، وقبة العلم [2].

2ـ الموقع الجغرافي:

تقع البصرة على أطراف الصحراء، عند الطرف الشمالي من الخليج العربي[3]، جنوب شرقي العراق، وقد اعتبرها المسلمون محطة اتصال بين شمال الجزيرة العربية والعراق[4]، وتقع في بقعة تبعد عن دجلة قرابة أربعة

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص430.

(2) العباسي: المرجع السابق، ج 1، ص 22- 23.

(3) زكي: المرجع السابق، ص 61.

(4) ألعفيفي، عبد الحكيم: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، (د. م) 2000م، ص 113.

فراسخ(*) [1]، وقيل: طولها أربع وسبعون درجة (*)، وعرضها إحدى وثلاثون درجة، وهي في الإقليم الثالث [2].

ولتوضيح موقع مدينة البصرة يجب أن نحدد جهاتها الأربع، فمن الجهة الشرقية يمتد نهر مقوس، يتصل بنهايته نهر ابن عمر من جهة الشمال، وينتهي في مؤخرة كوت نهر الأُبُلّة (كوت الزين حالياً)، ومن الجهة الشمالية السور الذي أنشأ حولها، ومن الجهة الجنوبية اعتباراً من المسجد الجامع إلى مسافة فرسخ واحد عند موقع سورها الجنوبي وفي داخله تقع الخريبة، ومن الجهة الغربية اعتباراً من قبلة المسجد الجامع إلى فرسخ واحد نحو المربد في بريتها عند ملتقى السور الغربي، ومن الجهة الشرقية اعتباراً من المسجد الجامع نحو الشرق بأقل من فرسخ يمر النهر المقوس الآنف الذكر على هذه الجهة طولاً، وهو منحدر إلى الأُبُلّة [3]. ينظر الملحق رقم (1).

(*) الفراسخ: جمع مفرده فرسخ، وهو وحدة طولية لقياس المسافات ويساوي ثلاثة أميال أو (5544 متراً) أو (12000 خطوة).الزحيلي، وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، ط4، دار الفكر، دمشق1997 م، ج1، ص 142.

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 31.

(*) الدرجة: خمسة وعشرون فرسخاً. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 39.

(2) المصدر نفسه، ص 430.

(3) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص 23.

والبصرة مدينة مستطيلة، كانت مساحتها على أصل الخطة التي أخطت عليها وقت افتتاحها في خلافة عمر بن الخطاب t فرسخين في فرسخين [1]، وقد ذكر (فرينيه) الرحالة الفرنسي في القرن السابع الميلادي: "أن البصرة تقع من جانب بلاد العرب الصحراوية على بعد فرسخين من خرائب مدينة كانت تدعى سابقاً طريدون، و أخربة طريدون تقع على مقربة من البصرة"، وقد ذُكر: أن طريدون يمكن أن تكون في جبل سنام[*]بالقرب من نهر(أبا) المعروف الآن (بكرى سعده)، وهذه البقعة على نحو ثلاثة وعشرين ميلاً من جنوب غربي البصرة، وعلى بعد ثلاثة عشر ميلاً غربي الزبير [2]، وقد ذكر (بليثي) هذه البلدة في تاريخه الطبيعي: "أنك إذا سرت شمالاً بطريق الماء من المقاطعات انتهيت على قرية تعرف باسم طريدون"، أما المؤرخ الروماني (أميناس مرسلينيس) فقد عد طريدون مدينة آشورية [3].

الظاهر أن موقع المدينة القديمة لم تكن كالبصرة الحديثة على شاطئ دجلة (دجلة العوراء أو شط العرب)، بل داخل الأراضي على مسافة تقدر بأربعة فراسخ [4]، وقد اختطت البصرة حيث تنتهي عندها رمال الصحراء، وفي

---

(1) شارل بيلا: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق 1985م، ص 34.

(*) جبل سنام: هو تل عظيم يقع بالقرب من الحدود العراقية الكويتية حالياً. العباسي: المرجع السابق، ج1، ص 25.

(2) المرجع نفسه، ص 24.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 33.

الأرض الغنية السوداء التي تُروى بالمياه الصادرة مما يكونه اتحاد نهر الفرات بنهر دجلة، وما كان للبصرة أن تظل سوقاً صغيرة تقام فترة وأخرى لتبادل السلع بين البدو والقرويين، بل سرعان ما أصبحت مركزاً متكاملاً وبلداً زراعياً من الطراز الرفيع ومركزاً تجارياً هاماً، ولعل ذلك راجع إلى موقع البصرة الممتاز لكونها نهاية نهرية بحرية في الوقت نفسه [1].

ثانياً: منطقة البصرة قبل الفتح:

تتكون البصرة قبل فتحها من قبل المسلمين من أحياء قديمة متباعدة بالية تستخدم مسالح للعجم منها:

1ـ الخريبة:

وهى موضع بالبصرة، وسميت بذلك لأن المرزبان[*] كان قد ابتنى به قصراً وخرب بعده، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده، وفيه أبنية سموها الخريبة [2]، وهى من بقايا تردم أو تردن الكلدانية، كما ذكرتها الكتب اليونانية، وتسمى تدمر خطأ، وتقع دون دجلة، كما وصفها ثابت بن سويد من بني سدوس، بينها وبين دجلة أربعة فراسخ [3].

(1) ماسينيون: المرجع السابق، ص 30.

(*) المرزبان: الرئيس عند الفرس والجمع مرازبة، والمرزبة الرئاسة عندهم. البلاذري: المصدر السابق، ص 443.

(2) ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص312.

(3) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص25-26.

وحين آلت المنطقة في قبضة الفرس زمن الملك كورش سنة (538 ق.م)، سميت هذه المدينة هيشتا باداريشت، ويبدو أن هذه التسمية الفارسية لم تحدث إلا بعد أن استكمل الفرس بناءها من جديد، كما فعل اليونان بعد أن استقروا في المنطقة بعد غزو الإسكندر، فأطلقوا عليها تردم [1]، وعرفت كذلك الخريبة باسم بصيرة الصغرى، وقد ورد ذكر البصيرة في إحدى خطب الإمام علي t بقوله:" يا أهل البصرة والبصيرة"، وهذا يدل على أن البصيرة قديمة، وأنها مكان معين بارز، والراجح أن موقعها في منطقة الخريبة، وأنها تبعد عن وسط البصرة بمسافة يبرر ذكرها وتميزها عن البصرة [2]، وقيل:أن اسم الخريبة مشتق من الحرب كما جاء في تاريخ العرب والتمدن الإسلامي للسيد أمير علي فقال: " اسمها الحربية لا الخريبة"، ولربما اعتمد السيد أمير علي كتاب مروج الذهب للمسعودي، فقد ورد فيه لفظ الحربية [3].

تقع الخريبة في الجهة الغربية من البصرة، وتدل المعلومات الأخرى المتوافرة من المصادر أنها كانت في شمال المربد، حيث قيل: " قد تنبح الكلاب في الخريبة وكلاب بني سعد غير نابحة"، وهذا يدل على أن الخريبة كانت في جهة بني سعد، أي في الجانب الشمالي الغربي من البصرة [4]وهذا رد على بعض المشككين الذين يقولون أن الخريبة هي البصرة القديمة، وأنها قد خربت قبل مجيء المسلمين إليها، نتيجة لكثرة الحروب التي شُنت عليها، وهذا الرأي

(1) المرجع نفسه، ص26.

(2) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص123.

(3) العباسي:المرجع السابق، ج1، ص27-28.

(4) العلي: البصرة ومنطقتها، ص124-125.

غير مقرون بدليل ولا حجة، حيث أن الخريبة لم تكن أطلالاً حين جاءها المسلمون بل كانت مسلحا للأعاجم [1]، في حين أن البصرة عندما وصلها المسلمون لم يجدوا موضعاً مأهولاً بالسكان والعمران، ولكنهم وجدوها منطقة خالية فيها بعض الخرائب والقصور القديمة [2].

2ـ الأبلة:

أ- التسمية:

الأُبُلّة بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها [3]، وعرفت الأُبُلّة باسم مرفئها التجاري وهو أبو لوكوس، الذي تأسس أثناء حملة الإسكندر الكبير، وهذه التسمية توحي بأن تركيبتها يونانية، وفي حين يُرجح بعض الباحثين: أن أصل كلمة (أبلة أو أبو لوكوس) عراقي قديم، فإن هذه الكتابات الأكادية يشار إليها بكلمة (أبولم)، إلا أنها وردت في نص يرجع إلى الملك (تفلت فلاسر الثالث)، ويقصد بها اسم قبيلة كما وردت الكلمة ضمن جملة أسماء للقبائل التي كانت تقطن المنطقة الجنوبية من العراق أيام الملك (سرجون الثاني) [4].

---

(1) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص 28.

(2) ناجي: أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الثقافية في البصرة، المرجع السابق، ص 56.

(3) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 76 - 77.

(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 145 – 146.

ب- موقعها ودورها التجاري:

تقع الأُبُلّة على نهر شط العرب، الذي كان يسمى حينها (نهر دجلة العوراء)، وكانت الأُبُلّة ميناءً تجارياً ومسلحة للفرس، ويتضح ذلك في رسالة عتبة بن غزوان إلى الخليفة عمر t ، حيث وصفها بأنها:" مرفأ سفن البحر من عُمان والبحرين وفارس والهند والصين" [1]، وهي تقع عند فم نهر يسمى الأُبُلّة من قبل الشمال في الجزيرة الكبرى وبإزائها من الجنوب البلدة المسماة (شق عثمان) [2]، ونظراً لما تتمتع به الأُبُلّة من موقع وأهمية اقتصادية وتجارية متميزة كونها ميناءاً تجارياً [3]، فقد كانت لها علاقات تجارية، حيث كان يقصدها تجار الهند وفارس والصين [4]، و الأُبُلّة مدينة قديمة وهي أقدم من البصرة لأن البصرة أنشئت في عصر الخليفةعمر t ، وكانت الأُبُلّة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل الفرس [5]، وقيل عنها بأنها:"كورة بالبصرة طيبة جداً، نضرة الأشجار متحاوية الأخيار متدفقة الأنهار مورقة الرياض والأزهار، لا تقع الشمس على كثير من أرضها، ولا تبين القرى من خلال أشجارها" [6].

---

(1) المرجع نفسه، ص 131.

(2) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص30.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 134.

(4) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص30.

(5) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 76 – 77.

(6) القزويني: المصدر السابق، ص 286.

وقيل:"جنات الدنيا ثلاث: غوطة دمشق (*)، ونهر بلخ(*)، ونهر الأُبُلّة"[1].

3ـ الكاظمة:

كاظمة بالظاء المعجمة، الكظم إمساك الفم والكاظم المطرق لا يجر من الإبل، وهي جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان (*)[2]، وقد حدد الجغرافيون العرب موقعها، فقالوا: إنها تقع على سيف البحر بين البصرة والقطيف، بينها وبين البصرة مرحلتان، وبينها وبين القطيف أربع مراحل، وهي جنوب البصرة، ويقال لها:كاظمة البدو، وبها آبار كثيرة قريبة المدى، ماؤها ظاهر ومراعيها جيدة، وقد سكنتها قبائل أياد ثم قبيلة بكر، ولم يذكر المؤرخون أي قبيلة أخرى سكنتها بعد ذلك بصور جماعية، وقد كانت الكاظمة تجمع بين محاسن البادية وطيب الحاضرة، فهي قريبة من البادية جهة الجنوب، واقعة على طريق القوافل القادمة من نجد والحجاز والمتجهة نحو العراق [3].

(*) غوطة دمشق: استدارتها ثمانية عشر ميلاً يحيط بها جبال عالية جداً ومياهها خارجة من تلك الجبال. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص 219.

(*) نهر بلخ: يقال: لجحون نهر بلخ بينهما نحو عشرة فراسخ. المصدر نفسة، ج1، ص 117.

(1) المصدر نفسه، ص 77.

(*) المرحلة: 12ساعة وهى ثمانية فراسخ. الزحيلي: المرجع السابق، ج1، ص 141.

(2) المرجع نفسه، ج4، ص 431.

(3) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص33.

ثالثاً: فتح الأُبُلّة وتأسيس البصرة:

1ـ فتح الأبلة:

اختلف المؤرخون في زمن فتحها، ويتضح ذلك في تباين الروايات التاريخية حول هذا الموضوع ومن هذه الروايات ما يلي:-

أ- هناك رواية تذكر: بأن الخليفة أبا بكر t حين بعث خالداً بن الوليد لفتح العراق سنة (12هـ - 633م)، كتب له أن يبدأ بفرج السند والهند، وهو يومئذ الأُبُلّة [1]، فسار خالد إليها بعد أن جمع ثمانية آلاف متطوع من ربيعة ومضر، مع ألفين ممن كان معه [2]، وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف [3]، وكانت الأُبُلّة ومنطقتها حينها تحت إمرة القائد الفارسي هرمز، وهو من أسوأ أمراء الفرس معاملة للعرب، ولما شارف خالد الأُبُلّة كتب إلى هرمز: "أما بعد فأسلم تسلم واعقد لنفسك وقومك الذمة، وأقر بالجزية، و إلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة" [4].

كانت موقعة الأُبُلّة من أهم المعارك التي خاضها خالد بن الوليد ضد الفرس، وتسمى موقعة ذات السلاسل، لأن الفرس ربطوا فيها جنودهم

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج 2، ص 309.

(2) أبو الفضل، إبراهيم محمد: أيام العرب في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، بيروت 1968 م، ص 178.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 239.

(4) أبو الفضل: المرجع السابق، ص 178.

بسلاسل حتى لا يفروا من المعركة، ولكن ذلك لم يغنهم شيئاً فقد فر منهم من وجد حيلة للفرار، وسقط الباقون صرعى، وقد ترتب على هذه الموقعة الاستيلاء على ميناء الأُبُلّة [1].

وهناك من لا يعتقد بصحة هذه الرواية، ويذكر أن: خالداً بن الوليد مر من الأُبُلّة مروراً أثناء خلافة أبي بكر الصديق t [2].

ب- تذكر الرواية الثانية: أن الخليفة عمر بن الخطاب t بعث عتبة بن غزوان لمنطقة البصرة، وفتح الأُبُلّة في رجب أو شعبان من سنة (14هـ-635م)[3]، قال نافع [*]: " ولما بلغنا ستمائة قلنا: ألا نسير إلى الأُبُلّة فإنها مدينة محصنة، فسرنا إليها ومعنا العُنُز وهي جمع عنزة، وهي أطول من العصا وأقصر من الرمح وفي رأسها زُج، وسيوفنا، وجعلنا للنساء رايات على قصب وأمرناهن أن يثرن التراب وراءنا حين يرون أنا قد دنونا من المدينة، فلما دنونا منها صففنا أصحابنا، قال: وفيها ديادبتهم وقد أعدوا السفن في دجلة، فخرجوا إلينا في الحديد مسومين لا نرى منهم إلا الحدق، قال: فو الله ما خرج أحدهم حتى رجع بعضهم إلى بعض قتلا، وكان الأكثر قد قتل بعضهم بعضاً،

---

(1) شلبي: المرجع السابق، ج1 ص، 391.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 132.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 441.

(*) نافع: ابن الحارث بن كلدة الثقفي الطائفي:أول من ابتنى دارا واقتنى الخيل بالبصرة، كان من رقيق أهل الطائف أمه مولاة للحارث واعترف الحارث أنه ولده فنسب إليه. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج7، ص 352.

ونزلوا السفن وعبروا إلى الجانب الآخر، وانتهى إلينا النساء، وقد فتح الله علينا ودخلنا المدينة وحوينا متاعهم وأموالهم"[1].

ج- تذكر الرواية الثالثة: أن سعد بن أبي وقاص هو الذي بعث عتبة بن غزوان، وكان ذلك سنة (16هـ - 536م)، بعد جلولاء وتكريت إلى منطقة البصرة، فأقام بها شهراً و خرج إليه أهل الأُبُلّة، وكانت مرفأ للسفن من الصين، فهزمهم عتبة وأخرجهم من المدينة، ورجع إلى عسكره ورعب الفرس، فخرجوا عن الأُبُلّة وحملوا ما خف وخلوا المدينة وعبروا النهر، ودخلها المسلمون فغنموا ما فيها واقتسموه [2].

د- تذكر الرواية الرابعة: أن المسلمين كانوا قد استولوا على الأُبُلّة، فلما انسحب المسلمون من سواد العراق استعداداً لمعركة القادسية، وكان هذا الثغر من البلاد التي تركوها، فعاد إلى أيدي الفرس، وبعد انتصار المسلمين في القادسية تقلص الوجود الفارسي في جنوب العراق، فأمر الخليفة عمر t سعد بن أبي وقاص إرسال فصيلة إلى الأُبُلّة، فأرسل سعد فصيلة بقيادة عتبة ابن غزوان لاستعادة الأُبُلّة [3].

إن الاختلاف والتباين في الروايات التاريخية في فتح الأُبُلّة، راجع إلى أن الأُبُلّة لم تفتح مرة واحدة، والثابت أن خالداً بن الوليد خاض معركة ذات

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص431.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص515.

(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام - السيرة النبوية - الخلافة الرشيدة)، ص543.

السلاسل سنة (12 هـ - 633 م)، بالقرب من الأُبُلّة، وواصل سيره إلى بقية مناطق العراق، ولم يترك حامية في المنطقة نتيجة للظروف العسكرية، حيث أنه لم يؤمن وجود المسلمين في العراق، ومن المجازفة ترك قوة قد تتهددها المخاطر، وكذلك قلة قواته مقارنة بقوات الفرس الكبيرة، ولهذا فإن خالداً كان محتاجاً لكل جندي من قواته في مواصلة عملية الفتح، ولهذا لم يُثبّت وجود المسلمين في هذه المنطقة، والراجح أن الفرس عادوا إلى المنطقة بعد ترك المسلمين لها، واستمر وجودهم إلى غاية قدوم عتبة ابن غزوان سنة (14 هـ - 635م)وفتحه الأبلة.

2ـ تأسيس البصرة:

مهما كان تأسيس البصرة بدائياً، إلا أنه يعد مغامرة، إذ أنه بعد مضي سنة أو أكثر أو أقل من انتهاء فتح العراق، أسست هذه المدينة على أرض جرداء غير ذات زرع، محرومة من الري، وواقعة على بعد (أربعة فراسخ)، من أقرب بلد سبق وجوده مجيء المسلمين ألا وهو الأبلة[1].

في أيام الخليفة عمر t مصرت الأمصار [2]، وكانت البصرة أولى الأمصار التي أمر الخليفة عمر t باختطاطها[3]، وقد مر موضع البصرة بمرحلة سبقت التمصير، تلك المرحلة التي ترتبط باتخاذ عتبة لها كمكان لتجمع المقاتلين فكانت دُورهم آنذاك من الخيام والفساطيط، ولم يكن لهم في الموضع بناء حينئذ

(1) شارل بيلا: المرجع السابق، ص30.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 132.

(3) النبراوي، فتحية: الخلفاء الراشدون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1983 م، ص113.

فإنه من غير الممكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة مدينة مستقرة، فالحملة العسكرية كانت حملة استطلاعية، كما أن المرافقين لعتبة كانوا قلائل يتراوح عددهم بين (300 – 800) مقاتل [1].

أ- توزيع القبائل إلى سبعة دساكر:

تذكر إحدى الروايات: أن مرحلة البناء بدأت مبكراً قبل خروج عتبة وأصحابه من الخريبة إلى البصرة، وذلك عندما تدفقت القبائل العربية، وتفرقت في سبع قطائع [2]، ومضمون هذه الرواية:" أن عتبة وزع أصحابه في سبع دساكر بناها من لبن، منها بالخريبة اثنتان، وبالزابوقة واحدة، وفي الأزد اثنتان، وفي تميم اثنتان " [3].

إن الرواية التي تقول: إن عتبة بنى سبع دساكر من لبن غير مرجحة، لأن مرحلة البناء باللبن لم تحدث إلا بعد مرحلة البناء بالقصب، الذي استأذن عتبة من الخليفة عمر t في البناء به، فكيف يستأذن عتبة في البناء بالقصب، حيث سهولة البناء وقلة النفقة، ولا يستأدن قبله في البناء باللبن، والأمر الآخر الذي يدل على عدم بناء هذه الدساكر، كما تشير الرواية، أنهم بنوها من لبن فكيف يستأذن المسلمون من الخليفة عندما أرادوا البناء باللبن بدل القصب، منطقياً إنهم لا يحتاجون إلى استئذان لأنهم بنوا بهذه المادة في السابق، والأمر الآخرالذي يؤيد عدم بنائهم هذه الدساكر هو أمر الخليفة عمر بن الخطاب لعتبة بترك هذه الدساكر، وجمع أصحابه في موضع واحد، ولو أن المسلمين بنوا

---

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 134.

(2) زكي: المرجع السابق، ص21.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 461.

هذه الدساكر وأرهقوا أنفسهم في ذلك لما أمر بترك هذه المواضع، والأرجح في ذلك ما جاء في الرواية التاريخية التي تقول: "كانت البصرة سبع دساكر، اثنتان بالخريبة، واثنتان بالزابوقة، وثلاثة مواضع بالأزد، ففرق عتبة أصحابه فيها، ونزل هو بالخريبة، وكانت مسلحة للأعاجم، ولم يدم نزولهم فيها، إذ جاء الأمر من الخليفة عمر t إلى عتبة بأن يجمع أصحابه وينزل بهم موضعاً قريباً من الماء والمرعى، فسار إلى موضع البصرة" [1].

يتضح من سرد هذه الرواية، أن الدساكر السبعة كانت موجودة قبل وصول المسلمين إليها، ويتضح من أمر الخليفة عمر t لعتبة بتجميع قواته في موضع واحد، هو خشيته من تشتيتهم في عدة مواضع من المخاطر، وكذلك حتى يكونوا مستعدين للتحرك إلى أي موضع، وهذه المرحلة سبقت مرحلة التخطيط والبناء التي بدأت بعد اختيار موضع البصرة كقاعدة ومقر لهم.

ب- تاريخ تأسيس البصرة:-

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي مصرت فيها البصرة، حيث تعددت الروايات التاريخية التي تتباين في ذلك، ومن هذه الروايات الرواية التي تذكر: أنه في سنة (14هـ - 635 م) مصر عتبة بن غزوان البصرة، وأمر ببناء مسجدها الأعظم [2]، في حين أن هناك رواية أخرى تذكر: أن عتبة نزل البصرة في ربيع سنة (14 هـ - 635 م)، وأن البصرة مصرت سنة (16 هـ - 637م)، بعد معارك جلولاء وتكريت [3]، وهناك من يقول: أرسل سعد عتبة

(1)المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) الحنبلي: المصدر السابق، ص39.

(3) المسعودي: المصدر السابق، ج1، ص351.

ابن غزوان، فاستولى على الأُبُلّة من جديد، وعسكر بموضع البصرة سنة (14هـ - 635 م) وفي سنة (17هـ - 638 م)، اتخذت الأبنية بالبصرة، فهي وإن نزلها المسلمون سنة (14هـ - 635 م) إلا أن تخطيطهالم يتم إلا سنة (17هـ - 638 م) [1]، ويرى آخرون: أن البصرة أنشأت سنة (14هـ - 635م)، حيث نزلها عتبة بن غزوان بمن معه بأمرالخليفة عمر t ، فأسس فيها مسجداً وداراً للإمارة بناها من القصب، على أن تمصير البصرة يعود إلى واليها أبي موسى الأشعري سنة (17هـ - 25 هـ / 638 م – 645 م) [2]، وفي رواية أخرى عن الواقدي: أنها مصرت سنة (17هـ - 638 م)، قبل الكوفة بستة أشهر، وأن نزول عتبة فيها كان سنة (17هـ - 638 م) [3]، فيما يذكر ابن الأثير: أن عتبة بن غزوان بنى البصرة في خلافة عمر ابن الخطاب t سنة (17هـ - 638م) ولم يعبد بأرضها صنم [4].

قد حاول (شارل بيلا) حل مسألة تاريخ تأسيس البصرة، فذكر:أن هناك مجموعتين متناقضتين من الأخبار، الأولى ترجع بتاريخ التأسيس إلى سنة (14هـ- 635م)، في حين تؤرخ الثانية تأسيسها سنة(16هـ- 637م) أو

---

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 543.

(2) الجميلي، رشيد عبد الله: تاريخ الدولة العربية الإسلامية، مكتبة المعارف، الرباط 1983م، ص199.

(3) الهوني، محمد فرج: النظم الإدارية والمالية في الدولة الإسلامية، الشركة العامة للنشر، بنغازي 1976 م، ص122.

(4) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت)، ج1، ص158.

(17هـ- 638 م)، أضف إلى هذا الاختلاف في تاريخ التأسيس تناقضاً آخر في علاقات الوقائع، وعرض الظروف التي تحيط بحادثة التأسيس، فالمجموعة الأولى من الأخبار: تؤكد أن مؤسس المدينةعتبة بن غزوان كان تحت إمرة الخليفةعمر t في حين أن الثانية: تجعله تحت إمرة القائد سعد بن أبي وقاص، وهذه هي التضاربات الأساسية التي تقدمها المصادر الأصلية، وقد درس شارل بيلا هذه التناقضات، حيث ذكر: " أنه ليس هناك عدم توافق أصيل بين المجموعتين، وإن كان يصعب البرهان على ذلك بصورة جازمة، وربما أن يكون هذا الاختلاف ناشئاً عن التنافس بين البصرة والكوفة، فإن للبصريين مصلحة في تقديم تاريخ تأسيس مدينتهم، كما أن الكوفيين أرادوا القول أن أحد أعوان قائدهم سعد بن أبي وقاص هو الذي أسس البصرة، مما يستنتج تأخر ظهور البصرة في عالم الوجود" [(1)].

وربما يكون هذا الاختلاف ناتجاً عن عدم اتفاق معظم المؤرخين في تحديد بداية مرحلة التأسيس، حيث يرى البعض: أن بدايات التأسيس بدأت مع بداية عتبة أعمال التخطيط والبناء بعد انتقاله من منطقة المخيم إلى منطقة الدهناء [(*)] بعد استشارة الخليفةعمر t [(2)]، على الرغم من أن مادة البناء في هذه المرحلة كانت القصب، وسبب البناء بهذه المادة هو عدم الاستقرار، حيث أن المسلمين كانوا إذا خرجوا إلى قتال نزعوا ذلك البناء ووضعوه جانباً، حتى

---

(1) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 30.

(*) الدهناء: موضع بالبصرة في موضع حوض حماد في رحبة دعلج وهي رحبة بني هاشم. ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص439.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 135.

إذا رجعوا أعادوا بناءه كما تشير معظم الروايات التاريخية [1]، وهذا لا يعني بداية التأسيس لأن البناء غير ثابت والخطط غير ثابتة، ويرى البعض:أن الحريق الهائل الذي حدث في البصرة سنة (17 هـ - 638م) والذي التهمت نيرانه جميع بيوت أهل البصرة التي كانت من القصب، وكان هذا الحريق قد ألقى الرعب في قلوبهم فخافوا أن يداهمهم مرة أخرى، فاستأذنوا الخليفة عمر t في البناء باللبن فأذن لهم[2].

إن حدوث هذا الحريق ساهم في نقل البصرة من مرحلة عدم الاستقرار والبناء بالقصب إلى مرحلة الاستقرار بالبناء باللبن، ووضع أساسات ثابتة لأول مدينة يشيدها المسلمون، وهذا يعلل تأخير سنة التأسيس عند بعض المؤرخين، الذين ذكروا بأن البصرة مصرت سنة (17هـ - 638م)على الرغم من وصول عتبة إلى المنطقة سنة (14هـ - 635م)، ويرون أن التخطيط الثابت والبناء باللبن هو البداية الفعلية لتأسيس البصرة، إن هذا الخلط واختلاف وجهات النظر في تحديد بداية مرحلة التأسيس هو الذي ساهم في عدم تحديد سنة التأسيس بدقة.

ج- العوامل التي دفعت المسلمين لتأسيس البصرة:

فضلاً عن العوامل التي شجعت المسلمين في اختيار موقع البصرة والنزول بها، هناك عوامل أخرى شجعتهم لاتخاذ البصرة مصراً مستقراً وثابتاً لهم منها:-

---

(1) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص 40.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص373.

- الانتصارات التي حققها المسلمون والتي سارعت في اجتذاب أعداد جديدة من المسلمين، فازداد حجم السكان واختلطت القبائل في البصرة، لعدم وجود خطط مستقلة، لأمر الذي دفع بالخليفة t إلى إعطاء الإذن بالبناء وتخطيط البصرة [1].
- كون البصرة مهيأة منذ القدم لأن تكون مدينة تجارية تنتهي إليها الطرق الآتية من إيران والهند، وتقطعها طرق أخرى صاعدة من بلاد العرب لتنتهي في الشمال [2].

د- الصعوبات التي واجهت المسلمين عند تأسيسهم البصرة:

- ملوحة ماء البصرة وعدم وجود الماء الصالح للشرب، مما اضطر أهل البصرة إلى أن يشتكوا إلىالخليفةعمر t حيت أمرهم أن يجروا نهراً إليها، ففعلوا ذلك في الفترة اللاحقة من التأسيس[3].
- كثرة سباخها[*]، نظرا إلى انخفاض أرضها واستوائها، وقلة المياه الجارية فيها، وقد أشارت المصادر إلى سباخ البصرة، فيروي عبد الله بن عمر حديثاً للرسول r "البصرة أخبث الأرض تراباً وأسرعه خراباً، ويكون

(1) قاسم: المرجع السابق، ص 17.

(2) العباسي:المرجع السابق، ج1، ص 44.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 478.

(*) السبخة: أرض ذات ملح، وجمعها سباخ من الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. ابن منظور: المصدر السابق، ج3، ص24.

في البصرة خسف فعليك بضواحيها وأياك وسباخها " [1]، وقول علي بـن أبي طالب t في خطبته في مسجد البصرة الجامع بعـد دخولـه البـصرة، عقب معركة الجمل:" يا أهل البـصرة يـا أهـل الـسبخة " [2]، وهـذا يـدل علـى كثـرة سـباخ البـصرة حتـى أن عليـاً t نـسب ذلـك إلى أرضـها وسكانها.

- لم يكن منـاخ البـصرة طيبـاً وكـذلك موقعهـا، فالبلـد يتعـرض للـبرد في الشتاء، وربـما جمـد المـاء في البـصرة، وترتفـع درجـة الحـرارة صـيفاً[3]، وقيل:" من عيوب البصرة اختلاف هوائهـا في يـوم واحـد، فهـم يلبـسون القمص مرة والمبطنات مرة لاختلاف جواهر الـساعات ولـذلك سميـت الرعناء" [4].

- التركيبة الاجتماعية المعقدة:فالقبيلة لم تنته، وإن نجحت الظروف الجديـدة في تغييرهـا وتطويرهـا، فقـد بـرزت إلى الوجـود قبيلـة جديـدة في إطـار إسلامي أخـذت الخلافـة الإسـلامية ذلـك في الاعتبـار كقـوة للتوحيـد والربط من جانب، وكعظمة للنزاع والصراع من جانب أخر [5].

---

(1) الصنعاني، بن همام بن نافع: المصنف، تحقيق أيمن نصر الدين الأزهري، ط1، دار الكتـب العلمية، بيروت 2000م، ج12، ص 252.

(2) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص436.

(3) زكي: المرجع السابق، ص 33.

(4) ياقوت:المصدر السابق، ج1، ص 436.

(5) قاسم: المرجع السابق، ص 19.

هـ- تطور الموضع إلى مصر:

لم يتطور موضع البصرة إلى مصر إلا حينما بدأ عتبة التخطيط والبناء في الموقع بعد حصوله على موافقة الخليفة عمر بن الخطاب t [1]، فبدأ عتبة ببناء المسجد الذي بناه بالقصب[2]، وبعده بنى دار الإمارة دون المسجد في رحبة بني هاشم (الدهناء)، وبنى فيها أيضاً السجن والديوان [3]، وبعد ذلك بدأ الناس يبنون مساكنهم ودُورهم، وكانت أول دار بنيت في البصرة دار نافع بن الحارث، ثم دار معقل بن سيار المزني[*]، وأول حمام بني بها هو حمام عبد الله بن عثمان ابن أبي العاصي بالخريبة، وأول مولود ولد بالبصرة في الإسلام هو عبد الرحمن بن أبي بكرة، وأبو بكرة[*] هو أول من غرس النخل في البصرة، وقال: "هذه أرض نخل" ثم غرس الناس من بعده [4]، وكانت مساحة مدينة البصرة عند تأسيسها فرسخين في فرسخين [5].

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص461.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص515.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.

(*) معقل بن سيار بن عبد الله المزني (توفي سنة: 65هـ - 685 م) صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان وسكن البصرة وتوفي بها ونهر معقل منسوب إليه حفره بأمر عمر. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج 7، ص 271.

(*) أبو بكرة: (توفي سنة: 52 هـ - 672 م) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي: صحابي من أهل الطائف. المصدر نفسه، ج8، ص 44.

(4) الهمذاني: المصدر السابق، ص 232.

(5) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص 43.

المبحث الثاني

خطط البصرة ومعالمها العمرانية

أولاً: التركيبة السكانية:

1ـ السكان قبل الفتح:

كانت منطقة البصرة قبل مجيء المسلمين إليها مأهولة بالسكان ومن أهمهم:

أ- الفرس:

وهم أبرز العناصر السكانية التي كانت موجودة في المنطقة قبل الفتح، حيث كانت الخريبة إحدى مراكزهم وهي مسلحة لهم[1]، وكذلك كانت الأُبُلّة من أهم مراكزهم، حيث كان أغلب سكانها من الفرس، وبخاصة أنها كانت الميناء العراقي الرئيسي للتجارة مع الهند[2]، وكان يحمى الأُبُلّة عند مجيء المسلمين إليها خمسمائة من الفرسان الأساورة[*] والإيرانيين، لذلك فإن الفرس كانوا يمثلون أغلب سكان المنطقة[3].

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص460.

(2) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص 33.

(*) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً كالأحامرة بالكوفة والأسوار الواحد من أساورة الفرس، وهو الفارس من فرسانهم المقاتلة. ابن منظور: المصدر السابق، ج4، ص388.

(3) شارل بيلا: المرجع السابق، ص54.

ب- الآراميون:

وهم من كان يطلق علـيهم كتّـاب العـرب دون تمييـز اسـم النبطـيين[1]، ولقد عرف عن النبطيين أن جلهم كانوا فلاحين مستضعفين، همهم هـو تـأمين رزقهم الضئيل[2].

ج- الهنود:

وهم من العناصر السكانية التي اسـتوطنت البـصرة قبـل قـدوم المـسلمين إليها، حيث أنهم نقلوا من الهند واستقروا على شواطئ الخلـيج العربـي زمـن بهرام جور المتوفى سنة(438 أو439م)، وضمهم الفرس بعد ذلك إلى قـواتهم، فأصبحوا من ضمن جندهم[3]، وتأثير الهنود على منطقة البصرة كـان واضـحاً، حيث أن الأُبُلّة تعـرف بـأرض الهنـد، وأن سـبب هـذه التـسمية لا يخـرج عـن أمرين: أولهما: إما أن العرب كـانوا يـسمونها كـذلك لأنهـا تجمـع تجـارة الهنـد ومراكزها فيها، وثانيهما: أن الهنود كانوا غالبين عليها[4].

د- البابليون والأشوريون:

وهم أصل السكان في العراق من العرب القدامى الذين هاجروا من شـبه الجزيرة العربية إلى العـراق وأقـاموا فيـه أولى الحـضارات في التـاريخ منـذ أقـدم

---

(1) المرجع نفسه، ص 54 – 55.

(2) زكي: المرجع السابق، ص64.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص500.

(4) زكي: المرجع السابق، ص58.

العصور وهم يمثلون عنصراً مهماً من العناصر السكانية الـتي اسـتوطنت منطقـة الأُبُلّة قبل قدوم المسلمين إليها[1].

هـ - العشائر العربية:

وهى التي استوطنت المنطقة بالقرب من الأُبُلّـة، وأغلبهـا مـن قبيلـة بكـر التي كان انتصارها على الفرس في موقعة(ذي قار) قـد شـجعها، فأخـد بعـض رجالها يقومون بغارات على الأطراف الغربية للإمبراطورية الساسانية[2].

واعتماداً على الروايات التاريخية، فـإن العـرب المـسلمين حينمـا وصـلوا المنطقة لم يجدوا موضعاً مأهولاً بالـسكان والعمـران، ولكـنهم وجـدوها منطقـة خالية فيها بعض خرائب القصور القديمة[3].

2ـ السكان بعد الفتح:

أ- العرب و المسلمون:

إن بداية استيطان العرب المسلمين للبصرة، كان بدخول عتبة بـن غـزوان المنطقة واتخاذها مسكناً للقوة البسيطة التي كانـت معـه، والـتي تقـدر كمـا تـشير الروايات التاريخية، بثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، انضم إليهم قوم من الأعـراب وأهل البوادي، فقدموا البصرة في خمسمائة يزيدون قلـيلاً أو ينقـصون قلـيلاً[4]، وتضخم هذا العـدد بعـد أن أرسـل الخليفـة عمـر بـن الخطـاب **t** إلى البـصرة

---

(1) المرجع نفسه، ص 55.

(2) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص34.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 335.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص439.

سبعين ألفاً من أشراف بطون القبائل العربية، وفيهم عـدد كـبير مـن الـصحابة، وقسم من الطبقة الأولى من التابعين فأسكنهم فيها بعد بنائها بالقصب[1].

ولقد جلبـت التطـورات العـسكرية الـسريعة، والـتي حققهـا العـرب في الجبهة البصرية نتائج في غاية الأهميـة، لا علـى الـصعيد العـسكري والإداري فحسب، وإنما كان أيضاً على الصعيدين الاجتمـاعي والطبـوغرافي، فأصـبحت البصرة القاعدة الأساسية التي تنطلق منها الجيوش العربية باتجـاه منطقـة واسـعة من بلاد فارس أيام ولاية أبي موسى الأشعري (17–27 هــ/ 638– 648م)، وساعد هذا التحول على جذب أعداد غفيرة مـن المقـاتلين العـرب الجـدد، إلى الموضع فازداد حجم السكان بشكل ملحوظ[2]، وأن توافـد هـذه الأعـداد مـن القبائل والعشائر العربية، ربما كان دافعه هو تحسين وضعها الاقتـصادي، خاصـة بعد الثراء والغنى المفاجئ الذي حصل عليه سكان البصرة من الفتوح[3].

وكان أغلب سكان البصرة في هذه المرحلة من القبائل العربية الـتي كانـت تقيم شرقي الجزيرة العربية وخاصة منطقة الخليج العربي، كتميم، وبكـر، وعبـد القيس[4].

ومع تزايد توافد هذه القبائل والعـشائر العـشوائي والغـير مقـنن، أصـبح الوضع الاجتماعي متشعباً، والتركيبة الاجتماعية معقدة، وخطر النزعـة القبليـة

---

(1) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص 43.
(2) ناجي: أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحيـاة الثقافيـة في البـصرة، المرجـع السابق، ص 57.
(3) قاسم: المرجع السابق، ص 17.
(4) المرجع نفسه، ص 18.

الجاهلية بدأ يظهر في البصرة، غـير أن التنظيمـات الاجتماعيـة الـتي حـدثت في البصرة كان لها دور في إضعاف هذه النزعة من خـلال انخـراط هـذه القبائـل في جيش واحد يحارب باسم دولة الإسلام، و إن كان تنظيمـه يقـوم علـى أسـاس الانتماء القبلي، وذلك بوضع أفراد القبيلة المحاربين تحت قيادة قائـد مـنهم، فـإن القيادة العامة كانت في يد الخليفـة أو مـن ينـوب عنـه مـن القـادة العـسكريين، وكانوا يحاربون من أجل مصلحة الجماعة الإسلامية الـتي تعـبر عنهـا الخلافـة، وبذلك تنازل العرب في هذه المرحلة عـن العـصبية القبليـة وأخـضعوا أنفـسهم لسلطة الدولة المركزية [1].

وكـان للـسياسة الحكيمـة للخليفـة عمـر بـن الخطـاب t دور في محـو الفوارق الاجتماعية، وشعور السكان بأنهم أعزاء وهم يعيشون في كنف الدولة الإسلامية الوليدة، ويتـضح ذلـك في كتـاب الخليفـة عمـر t إلى أهـل البـصرة عندما بعث أبا موسى والياً عليهم: " أما بعد فإني بعثت أبا موسى أمـيراً علـيكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم، وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم ولـيحص لكم فيكم، ثم ليقسمه بينكم ولينقي لكم طرفكم "[2].

لقد تضخم عدد سكان البصرة من العرب الـذين كـان يكفـيهم في بدايـة أمرهم لحم جزور واحد، تكـاثروا علـى مـدى عـشرين عامـاً ليبلـغ عـدد مـن أدرجوا في الديوان ما يقرب من ستين ألفاً، عدا الأطفال والموالي والعبيـد، وإذا استثنينا قلة من وجهاء القوم كصحابة الرسول r ، وبعـض كبـار الشخـصيات،

---

(1) المرجع نفسه، ص 19.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 493.

فإن الغالبية العظمى من هؤلاء قد هاجروا مع قبائلهم واستقروا في المصر على أساس انتمائهم القبلي [1].

- أهم القبائل العربية التي سكنت البصرة:

- قبيلة بكر: ومن أهم العشائر التي تنتمي إليها: بنوشيبان، ورقاش، وسدوس، وعنزة، وجحدر، وحنيفة، وضبيعة، وتيم اللات بن ثعلبة، وتميم بن شيبان، وذهل بن شيبان، وعجل [2].
- قبيلة تميم: وأهم عشائرها: بنو مازن، وبنو سعد، وبنو العنبر، ومجاشع، ونهشل، والهجيم، والفقيم، والغدان، والهجريون، وبنو عسل [3].
- القبائل التي وفدت إلى البصرة من المنطقة الممتدة من جهة نجد من المدينة إلى تهامة، وهى: قريش، وكنانة، وبجيلة، وخثعم، وقيس عيلان (وهى أكثر قبائل هذه المجموعة عدداً)، ومزينة، وأسد، وثقيف، وهذه القبائل تمثل أهل العالية بعد تخميس البصرة [4].
- قبيلة عبد القيس: وأهم عشائرها: بنو دبل بن نقرة، والمعذل بن عيلان، وعشيرة الجارود، والتي لها مقاليد الأمر في بني عبد القيس[5].

---

(1) قاسم: المرجع السابق، ص 35.
(2) زكي: المرجع السابق، ص 71.
(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(4) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 57.
(5) ماسينيون: المرجع السابق، ص 24.

- قبيلة الأزد: وأهم عشائرها: الحدان، والقساملة، وبني عتيك، وبني راسب [1].

ومثلت هذه القبائل سيادة البصرة، وأصبحوا هم أصحاب الريادة والزعامة على حساب بقية العناصر السكانية، حيث كان جل جيش البصرة منهم، كذلك كان بعضهم أصحاب اقطاعات بعد سماح الخليفة عمر t بإعطاء إقطاعات لتعميرها، بعد أن كان رافضاً عملهم في الزراعة، وامتهن بعضهم حرفة التجارة مستفيدين من موقع البصرة المهيأ ليكون مركزاً تجارياً كبيراً.

ب- السكان الأصليون:

ويمكن حصرهم فيما يأتي:

- البابليون والأشوريون: حيث لم يكن لهم دور الشريك مع العرب الفاتحين، إذ كان هواهم مع الفرس لارتباطهم معهم في مصالحهم المتصلة بالأرض، وضرورة الدفاع عنها، حيث قاوموا العرب الفاتحين في البداية قبل أن يألفوهم [2].

- الآراميون:(النبطيون): لزموا موضع المتفرج اتجاه الصراع القائم بين الفرس أسيادهم القدماء وبين العرب الفاتحين [3]، ويتضح ذلك عندما أراد رستم الفارسي أن يثيرهم على المسلمين، فقالوا:" إنما نحن علوج السواد عبيد

(1) المرجع نفسه، ص 18.
(2) زكي: المرجع السابق، ص 63.
(3) شارل بيلا: المرجع السابق، ص55.

لمن غلب"، وكان فيهم بعض الملاك وعاملهم المسلمون معاملة الذمي، حيث فرضت عليهم الجزية إلا من أسلم مقابل المنعة وحراسة أرضهم [1].

ج- العناصر الدخيلة:

- الأساورة:

لقد كان للأساورة دور في معاونة الفرس في مواجهة العرب الفاتحين في المرحلة الأولى من المواجهة بين الطرفين، غير أن موقفهم قد تغير بعدما أدركوا حقيقة الإسلام والقيم النبيلة التي كان يحملها المسلمون، حيث يذكر البلاذري: أن قائد مقدمة يزدجرد وكان من الأساورة، بعث إلى أبي موسى الأشعري وهو يحاصر السوس[*]: " إنا قد أجبنا الدخول معكم في دينكم على أن نقاتل عدوكم من العجم معكم، وعلى أنه إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم على بعض، وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا منهم واعتمونا عليهم، وعلى أن ننزل حيث شئنا من البلدان، ونكون فيمن شئنا منكم، وعلى أن نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الأمير الذي بعتكم"، فقال أبو موسى:" بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا"، قالوا: "لا نرضى"، فكتب أبو موسى بذلك إلىالخليفة عمر t فكتب إليه أن يعطيهم جميع ما طلبوا [2].

ومن المرجح أن هؤلاء الأساورة لم يكونوا في البدء كثيري العدد[3]، حيث قيل:"أن الأساورة لما صاروا في البصرة، سألوا أي الأحياء أقرب نسباً إلى

---

(1) زكي: المرجع السابق، ص64.

(*) السوس: بلدة بها وراء النهر. ياقوت: المصدر السابق، ج3، ص281.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص497.

(3) شارل بيلا: المرجع السابق، ص71.

رسول الله r ، قيل: بنو تميم، وكانوا قد حالفوا الأزد فتركوهم وحالفوا بني تميم وسكنوا في خطتهم[1].

- الهنود:

* السيابجة: يقال: أن أصلهم من الهند أو السند سكنوا البصرة وقيل: يستأجرون ليقاتلوا[2]، وعندما سمع السيابجة بأمر الأساورة ودخولهم الدين الإسلامي، أتوا أبا موسى الأشعري، وأعلنوا إسلامهم فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة [3]، وكانت جماعة منهم موكلين ببيت مال البصرة، يقال: أنهم أربعون ويقال: أربعمائة زمن خلافة علي بن أبي طالب t [4].

* الزط: وهم قوم من السند سكنوا البصرة وقيل: هم جيل من أهل الهند[5]، اعتنق هؤلاء الهنود الدين الإسلامي عند الفتح الإسلامي للمنطقة، وأنزلهم أبو موسى الأشعري البصرة، فاندمجوا بين حنظلة في خطة تميم، وكان لهم دور معهم في مقاتلة المشركين، ولم يشهدوا الجمل وصفين [6].

- الفرس:

الذين لم يحاربوا المسلمين، وكذلك الذين أجروا الصلح على أن يبقوا في منطقة البصرة مقابل دفع الجزية، وبعضهم دخل الإسلام، وكان جل هؤلاء من

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص498.
(2) ابن منظور: المصدر السابق، ج2، ص 294.
(3) البلاذري: المصدر السابق، ص500.
(4) المصدر نفسه، ص 501.
(5) ابن منظور: المصدر السابق، ج7، ص 308.
(6) شارل بيلا: المرجع السابق، ص74.

طبقة الأغنياء أصحاب الإقطاعات الضخمة، يحرسها فرسان من الأساورة والزط، وظلت هذه الإقطاعات لأصحابها من الفرس بناء على العهد الذي أبرمه خالد بن الوليد مع دهاقين الفرس عقب فتح الحيرة [1].

- الزنج:

وهم من العناصر السكانية التي استوطنت البصرة وجلبوا كرقيق في زمن غير معروف، استخدموا كعبيد للأرض، وهم من زنوج الساحل الشرقي في إفريقيا وأهم فروعهم: قنبلة ولنجويه والنمل والكلاب [2].

ثانياً: خطط المدينة ومعالمها العمرانية:

1ـ خطط المدينة:

أ – بداية التخطيط:

لقد مر تخطيط وبناء البصرة بعدة مراحل، تطورت فيها المدينة تطوراً كبيراً نظراً للظروف المصاحبة لفترة التأسيس، حيث ساعدت هذه الظروف في بروز البصرة بشكل سريع، إذ أن الانتصارات التي حققها المسلمون في حركات الفتوح، قد درت خيرات كثيرة على البصرة، كذلك كان إيصال الماء العذب إليها كونها تقع على بعد(12 ميلاً) غرب نهر شط العرب(دجلة)، وبذلك قفزت البصرة خطوات حضرية واسعة [3].

---

(1) زكي: المرجع السابق، ص 64.

(2) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 79 – 80.

(3) السامرائي: الملامح السياسية والحضارية لمدينة البصرة من خلال كتاب ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص 205.

بدأ التخطيط عندما بدأ عتبة في البناء بعد موافقة الخليفة عمر بن الخطاب t ، حيث بدأ بتخطيط المسجد الجامع باعتباره نواة المدينة، وبجواره عن قرب دار الإمارة، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد [(1)].

كان البناء في هذه المرحلة المبكرة بالقصب، واختط المسجد ودار الإمارة في الرحبة[(*)]، التي يقال لها: الدهناء، ثم عرفت برحبة بنى هاشم وضمت السجن والديوان وحمام الأمراء [(2)].

وظلت المدينة على هذا النحو حتى زمن واليها القائد أبو موسى الأشعري (17 – 19 هـ / 638 – 640 م)، وفي زمنه تعرضت المدينة لحريق إلتهم قصبها، فأرسل أبو موسى الأشعري إلى الخليفة عمر بن الخطاب t يستأذنه في البناء باللبن بدلاً من القصب، فأذن له الخليفة بذلك [(3)].

ب- واضع خطط البصرة:

اختلفت بعض الروايات التاريخية في تحديد الشخص الذي اختط البصرة، حيث ذكرت إحدى الروايات: أن عتبة بن غزوان هو الذي بدأ عملية رسم أول خطط للمدينة، في حين توضح رواية أخرى: أن محجن بن الأذرع

---

(1) عثمان: المرجع السابق، ص65.

(*) الرحبة: باحة الدار أو ساحتها أو فجوة بين البيوت يجمع فيها الناس للبيع والشراء أو اللهو وتمضية الوقت. غالب: المرجع السابق، ص192.

(2) الهمذاني: المصدر السابق، ص230.

(3) عبده: المرجع السابق، ص135.

السلمي[*] هو الذي اختط أول خطط للمدينة، وتشير رواية ثالثة: إلى أن نافع بن الحارث الثقفي والأسود بن سريع التميمي هما اللذان وضعا خطط البصرة [1]، في حين أن معظم الروايات التاريخية تذكر: أن أبو الحرباء عاصم بن دلف[*]هو الذي صمم مدينة البصرة، وأن الذي خط جامعها الكبير محجن بن الأذرع السلمي[2].

ج- أوامر الخليفة عمر بن الخطاب t في عملية تخطيط البصرة:

عند تخطيط وبناء البصرة ظهرت عبقرية الخليفة عمر t في ذلك، على الرغم من عدم وجود الخبرة في هذا المجال، باعتبار أن البصرة أول مدينة يؤسسها المسلمون وقد تمثلت أوامره في:

- شكل الشوارع: إذ أمر أن يكون عرض شارعها الكبير أربعين ذراعاً، وعرض المتوسط منها عشرين ذراعاً، وعرض الأزقة سبعة أذرع، ووسط كل محلة رحبة (ساحة) تكون مربطاً للخيل مربعها ستون ذراعاً [3].
- **شكل البناء**: حددالخليفة عمر t للمسلمين نمط البناء، وعندما استأذنوه في البناء باللبن قال: " افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاث

(*) محجن بن الاذرع السلمي:(توفي سنة:60هـ- 680م) من كبار الرماة، صحابي كان من سكان المدينة ثم سكن البصرة وعمر طويلاً. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج 5، ص283.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص467.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص467.

(3) زيدان: المرجع السابق، ص171.

أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة"[1]، ومن أوامر الخليفة عمر t في هذا السياق تعريض الحيطان، وإطالة السمك والتقريب بين الخشب [2].

- **توزيع القبائل إلى خطط:** حيث أمر واليه أبا موسى الأشعري بأن يوزع القبائل التي تسكن البصرة إلى خطط لكل قبيلة خطة خاصة بها، وتحديد مواضع نزولها [3].
- **تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب:** إذ أمر واليه أبا موسى الأشعري بحفر نهر، فحفر نهر الأُبُلّة، وجره(3 فراسخ)حتى وصل به إلى البصرة[4].

د- التركيبة الاجتماعية وتأثيرها على خطط البصرة:

كان اجتماع القبائل المهاجرة للبصرة في مكان واحد تجربة مثيرة، بما تنطوي عليه من احتمالات الصدام والانشقاق بين الجماعات المتنافرة، والواقع أن حدة النزاع كانت قد بدأت ترتفع قبل وصول أبي موسى الأشعري للبصرة، وتشير إلى ذلك كلمات الخليفة عمر t التي وجهها إليه، وهو يعينه والياً عليها حيث قال: " إني أبعثُك إلى أرض قد باض فيها الشيطان وفرخ، فالزم ما تعرف ولا تستبدل فيستبدل الله بك " [5].

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص373.
(2) الخربوطلي: المرجع السابق، ص281.
(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 479.
(5) عثمان: المرجع السابق، ص65.

وما كان قيام عتبة بتوزيع أتباعه إلى سبعة دساكر في المرحلـة الـتي سـبقت التأسيس، على الرغم من قلة عددهم في هذه المرحلة المبكرة، إلا تفاديـاً للنـزاع وخشية بروز العصبية القبلية، إلا أن التركيبة الـسكانية للبـصرة ازدادت تعقيـداً بعد بروز أهمية البـصرة في الفتوحـات الإسـلامية، فوفـدت إليهـا العديـد مـن القبائل والعشائر واتخذتها مستقراً لها، وخاصـة بعـد أن أصـبحت مركـزاً إداريـاً ارتبطت به البحرين والمناطق المفتوحة من بلاد فارس[1]، فضلاً عن ذلـك سـير الخليفة عمر ابن الخطاب t إلى البصرة سـبعين ألـف بيـت مـن أشـراف بطـون القبائل العربية، فأسكنهم فيهـا بعـد بنـاء البـصرة مـن القـصب ثـم بعـد بنائهـا باللبن[2].

ولذا فإن التركيبة السكانية المعقدة للبصرة فرضت نمطـاً معينـاً للتخطـيط، حيث قسمت البصرة إلى خطط لكل قبيلة وعشائرها خطـة خاصـة بهـا عرفـت باسمها.

و - خطط الأهالي(الأخماس):

اختطت البصرة على أسـاس قبلـي، حيـث توزعـت القبائـل بـين خمـس مناطق في البصرة، وأطلق عليها(أخماس البصرة). ينظر الملحق رقم(2).

- تاريخ ظهور الأخماس:

ذُكـــرت الأخمـــاس لأول مـــرة ســـنة (39 هـــ - 660 م)، دون أي تفصيلات، في حين أن القبائل كانت تذكر قبـل هـذا التـاريخ بـشكل مـشوش،

---

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 139.

(2) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص82.

سواء عند تعداد ضحايا معركة الجمل، أو عند استنفار الجيوش، ولذا من الممكن أن نصعد بهذه التسمية إلى بدء تأسيس البصرة [1]، وهناك من يقول: أن تقسيم المدينة إلى خمس مناطق قبلية عرفت بالأخماس، حتمتها انتماءات القبائل والفروع حسب أصولها المشتركة منذ بداية التخطيط، على الرغم من أن اصطلاح الخمس والأخماس ظهر لأول مرة قُبيل واقعة صفين(37 هـ - 658م)، إلا أن التقسيم الفعلي في أغلب الظن حدث قبل ذلك بكثير، فكان خمس تميم، وخمس أهل العالية يمثلان القبائل المضرية، وكان خمس بكر، وعبد القيس، يمثلان القبائل الربيعية، في حين أن خمس الأزد يمثل القبائل اليمنية [2].

إن توافد هذه القبائل على البصرة منذ بداية التأسيس، حتم بديهياً أن تكون لكل قبيلة خطة خاصة بها، حتى ولو كانت بشكل غير مقنن، وقيل: أن التأسيس الفعلي لهذه الأخماس كان في فترة متأخرة[*] من بداية تخطيط البصرة[3].

ونتيجة للتباين والاختلاف بين المؤرخين، في تحديد سنة تخطيط البصرة إلى أخماس، نجد أنفسنا مضطرين لدراسة هذا الجانب المهم، على الرغم من استقرار تنظيمها بشكل نهائي يتجاوز الفترة الزمنية لدراستنا في هذا البحث.

وكانت هذه الأخماس تعرف بخمس أهل العالية، خمس تميم، خمس بكر بن وائل، خمس عبد القيس و خمس الأزد[4].

---

(1) شارل بيلا: المرجع السابق، ص56.
(2) قاسم: المرجع السابق، ص22.
(3) شارل بيلا: المرجع السابق، ص56.
(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

- **خطة[*] خمس أهل العالية:**

* **موقعها:** امتدت هذه الخطة من أطراف المسجد الجامع إلى الجنوب الشرقى من البصرة،[1]، وبالتالي فإنها تقع بين المربد والجامع [2].

* **سكانها:** أغلبهم من الأسر التي نزحت إلى البصرة قبل سنة (40 هـ - 661 م)، وهم من المضريين وجلهم من قريش[3]، وتدل التسمية عند أهل اللغة على:" كل ماكان جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة "، لأن القبائل التي نزلت العالية منذ البداية فى هذه المنطقة، هي: قبائل قريش، وكنانة، وبجيلة، وخثعم، وقيس عيلان(وهي من أهم المجموعات لكثرة عددها) ومزينة، وأسد[4]، وكانت عشائرها من أولى العشائر التي سكنت البصرة، وأغلبها حجازية الأصل وأبرزها ثقيف [5]، وكان لأغلب هذه العشائر خطط ضمن خطة العالية، ومنها خطط: سُليم، ومزينة، وناجية، وسامة، وهذيل، وعقيل، وقشير، وبنانة، وخزاعة، وكعب، وليث، وثقيف، وتميم بن مرة، ونمير،

(*) الخطة: بالكسر، الأرض التي يخطتها الرجل لنفسه وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليُعلم أنه قد أحتازها ليبنيها داراً، ومنها(خطط) الكوفة والبصرة. الرازي: المصدر السابق، ص181.

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص32.

(2) ماسينيون: المرجع السابق، ص16.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) شارل بيلا: المرجع السابق، ص57.

(5) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص82.

وغني، وزهرة، ونهد، وحريش، وقريش، ويلاحظ أن بعض هذه الفروع لا تذكر المصادر لها خطط مع أن لبعضها دُوراً حول المسجد[1].

*** أهم خطط العالية:**

S خطة بني سُليم: كانت خطتهم متصلة بالمسجد الجامع، وكانت لهم رحبة قرب الجامع وفي خطتهم دار لعبد الله بن الزبير ويقال: أن خطتهم تمتد إلى المربد [2].

S خطة بني عقيل: كانت خطتهم في الأطراف الشمالية الشرقية من المسجد، وكانت مجاورة لبني سدوس البكريين [3].

S خطة بني أسامة بن لؤي: وهم يؤلفون الأغلبية العظمى من القرشيين في خطة أهل العالية [4].

S خطة بني عدي بن كعب: وهي بالقرب من المسجد الجامع، حيث أن مسجدها أقرب المساجد إلى المسجد الجامع [5].

S خطة قريش: وهي أبرز أهل الحجاز، وقد ذُكرت سكة باسمهم في البصرة، وهي قريبة من المسجد الجامع ودار الإمارة [6].

---

(1) زكي: المرجع السابق، ص71.
(2) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص82.
(3) المرجع نفسه، ص84.
(4) ماسينيون: المرجع السابق، ص17.
(5) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص84.
(6) المرجع نفسه، ص85.

كذلك تضمن هذا الخمس خططاً ومحلات لمجموعات لا تنتمي إلى قبائل أهل العالية، فكان مثلاً للسيابجة وهم يرجعون أصلاً إلى الهند محلة، والتي كانت تقع في خطة بني سُليم، ودرب حبش الذي كان يسكنه أحباش نقلهم الخليفة عمر بن الخطاب t إلى البصرة ويقع في محلة هذيل [1].

- **خطة خمس بني تميم[*](المضريين):**

* **موقعها:** تقع في الجانب الغربي من المدينة [2].

* **سكانها:** تميم إحدى القبائل الكبرى التي استوطنت البصرة منذ تأسيسها [3]، وهم مؤسسوا البصرة الحقيقيون [4]، وعددهم يأتي بعد الأزد، ومن الناحية الاجتماعية فهم منقسمون انقساماً عميقاً بين دارم وحنظلة [5]، ومن عشائر تميم التي استوطنت البصرة: حنظلة و بني مالك وسليط وطهبة وعجيف، وهذه الثلاث من قبائل حنظلة، ومازن الحيطات وهم من مازن، والحرماز ورياح وسعد وصريم وعطارد وعنبر والغدان ودارم ومجاشع بن دارم والهجيم [6].

---

(1) ناجي: المرجع السابق، ص 139.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 138.
(3) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص87.
(4) شارل بيلا: المرجع السابق، ص57.
(5) ماسينيون: المرجع السابق، ص21.
(6) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص87.

* أهم خطط بني تميم:

S خطة بني سعد: وهي الخطة التي فيها قبر سيدنا طلحة [*]، وبنو سعد فخذ واحد، وكانت لهم زعامة هذا الخمس قبل بني تميم [1].

S خطة بني مازن: وهذه الخطة مذكورة في أحداث معركة الجمل، حيث أنه لما قدم طلحة والزبير، وعائشة البصرة، نزلوا بالمربد، فلما كانوا بالدباغين في قصر زربي في سكة المربد، اجتمع الناس ثم انحدروا من موضع الدباغين، فأخذوا على بني نهد حتى خرجوا على مقبرة بني مازن، ثم مقبرة بني حصن[2].

وضم هذا الخمس خططاً للجماعات والقبائل التي دخلت هذا الخمس، ومن بينها خطة بني العم وهم من تنوخ من قدماء النصارى[3]، وخطة الأساورة الذين التحقوا بجيش أبي موسى الأشعري، وعندما وصلوا البصرة سألوا أي الأحياء أقرب نسباً إلى الرسول r فقيل لهم: بنو تميم، فنزلوا خطتهم وحفر لهم نهراً عرف بنهر الأساورة [4].

---

(1) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص90.
(2) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص88.
(3) ماسينيون: المرجع السابق، ص21.
(4) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص149.

- **خطة خمس بني بكر بن وائل**(*):

*** موقعها:** تقع هذه الخطة في القسم الأوسط من الجهة الشمالية الشرقية من المدينة [1]، في المنطقة الواقعة إلى الشمال من شارع المربد وجنوب المسجد الجامع [2]، وكانت هذه الخطة قريبة

من خطط أهل العالية [3]، ومتصلة بخطط الأزد ويؤيد ذلك قول الجاحظ: "وليس يجوز أن تكون ديكة المهالبة(من الأزد) تصيح وديكة المسامعة(من بكر) ساكتة" [4].

*** سكانها:** جلهم من بني بكر بن وائل، وهم معروفون باسم جدهم ربيعة، وكانوا أقل عدداً من تميم[5]، وكانت مكونة من ثماني عشائر كبرى وهي: قيس بن ثعلبة وعنزة، وتيم اللات، وعجل ويسمون (الهازم)، وذهل بن شيبان ويشكر وذهل بن ثعلبة وضبيعة ويسمون (البطون) ثم أضيفت إليهم حنيفة، ومن عشائرهم التي عامتها في البصرة دون بقية الأمصار ذهل ورقاش وزمان وسدوس وشيبان [6].

(*) بكر بن وائل: بن قاسط من بني ربيعة من عدنان: جد جاهلي من نسله بنو يشكر وحنيفة والدؤل ومرة وبنوعجل وتيم الله وذهل بن شيبان. الزركلي: المصدر السابق، ط 11، ج2، ص71.

(1) ماسينيون: المرجع السابق، ص22.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 139.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص488.

(4) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص94.

(5) شارل بيلا: المرجع السابق، ص58.

(6) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص92.

* أهم خطط بني بكر:

S خطة المسامعة(*): وكانوا يسكنون في محلة الزابوقة بالبصرة [1].

S خطة بني شيبان: والتي منها عشيرة رقاش، وكان فيها دار معروفة لسمرة بن جندب(*)، ومنهم سدوس وكانوا مجاورين لبني عقيل [2]، وكانت تضم خططاً أخرى من بينها: خطة ظبيعة [3]، وخطة بني سدوس، وخطة بني عدي بن جشم، وخطة بني عجل [4].

- خطة خمس عبد القيس(*):

*** موقعها:** تقع شمال البصرة [5]، وتمتد خطط هذه القبيلة ومحلاتها إلى دار الرزق عند نهر معقل، وقد اختلطت بخطط بكر، وامتدت منازلهم إلى الزابوقة [6] في الأطراف الشمالية الشرقية من البصرة [7].

(*) المسامعة: هم أهل بيت شرف متصل بالجاهلية، والمسامعة بيت ربيعة بالبصرة.
ابن دريد، أبا بكر محمد بن الحسن: الإشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1958 م، ج2، ص 356.

(1) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص83.

(2) الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسن: كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للنشر، بيروت (د.ت)، ج3، ص210.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 139.

(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(*) عبد القيس: بن أقصي بن دعمي من أسد ربيعة من عدنان: جد جاهلي، كانت ديار بنيه بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين واستقروا بها وهم بطون كثيرة وظهر فيهم مشاهير.
الزركلي: المصدر السابق، ط7، ج 4، ص 49.

(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص139.

(6) زكي: المرجع السابق، ص69.

(7) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 139.

***سكانها:** وهم في الأصل جماعة بحرينية قدموا من البحرين متحررين من بني تميم [1].

وكان هذا الخمس أقل الأخماس عدداً ولكنه أكثرها إضطراباً وشغباً [2].

***- أهم خطط عبد القيس:** خطة بني عامر، وخطة الجارودين، وخطة ربيعة بن نزار [3].

- خطة خمس الأزد:

*** موقعها:** تقع في الجزء الجنوبي الغربي من البصرة قرب وادي العقيق(*) في الأطراف البعيدة من المسجد الجامع [4]، وكان يفصلها عنه خطط أهل العالية [5].

***سكانها:** لم يكن موجوداً عند تأسيس البصرة من عشائر الأزد غير عشيرة حدان وعشيرة هداد، وأما بقية عشائرها فدخلت البصرة فى فترة متأخرة(*) مقارنة ببقية القبائل [6]، ولهذا فإن خطتهم كانت على الأطراف بعيدة عن مركز المدينة.

---

(1) ماسينيون: المرجع السابق، ص23.

(2) شارل بيلا: المرجع السابق، ص 58.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 139.

(*) وادي العقيق: بالبصرة مما يلي صفوان. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص140.

(4) زكي: المرجع السابق، ص69.

(5) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص97.

(*) هجرة أغلب عشائر الأزد إلى البصرة وتضخم عددها كان في بداية زمن الدولة الأموية. المرجع نفسه، ص97.

(6) زكي: المرجع السابق، ص69.

*** أهم خطط الأزد:**

S خطة الحدان: التي نزلتها السيدة عائشة قبيل معركة الجمل(نزلت في مسجدها)، وكان القتال في ساحتها [1].

S خطة القساملة: وقيل: أنهم من اليمن ثم من الأزد وتعرف هذه الخطة بقسامل [2].

S خطة بني عقيل: وهم المهالبة [3].

S خطة بني راسب: القريبة من خطط العتيك [4].

2: المعالم العمرانية:

أ- المربد: يعد المربد من أهم المعالم العمرانية للبصرة، نظراً للدور المميز الذي لعبه في تطوير البصرة وازدهارها.

- التسمية:

المربد قيل هو: مربط الإبل، ومحبس الغنم(مكان جمعها للبيع)، مكان تجفيف التمر والتين والعنب، فضاء بين البيوت تلقى فيه الكناسة(شبيهة بصخرة في الدار)، وهو كالجرين والمسطح بلغة أهل نجد والاندر بلغة أهل الشام واليدر لأهل العراق، وقيل: المربد للتمر، والبيدر للحنطة، واللفظة

---

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص98.
(2) ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص346.
(3) ماسينيون: المرجع السابق، ص18.
(4) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص100.

حجازية [1]، والمربد من أشهر محال البصرة، كان سوقاً للإبل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء [2].

- **الموقع:**

يقع المربد في الأطراف الغربية من البصرة، وأرضه من الكدان أي (الحجارة الكلسية البيضاء الرخوة)[3]، ويبعد عن البصرة(ثلاثة أميال)، وعن البصرة الحالية قرابة(اثني عشر ميلاً) [4].

- **تطور المربد:**

بدأ تطور المربد بعد أن سكنه قسم من القبائل التي أرسلها الخليفة عمر بن الخطاب t ، بما فيهم من فقهاء وخطباء ووعاظ وفصحاء وشعراء من صحابة الرسول r ، وذلك بعد أن بنيت البصرة من اللبن [5]، فأصبح من أشهر محال البصرة، فضلاً عن كونه سوقاً للإبل أصبح مركزاً لمناظرات الشعراء ومجلساً للخطباء [6]، وبُني به مساجد وأسواق ودُور منها: سوق الدباغين، وقصر زربي، وذلك زمن خلافة عثمان بن عفان t ، وأغلب المباني التي شيدت فيه كانت في الأطراف الشرقية، وسرعان ما زحف العمران على

---

(1) غالب: المرجع السابق، ص369.
(2) ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص98.
(3) العلي - خطط البصرة ومنطقتها، ص110.
(4) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص165.
(5) المرجع نفسه، ص154.
(6) ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص98.

بقية أطرافه [1]، ونتيجة للدور المهم الذي تميز به المربد وكونه مركزاً هاماً من مراكز البصرة، فقد تفرعت منه عدة شوارع ودروب ويعد الطريق الرئيسي المعروف بسكة[*] المربد أعظم طرق البصرة، لأنه يعتبر العمود الفقري للمدينة، ويشطرها إلى جانبين: شمالي وجنوبي [2].

ب- الخريبة:

الخريبة هي: إحدى المناطق التي تألفت منها البصرة قبل الفتح الإسلامي ثم أصبحت إحدى مراكزها بعد استقرار المسلمين فيها، وكانت في الطرف الأقصى من العمران، حيث كان يفصلها عن عمران البصرة أراضي خالية من العمران، ودام ذلك حتى بعد خلافة علي بن أبي طالب t [*][3].

- سكانها:

سكن الخريبة جزء كبير من قبيلة ثقيف، ويدل على ذلك أن أول حمام عرف بالبصرة بعد استقرار المسلمين بها، هو حمام عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفي كان في الخريبة [4]، وكان لبني زياد خطة لهم فيها[5].

---

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص111 -112.

(*) السكة: طريق مستوية مزروعة على جانبيها شجراً، زقاق واسع بين البيوت. غالب: المرجع السابق، ص227.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 148.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) زكي: المرجع السابق، ص25.

(5) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص125.

ج- شط عثمان:

- التسمية:

يُنسب إلى عثمان(*) بن أبي العاصي الثقفي(1)، اشتراه بماله من الطائف من عثمان بن عفان t ، ويقال: أنه اشتراه بدار له بالمدينة، فزادها عثمان t في المسجد (2)، وهو إقطاع(*) واسع يبلغ عشرة آلاف جريب (3).

- موقعه:

يقع مقابل الأُبُلّة من جهتها الجنوبية (4).

- تطوره:

يرجع تاريخ هذا الموضع إلى سنة(29 هـ - 649 م)، كان هذا الموضع في بداية أمره سبخة أو أراضي سبخة قبل إقطاعها، ولكنها انتعشت عندما

(*) عثمان بن أبي العاصي:(توفي سنة: 51 هـ - 671 م). عثمان بن أبي العاصي بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف: صحابي، من أهل الطائف، أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي r على الطائف فبقى في عمله إلى أيام عمر، ثم ولاه عُمان والبحرين سنة(15هـ)، فاستخلف أخاه الحكم على الطائف وبعد أن تولى عثمان عزله فسكن البصرة إلى أن توفي. الزركلي: المصدر السابق، ط7، ج 4، ص207.

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص435.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص484.

(*) القطائع: ما يقطع من أرض الخراج و ما يهب الأمير من أرض لخواصه. غالب: المرجع السابق، ص 318.

(3) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص164.

(4) ناجي: دراسات في العربية الإسلامية، ص151.

أستصلحها عثمان ابن أبي العاصي[1]، وتطور الشط بعد أن قسمه عثمان إلى إقطاعات صغيرة لكل منها نهر[2]، فأقطع أخاه حفص بن أبي العاصي حفصان[*]، وأخاه أبا أمية بن أبي العاصي أميتان، وأخاه الحكم ابن أبي العاصي حكمان، وأقطع أخاه المغيرة مغيرتان [3]، وزاد تطور هذا الموضع بعد ما أصبح عامراً بالعمران والمنشآت العامة [4].

د- الزاوية:

- **موقعها:** تقع في شمال البصرة، وكانت خطة بكر تفصلها عن المسجد الجامع الذي يمثل مركز المدينة [5].

- **تطورها:**

كان بها عند مجيء المسلمين دسكرة، ولعل المقصود بها أبنية قديمة، وقد عسكر فيها الإمام علي أول قدومه البصرة [6]، وشهدت الزاوية نهضة عمرانية باستقرار المسلمين بها، وأصبحت إحدى المعالم العمرانية للبصرة، ومن أهم المعالم التي بنيت بالزاوية قصر أنس المنسوب إلى أنس بن مالك الأنصاري خادم

---

(1) المرجع نفسه، ص150.

(2) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص165.

(*) حفصان: اصطلح أهل البصرة أن يزيدوا في نسب الرجل الذي تنسب إليه القرية(ألفاً ونوناً). ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص435.

(3) البلاذري: المصدر، السابق، ص484.

(4) ناجي: دراسات في العربية الإسلامية، ص152.

(5) زكي: المرجع السابق، ص24.

(6) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص120.

الرسول r [1]، وهو في أطراف العمران قرب المربد [2]، وقصر المسيرين وهو لعبد الرحمن بن زياد [3].

هـ- سكة اصطفانوس[*]: -

- **موقعها:** تقع بالقرب من خطة بني سنقر من تميم [4]، وهي سكة نزلتها عشيرة من أصحاب الرسول e، وعلى الرغم من ذلك لم تنسب إلى أي واحد منهم، وكان بها عدد من البيوت منها دار أبي بكرة، وأنس بن مالك وعمران بن الحصين[*] وأبي اليقين الأسلمي [5].

و- دُور البصرة:

لقد عدد البلاذري في كتابه(فتوح البلدان)، العديد من دُور البصرة التي توزعت على خططها، وأصبحت من معالم البصرة العمرانية، ومن أهم هذه الدور التي ذكرها:

---

(1) البلاذري: المصدر، السابق، ص 477.
(2) زكي: المرجع السابق، ص24.
(3) البلاذري: المصدر، السابق، ص 477.
(*) اصطفانوس: محلة بالبصرة مسماة باسم كاتب نصراني قديم كان في أيام زياد أو ما قاربها. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص212.
(4) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص122.
(*) عمران بن الحصين: (توفي سنة: 52 هـ - 672 م) عمران بن الحصين بن عبيد الخزاعي: من علماء المسلمين أسلم عام خيبرسنة (7هـ) وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج5، ص70.
(5) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص121.

دار نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي، ودار عبدالله بن أبي بكرة، ودار ربيعة بن كلدة الثقفي، ودار عمرو بن وهب الثقفي، ودار أم جميل الهلالية، ودار معقل بن سيار المزني، وكانت هذه الدُور بجوار المسجد الجامع، ودار أبي نافع مولى عبد الرحمن بن أبي بكرة، ودار طارق ابن أبي بكرة، التي قبالتها خطة الحكم بن أبي العاصي الثقفي، ودار زياد بن عثمان والتي كان عبيد الله بن زياد قد اشتراها لابن أخيه زياد بن عثمان، وتليها الخطة التي منها دار بابة بنت أبي العاصي، ودار المغيرة بن شعبة [1].

لقد مثلت مساكن ودُور البصرة السمة العمرانية المميزة لتطور البصرة، وخاصة في مرحلة البناء باللبن، حيث انتشرت بشكل سريع وكبير في كافة أرجاء البصرة، نتيجة للتطور السكاني الذي حدث في المنطقة، وكذلك الوضع الاقتصادي الجيد الذي عاشه سكان البصرة في هذه المرحلة.

ز- قصور البصرة:

إن التطور العمراني الذي شهدته البصرة في المرحلة المبكرة من بنائها كان سريعاً، حيث لم يمر زمن طويل حتى بدأت البصرة تبرز فيها روعة معالمها العمرانية، وبناء القصور في هذه المرحلة يدل دلالة عميقة على المتغيرات التي حدثت في سياسة الدولة الإسلامية، حيث عرفنا سابقاً من أوامر الخليفة عمر بن الخطاب t ، أن سياسته في البناء كانت تعتمد على البساطة وعدم الاتساع في البناء، والإسراف في ذلك حيث حدد حجم الدُور واتساعها بما يلبي غرضه في الإيواء والستر، وربما كان الخليفة عمر t يهدف من وراء هذه الأوامر، خوفه على المسلمين من حياة اللهو والترف والدعة، وبالتالي تركهم لمهمتهم

(1) البلاذري: المصدر، السابق، ص473 – 474.

الرئيسية المنوطة بهم، وهي الفتوح ونشر الدين الإسلامي، وخاصة أن المسلمين في هذه الفترة لم يثبتوا أقدامهم في العراق، ولا زالت الأخطار تهدد وجودهم في المنطقة، فربما قصد الخليفة عمر t عدم تبذير أموال طائلة على البناء المكلف في أرض قد يُجبر المسلمون على تركها.

وما إن أمن المسلمون وجودهم في العراق، حتى أمر الخليفة عثمان بن عفان t واليه على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز(*)، ببناء قصرين ثم بدأ الناس في إنشاء القصور المصبوغة والدُور الفسيحة، وخاصة بعد الغنى والأموال الطائلة التي عادت عليهم من الفتوح [1].

- **أهم قصور البصرة:**

* **قصر ابن عفان:** بناه عبدالله بن عامر بن كريز، بأمر الخليفة عثمان بن عفان t ، لكي ينزله من قدم من أهل المدينة إلى البصرة [2].

* **قصر أنس بن مالك:** سبق أن ذُكر أنه كان من المعالم العمرانية الموجودة في الزاوية [3].

* **قصرالمسيرين:** كان لعبد الرحمن بن زياد، وكما ذُكرسابقاً بُني في الزاوية[4].

---

(1) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص376.
(2) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص377.
(3) البلاذري: المصدر السابق، ص477.
(4) المصدر نفسه، ص478.

* **قصر زربي:** نسب إلى زربي مولى عبد الله بن عامر، وكان قيماً على خيله فكانت الدار لدوابه [1].

* **قصر رملة:** بناه عبد الله بن عامر مما يلي قصر ابن عفان، وجعل بينهما فضاءً لمرابط خيلهم ودوابهم [2].

* **القصر الأبيض:** ويقال: كان لعبيد الله بن أبي بكرة، وكان يقع بين الزاوية والمسجد الجامع، ويقال: أن عبيد الله اشترى أرضه من عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفي [3].

وبهذا بدأت قصور البصرة تتعدد وتتطور في هذه المرحلة المبكرة من التأسيس، فضلاً عن ذلك أصبح أصحابها يتفننون في تصميمها ونقشها وصرف الأموال الطائلة عليها، وقد كان لليد الفارسية دور في بنائها ونقشها وصباغتها، لأن أغلب قصور البصرة بناها بناؤون فرس ممن أسروا في الفتوحات [4].

ح- شوارع البصرة و دُروبها:

اعتماداً على أقوال بعض الجغرافيين والمؤرخين، فإن البصرة عندما اختطت تخطيطاً قبلياً أثناء ولاية أبي موسى الأشعري، أخذ بعين الاعتبار

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص378.

(3) زكي: المرجع السابق، ص35.

(4) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص377.

تنظيم شوارعها [1]، خاصة وأن الخليفة عمر t وضع أساساً لتخطيط شوارعها ودُروبها كما ذُكر من قبل، حيث حدد عرضها حسب أهميتها.

فكان عرض شارعها الأعظم ستون ذراعاً[*] وهو شارع المربد، وعرض بقية الشوارع عشرين ذراعاً، أما الأزقة فكان عرضها سبعة أذرع[2]، ولقد تعددت شوارع ودُروب البصرة سواء الرئيسية منها أو الفرعية، حتى قيل: "أنه كان من الصعب التجول في دُروبها دون دليل"[3]، وأهمها:

- سكة المربد: وهو أهم شوارع البصرة عند تخطيطها بين المربد والمسجد الجامع [4]، وقد تشعبت وتفرعت منها سكة قريش وسكة ابن سمرة وغيرها من السكك [5]، وأبرز ما في سكة المربد باب عثمان الذي ينسب إلى عثمان بن أبي العاصي الثقفي، وقد صار هذا الباب يطلق على الرقعة التي حوله، فكان كالمحلة، وبقربه سوق البزارين [6].

كما تشعبت شوارع البصرة، تعددت كذلك أسماؤها، حيث كانت تحمل عدة مضامين إذ يغلب عليها الطابع القبلي، أو أنها تحمل أسماء أشخاص متنفذين، كما أن بعضها الآخر يحمل أسماء مهنية أو حرفية، مما قد يدل على أنها كانت ضمن أسواق لها علاقة بالمهنة أو الحرفة التي اتخذ اسمها، وبعضها كان يحمل أسماء أقوام أو تجمعات في محلات معينة، فسكة ابن أو بني سمرة

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص148.
(2) زيدان: المرجع السابق، ج2، ص 171.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 148.
(4) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص115.
(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 148.
(6) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص117.

ترجع إلى عبد الرحمن بن سمرة الفزاري[*]، وسكة قريش تنسب إلى الجاميع القبلية القرشية، أما سكة الدباحين أو سكة العطارين أو سكة القصارين، فهي تشير إلى تلك الحرف أو ربما الأسواق المنسوبة إلى الحرف [1].

ثالثاً: المسجد الجامع ودار الإمارة:

1ـ المسجد الجامع:

لقد كان المسجد من أهم المتطلبات التي يجب مراعاتها في المدينة الإسلامية الجديدة، فهو الذي يدل على طابعها الإسلامي، وفي المدن التي كان يقيم بها المسلمون لم يكن يوجد بها إلا مسجد كبير واحد عرف بالمسجد الأعظم أي الأكبر أو الكبير، وكان يغلب عليه اسم المسجد الجامع، إلى جانب مساجد صغيرة للقبائل [2].

وكان المسجد الجامع الذي أسس في البصرة، أول المساجد التي بناها المسلمون خارج شبه الجزيرة العربية [3].

(*) عبد الرحمن بن سمرة الفزاري:(توفي سنة:50هـ-670م) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي، أبو سعيد: صحابي من القادة الولاة، أسلم يوم فتح مكة وشهد غزوة مؤتة. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج3، ص 307.

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 140.

(2) المطري، السيد خالد: دراسات في مدن العالم الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989 م، ص 61.

(3) العباسي: المرجع السابق، ج 1، ص681.

أ- موقعه:

شيد مسجد البصرة الجامع في الرحبة، التي يقال لها:(رحبة بني هاشم)، وكانت تسمى الدهناء [1]، وكان موقع المسجد هو المركز الذي توزعت حوله خطط القبائل، باعتباره نواة البناء في البصرة وتفرعت من منطقته الشوارع والدُروب [2].

والراجح أنه لم يكن واسعاً لقلة عدد المسلمين في البصرة آنذاك، وكان عبارة عن: أرض مكشوفة يحيط بها الساج من القصب [3].

ب- بناؤه بالقصب:

تتفق الروايات التاريخية على أن المسجد الجامع يعد أول وحدة عمرانية تأسست في البصرة[4]، حيث بناه عتبه بن غزوان من قصب، وذلك في سنة(14 هـ - 635 م)، فذُكر: إنه تولى اختطاطه بيده، ويقال: اختطه محجن بن الأذرع البهزي من سُليم، ويقال: اختطه نافع بن الحارث بن كلده حين اختط داره، ويقال: بل اختطه الأسود بن سريع التميمي وهو أول من قضى فيه [5].

ولعل اختلاف هذه الروايات سببه ما حدث من تطورات في موقعه ومساحته، و الثابت أن عتبة حدد موقعه ثم تدخل نافع بن الحارث في تخطيطه،

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 467.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص65.
(3) الخربوطلي: المرجع السابق، ص 278.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص335.
(5) البلاذري: المصدر السابق، ص467.

لوقوع داره عند المسجد، ثم ساهم محجن في تجديده، وكان للأسود بن سريع آخر تخطيط زمن عتبة[1]، حيث يذكر البلاذري:"أن محجن بن الأذرع اختط مسجد البصرة ولم يبنه فكان يصلي فيه من غير مبنى"[2]. أي أن التخطيط الأول كان مجرد تحديد موقع، وهذا يتوافق مع وضع المسلمين آنذاك، حيث أن تحركاتهم العسكرية مستمرة والبناء كان بناء غير ثابت، لأن مادة البناء في هذه المرحلة كانت القصب، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو، فيعيدوا بناءه [3].

يتضح من ذلك أن تخطيط المسجد كان في هذه المرحلة المبكرة عرضة دائماً للتغير والتبديل، على الرغم من ثبات الموقع، وهذا ما جعل الروايات تتباين في تحديد واضع خطط المسجد الجامع في المرحلة الأولى.

ج- بناؤه باللبن:

بعد وقوع حريق البصرة سنة(16 هـ - 637 م)، والتهام النيران لجدران المسجد وجُلّ دُور البصرة بنى والي البصرة أبو موسى الأشعري المسجد الجامع باللبن، وقد سقفه بالعشب[4]، وزاد في مساحته حيث قسمت إلى

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص64.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص472.
(3) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص432.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص469.

صحن[*] مكشوف، وظلة للقبلة، ولم يجعل ظلة مقابلة لها أو إلى وجود ظلات في الجانبين الشرقي والغربي [1]. أنظر الملحق رقم(3).

لم تشر المصادر إلى الشكل العام للمسجد الجامع، هل كان مربعاً أم مستطيلاً أم مستديراً ؟ كما انه لا توجد إشارة إلى سعته[2]، إلا أن الثابت أن شكل المسجد لم يكن متناسقاً، فقد كان جانبه الشمالي منزوياً، إذ كانت هناك دار لنافع بن الحارث ابن كلدة[3]، وكان المنبر في وسطه، وكان الإمام إذا جاء للصلاة بالناس تخطى رقابهم إلى القبلة[4]، وقيل: إن عبد الله بن عامر بن كريز كان عاملاً على البصرة سنة(29 هـ - 649 م) من قبل الخليفة عثمان بن عفان t ، فخرج يوماً من دار الإمارة في الدهناء يريد القبلة ليصلي بالناس، وكانت عليه جبة خز دكناء فجعل الأعراب يقولون: "على الأمير جلد دب" [5]، وشهد المسجد الجامع توسعة زمن ولايته على البصرة [6].

مساجد أخرى:

فضلاً عن المسجد الجامع بُنيت مساجد أخرى صغيرة، توزعت على خطط البصرة ومن بين هذه المساجد:

(*) الصحن: مساحة مكشوفة مسورة تتصل بالمسجد من الجنوب ببيت الصلاة وتحيط بها الأروقة من الجهات الثلاث الباقية. غالب: المرجع السابق، ص 240.

(1) عبده: المرجع السابق، ص136.

(2) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص66.

(3) الهمذاني: المصدر السابق، ص 230.

(4) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص433.

(5) البلاذري: المصدر السابق، ص468.

(6) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص136.

مسجد العلافين في(الفرضة)(*)، ومسجد هدان، ومسجد بني عدي، ومسجد مجاشع [1]، ومسجد الحامرة، نسب إلى عجم قدموا اليمامة من عُمان، ثم ساروا منها إلى البصرة على حمير، فأقاموا بحضرة هذا المسجد [2]، ومسجد الحدان في محلة الأزد الذي نزلت فيه السيدة عائشة عند قدومها إلى البصرة في موقعة الجمل [3].

2ـ دار الإمارة:

دار الإمارة هي المكان الذي يقيم فيه الوالي وما يتصل به، فهي من أهم الأبنية في المدينة الإسلامية [4]، والواضح أن دار الإمارة قد اتخذت في البصرة بعد تعيين وتخطيط المسجد الجامع، ولقد كان تأسيسها مع الوحدات الإدارية الأخرى مثل السجن والديوان [5].

أ- بناؤها بالقصب:

بناها عتبة بن غزوان في الرحبة(الدهناء) [6]، وكان بناؤها في المرحلة الأولى من قصب مثل بقية المرافق الأخرى، ولذلك فإن بناءها لم يكن ثابتاً كبقية الأبنية، على الرغم من ثبات الموقع وإعادة البناء كما كان فيه عند عودة

---

(1) ماسينيون: المرجع السابق، ص26.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص495.
(3) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص309.
(4) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص76.
(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص137.
(6) البلاذري: المصدر السابق، ص467.

السكان إلى الموقع [1]، يُفهم من ذلك أن دار الإمارة في بدء أمرها زمن ولاية عتبة بن غزوان لم تكن بناءاً ثابتاً محكماً، وإنما مجرد مكان محاط مؤقتاً بالقصب، وهذا الوضع ينسجم مع الظروف التي كانت سائدة في هذا الزمن المبكر، حيث كان عدد المقاتلة قليلاً وجبايتهم ضئيلة وأحوالهم غير مستقرة [2].

ب- بناؤها باللبن:-

في ولاية أبي موسى الأشعري على البصرة(17هـ- 25 هـ)، وبعد أن سمح الخليفة عمر t لسكان البصرة أن يبنوا منازلهم باللبن، بنى أبو موسى دار الإمارة باللبن[3]، وسقفها بالعشب[4]، وبهذا البناء البسيط ثبت بناء ومكان دار الإمارة، ولم يكن جهة القبلة أو ملاصقاً للجامع[5].

رابعاً: المنشآت العامة والأنهار:

1ـ المنشآت العامة:

أ- الأسواق:

هي من المعالم البارزة أيضاً في المدينة الإسلامية الأولى، وكانت تحيط بالمسجد في وسط المدينة، وبعضها كانت تقيمه الدولة بينما كان بعضها الآخر

---

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 432.

(2) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص76.

(3) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود: الأخبار الطوال، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة (د.ت)، ص124.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص468.

(5) ياقوت: المصدر السابق، ج1، 433.

يقيمه السكان أنفسهم [1]، ويعرف ابن خلدون الأسواق بقوله: " اعلم أن الأسواق كلها تشمل على حاجات الناس، فمنها الضروري وهي: الأقوات من الحنطة، وما في معناها كالباقلاء والبصل والثوم وأشباهه، ومنها الحاجي والكمالي مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون[*] والمركب وسائر المصانع "[2].

على الرغم من الصبغة التجارية التي تتميز بها منطقة البصرة، كونها مرفأً تجارياً وموقعها على طرق التجارة، وكذلك أهمية الأسواق بالنسبة للسكان، إلا أن عتبة بن غزوان أو أبا موسى الأشعري حينما وضعا مخطط المسجد ودار الإمارة والمنشآت الإدارية الأخرى، لم يعينوا خططاً للأسواق أو سوقاً معينة قرب المسجد، ويبدو أن المدينة ظلت خالية من الأسواق فترة من الزمن، أو ربما اقتصرت على السوق المشهورة سوق المربد [3].

- سوق المربد: الذي يعد نقطة التقاء بين البادية والحاضرة [4]، وكان سوقاً عاماً تباع فيه اللوازم من التمور والإبل والسلاح والغنائم من الفيء[*]، الذي كان يقسم على المحاربين من أهل البصرة [5]، فأصبح المربد الذي كان خارج البلد، مركزاً للفاعلية الاقتصادية حيث تحط القوافل التجارية[6]، حيث أنه يقع في مدخل البصرة الغربي من جهة الصحراء، فقد صار فيه سوق

---

(1) المطري: المرجع السابق، ص 62.

(2) ابن خلدون: المقدمة، دار مكتبة الهلال،(د. م) 1996 م، ص 299.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص140.

(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص154.

(6) شارل بيلا: المرجع السابق، ص319.

لمنتجات أهل الصحراء، وبخاصة الإبل ومع التطور الذي شهدته البصرة أصبح سوقاً كبيراً [1].

- تأسيس أسواق جديدة: لم تشهد البصرة تطوراً في إقامة أسواق جديدة، إلا في زمن ولاية عبدالله بن عامر بن كريز للبصرة من(25 - 36 هـ/ 645 – 656 م)، الذي قام بشراء عدد من الدُور وبنى في موضعها سوقاً، وخاصة أن سوق المربد لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة للمدينة [2]، وكان موضع هذا السوق بالقرب من النهر المنسوب إلى والدته(نهر أم عبد الله) الذي كان يتفرع من نهر فيض أو شط البصرة، متجهاً إلى داخل المدينة، ويعرف هذا السوق بسوق عبد الله نسبة إليه، وهو السوق الرئيسي في داخل المدينة [3].

- **التنظيمات الداخلية لسوق البصرة:**

لم ترد في المصادر التاريخية أي تفاصيل عن وجود تنظيمات داخلية لسوق البصرة في المراحل الأولى، حيث يرى الخليفة عمر بن الخطاب t : "أن الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته، أو يفرغ من بيعة"[4]، وهذا يتوافق على ما كان عليه سوق البصرة خلال الفترة من(14 - 25 هـ / 635– 645 م)[5]، حيث كان السوق مجرد مساحة خالية

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص110.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص66.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص141.
(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 480.
(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص140.

من الأبنية، وليست فيها محلات مثبتة للبائعين، وأنه لم يقتصر على بيع سلعة مفردة وإنما كانت تباع فيه مختلف السلع[1]، حيث كان أصحاب كل سلعة يتجمعون في محل واحد مكونين سوقاً فرعية داخل السوق الكبيرة، وتختلف أهمية هذه الأسواق الفرعية باختلاف عدد من يعمل فيها، أو المهنة التي يمتهنونها إلا أنه لا يمكن تحديد عددها بالضبط أو تقدير أهمية كل منها [2].

- أهم الأسواق الفرعية: سوق الإبل، وسوق الدباغين، وسوق الطحانين، وسوق الوزانين [3]، وسوق السقاطين(بائعوا البقول والفواكه المجففة) [4]، وسوق العلافين، والقصباء وسوق الشعارين، وسوق القصابين، وسوق القداحين [5].

وكان للسوق(والي) دوره النظر في الخلافات والمشاكل التي قد تنجم في البيع، بما في ذلك اختلاف المكاييل والمقاييس، والاختلافات التي تظهر في البيوع والاجارات وأعمال السوق [6].

ب- الحمامات:

الحمامات من الأبنية العامة التي أقيمت في المدن الإسلامية منذ الفترة الأولى للفتح، لا لأنها دليل حضارة وترف وغنى فحسب، بل لضرورة

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص127.
(2) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص 267.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص141.
(4) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص267.
(5) ماسينيون: المرجع السابق، ص 28.
(6) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص127 – 128.

أوجدتها فريضة الاغتسال في الإسلام على الرجال والنساء من دون تفريق، ولم يقتصر دور الحمام على الخدمة الوظيفية وحدها، بل تعداها إلى أبعد من ذلك بكثير، ليحتل مركزاً رئيسياً على الأصعدة الدينية والاجتماعية والفنية والأدبية وحتى الخرافية، ولم تكن الحمامات أقل أهمية من المساجد والأسواق[1].

بُنيت الحمامات في البصرة من المرحلة الأولى من التأسيس، حيث بنى عتبة من قصب حمام الأمراء في الرحبة(الدهناء)، وكان هذا الحمام بسيطاً في بنائه كبقية المرافق والدُور التي بُنيت بالقصب في هذه المرحلة التي تميزت بثبات الموقع وعدم ثبات البناء [2].

- تطور حمامات البصرة: عند بناء البصرة باللبن، بُني بها أول حمام، وهو حمام عبدالله بن عثمان ابن أبي العاصي بالخريبة، ثم بني بها حمام فيل، والحمام الثالث هو حمام مسلم بن أبي بكرة، وظلت هذه الحمامات الثلاثة فترة من الزمن، ولم تعرف بالبصرة غيرها [3]، لأن بناءها لم يكن سهلاً ولا ميسوراً، لأن الدولة كانت لا تسمح لأحد ببنائها إلا بعد الحصول على إجازة من قبلها [4]، وكذلك غموض المردود المادي الذي تذره الحمامات الأولى على أصحابها بالنسبة لسكان البصرة، وعندما فشي سر المردود المادي الكبير الذي يجنيه أصحاب الحمامات من حماماتهم، تسارع سكان البصرة في الحصول على موافقة الدولة، من أجل بناء حمامات لهم وتؤيد ذلك معظم المصادر التاريخية في

---

(1) غالب: المرجع السابق، ص 138 – 139.
(2) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص432.
(3) البلاذري: المصدر السابق، ص475.
(4) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص48.

ذكرها للرواية التاريخية التي تقول: " إن أبا بكرة قال لولده مسلم صاحب الحمام المعروف باسمه، وهو من أول الحمامات التي أنشئت في البصرة: يا بني والله ما تلي عملاً قط، وما أراك تقصر عن إخوتك في النفقة فقال: فإني أغتل من حمامي هذا في كل يوم ألف درهم وطعاماً كثيراً، ثم إن مسلم مرض، فأوصى إلى أخيه عبد الرحمن بن أبي بكرة، وأخبره بغلة حمامه، فأفشى ذلك واستأذن السلطان في بناء حمام، واستأذن غيره فأذن لهم، وكثرت الحمامات، فأفاق مسلم من مرضه وقد فسد حمامه، فجعل يلعن عبد الرحمن ويقول: ما له قطع الله رحمه " [1].

ومن الذين استأذنوا في بناء حمامات وأذن لهم، الحكم بن أبي العاصي، وسياه الأسواري، والحصين بن أبي الحر العنبري، وريطة بنت زياد، ولبابة بنت أوفى الجرشي، فأذن لها في حمامين أحدهما في أصحاب القباء[*]، والآخر في بني سعد، والمنجاب بن راشد الظبي [2]، ومن بين الحمامات الأخرى التي بُنيت بالبصرة، حمام بلج ويُنسب إلى بلج بن نشبة السعدي التميمي وحمام حمران [3].

وكان الولاة لا يسمحون ببناء الحمامات داخل المدن لأنها تضر بالصحة، وحتى وإن سمحوا ببنائها خارج المدن كانت تخصص لها أماكن لبنائها [4].

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص435.

(*) أهل القباء: من هاجر منها إلى البصرة: وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة وبها مسجد التقوى، ومسجد قباء الذي صلى به الرسول r عند هجرته من مكة إلى المدينة. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص302.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص475 -476.

(3) المصدرنفسه، ص477.

(4) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص48.

- **أقسام الحمامات:**

لقد بُنيت هذه الحمامات بشكل يضمن للمستحم الانتقال التدريجي من الجو البارد إلى الجو الحار، وبالعكس حيث كان في كل حمام ثلاثة أقسام كل منها أسخن من الذي يسبقه وكانت القاعات تسخن بواسطة إيقاد النار تحت أرضها [1]،وفصلت أقسام الرجال عن أقسام النساء وتضمنت خلوات صغيرة[2].

- **مراقبة الحمامات:**

نظمت الأحكام الفقهية الإسلامية العمل والعلاقات داخل الحمام، وخضعت لإشراف المحتسب ورقابته، بما يكفل استمرار عملها ضمن القواعد والقيم الإنسانية الإسلامية [3].

ج- السجون:

يقول الله تعالى: O وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي © لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ N [4]، فالعقاب لإحياء النفس الميتة، وتجذيب أصابع الشر في الإنسان، حتى يعاود نفسه في الحياة إنساناً مستقيماً صالحاً، لذلك وجدت السجون[5]، ولهذا بُني السجن في البصرة مع بقية مرافق الدولة منذ بداية تأسيسها، حيث بنى عتبة

(1) المرجع نفسه، ص48 – 49.

(2) أبو شويرب، عبد الكريم: الحمامات الإسلامية، مجلة آثار العرب، العدد 5، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، سبتمبر 1992 م، ص82.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) سورة البقرة: الآية 178.

(5) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص402.

السجن من قصب عندما بنى المسجد ودار الإمارة في الرحبة (الدهناء) ثم بُنيت باللبن لتكون أكثر ضبطاً، وصار بالموقع المسمى بالمحلة البيضاء[*][1].

د- المقابر:

كانت في البصرة في بداية تأسيسها مقبرة واحدة عامة واسعة، مع وجود بعض المقابر الخاصة لبعض القبائل المتواجدة بها [2]، والتي منها:

- مقبرة بني يشكر في بني بكر [3].
- مقبرة بني سهم من باهلة في العالية [4].
- مقبرة بني شيبان في بني بكر [5].
- مقبرة بني مازن: التي مر بها جيش السيدة عائشة عند تقدمه في موقعة الجمل من المربد إلى الزابوقة [6].

2ـ الأنهار:

كانت مسألة توفير المياه للشرب، من أصعب المشاكل التي واجهها أهالي البصرة منذ بدء تأسيسها، فالبصرة كانت تبعد مسافة تصل إلى حدود (إثني عشر ميلاً) للغرب من نهر شط العرب، ولا توجد بالمنطقة التي تأسست فيها المدينة أنهار فرعية توصل المياه العذبة، لذلك واعتماداً على رواية البلاذري

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص467 – 468.
(2) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص402.
(3) ماسينيون: المرجع السابق، ص 26.
(4) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 109.
(5) ماسينيون: المرجع السابق، ص 26.
(6) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 109.

شكل أهالي البصرة وفداً لتقديم شكوى إلى الخليفة عمر t وقالوا: في خطابهم: "يا أمير المؤمنين إن مفاتح الخير بيد الله، وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة، وإنا نزلنا صبخة بشاشة لا تجف نداها ولا ينبت مرعاها، ناحيتها من قبل المشرق والبحر اللجاج، ومن قبل المغرب الفلاة فليس لنا زرع ولا ضرع يأتينا منافعنا وميراثنا في مثل مريء النعامة، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة لذلك، فتربق ولدها كما يربق العنز، يخاف بادرة العدو وأكل السبع، أفلا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا "، فكتب إلى أبي موسى يأمره أن يحفر لهم نهراً [(1)].

أ- نهر الأُبُلّة:

بعد أن أمر الخليفة عمر t أبا موسى الأشعري بحفر نهر وجره إلى البصرة، بادر إلى حفر نهر الأُبُلّة حيث جره من دجلة العوراء، وهى دجلة البصرة حيث كان لها خور والخور هو طريق الماء لم يحفره أحد يجري فيه ماء الأمطار إليها، ويتراجع ماؤه فيه عند المد، وينضب عند الجزر، وكان طوله قدر فرسخ وكان لحده مما يلي البصرة غورة واسعة تسمى في الجاهلية الأجانة، وسمته العرب في الإسلام الجزارة وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة، بالذراع الذي يكون به نهر الأُبُلّة كله أربعة فراسخ [(2)]، ابتدأ أبو موسى الحفر من الإجانة وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة، فصار طول نهر الأُبُلّة

---

(1) الهمذاني: المصدر السابق، ص232 – 233.

(2) المصدر نفسه، ص233.

أربعة فراسخ، ثم انضم على قدر فرسخ من البصرة [1]، وكان ذلك زمن الخليفة عثمان بن عفان t ، الذي أمر واليه على البصرة عبدالله بن عامر أن ينفذ حفر الأُبُلّة من حيث اندثر، حتى يبلغ به البصرة، واستمر ابن عامر في ذلك حتى شخص إلى خارسان، وجاء بعده عبد الرحمن بن أبي بكرة، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه والماء كاد يسبقه [2].

ب- نهر معقل:

ينسب هذا النهر إلى معقل بن سيار المزني، حيث تذكر الرواية التاريخية:" أن الخليفة عمر t أمر أبا موسى الأشعري بحفر نهر آخر، وأن يجريه على يد معقل بن سيار فنسب إليه"[3]، وهناك رواية أخرى تعارض هذه الرواية[*]، ونهر معقل: من الأنهار الكبيرة المتشعبة من شط العرب[4]، فهو يقع في الجهة الغربية منه، وهو المسلك الرئيسي لتجارة البصرة مع بقية مناطق العراق والأهواز[*]، وتدل أهمية المواصلات على غزارة مائه على الرغم من الأنهار التي تأخذ منه [5].

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص479.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص480.

(*) تذكر الرواية: أن زياد بن أبيه هو الذي أجراه على يد عبد الرحمن بن أبي بكرة أو غيره فلما فرغ منه وأرادوا فتحه بعث زياد إلى معقل ابن سيار ففتحه تبركاً به لأنه من صحابة الرسول e فنُسب إليه. البلاذري: المصدر السابق، ص480.

(4) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص266.

(*) الأهواز: كورة بين البصرة وفارس. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص285.

(5) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 150.

ج- نهر المرأة:-

حفره أبو موسى الأشعري عند قصر يقال له:(قصر المـرأة)، حيـث كانـت تسكنه كامن بنت نرس أو طهاميج [1].

ومع التطور الكبير الذي شهدته المنطقة، وتحول جـزء كـبير مـن الـسكان للزراعة بعد حـصولهم علـى اقطاعـات لغـرض زراعتهـا، بـدأ أصـحاب هـذه الاقطاعـات في حفـر أنهـار فرعيـة لـري اقطاعـاتهم، ومـع تزايـد عـدد هـذه الاقطاعات زاد عـدد أنهـار البـصرة[*]، ومـن بـين هـذه الأنهـار: نهـر عمـرو وينسب إلى عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، ونهر ابن عمير وينـسب إلى عبـد الله بن عمير ابن عمرو بن عمرو بن مالك الليثي، كان عبد الله بن عامر بـن كريـز، أقطعه ثمانية آلاف جريب، فحفر عليها هـذا النهـر، ونهـر طلحتـان ينـسب إلى طلحة بن أبي رافع مولى طلحة ابن عبيد الله [2]، ونهر الأساورة حفره عبـد الله بن عامر بالقرب من دار فيل، وقيل: الأساورة هم الذين حفـروه، ولهـذا نـسب إليهم [3]، ونهر مرة لابن عامر ولي حفره مُرة مـولى أبـي بكـر الـصديق t [4]، ونهر مهاجران ينسب إلى مهاجر بن قنفدة القرشـي التميمـي[5]، ونهـر حمرانـان

(1) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص266.

(*) ذكر بعض المؤلفين من أصحاب الأخبار أن أنهار البصرة عُدت أيام بـلال بـن أبـى بـردة (64هـ) زادت على مائة ألف نهر وعشرين، تجري في أكثرها الزوارق. شارل بيلا: المرجع السابق، ص46 – 47.

(2) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص435.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص481.

(4) المصدر نفسه، ص483.

(5) العباسي: المرجع السابق، ج1، ص63.

وينسب إلى حمران بن أبان الذي أقطعه عثمان بـن عفـان قطيعـة حفـر لها هـذا النهر، ونهر نافعان ينسب إلى نافع بن الحارث الثقفـي، ونهـر ربيعتـان وينـسب إلى ربيعة بن الصلت[1]، ونهر أم عبدالله وحُفر زمن عبـدالله بـن عـامر والـذي تولى حفره غيلان بن خرشـة الظـبي[2]، ونهـر أزرقـان وينـسب إلى الأزرق بـن مسلم مولى بني حنيفة، ونهر محمـدان وينـسب إلى محمـد بـن علـي ابـن عثمـان الحنفي، ونهر مقاتـل وينـسب إلى مقاتـل بـن حارثـة بـن قدامـة الـسعد، ونهـر حصينان لحصين بن أبي الحر العنبري، ونهر عبدان لعبد الله بن أبي بكـر، ونهـر عبيدان لعبيد بن كعب النميري[3].ينظر الملحق رقم(4).

---

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 163.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص482.

(3) ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 435.

الفصل الثالث

تخطيط الكوفة

مدخل.

المبحث الأول: ظهور الكوفة.

المبحث الثاني: خطط الكوفة ومعالمها العمرانية.

الفصل الثالث

تخطيط الكوفة

مدخل:

تعد الكوفة المدينة الثانية التي مُصرت خارج شبه الجزيرة العربية بعد البصرة، أسسها القائد سعد بن أبي وقاص، ارتبط إنشاؤها مباشرة بفتح المسلمين للعراق، فبعدما فرغ المسلمون من السيطرة على العراق بعد طرد فلول القوات الساسانية إلى النجد الإيراني، شعروا بالحاجة إلى إنشاء دار للهجرة على تخوم البلاد المفتوحة تكون بمثابة المعسكر والمركز للهجرة في الوقت نفسه وعلى ذلك تشكل الكوفة ثمرة مباشرة لعملية من عمليات الفتح[1].

وبما أن الكوفة قد تلت البصرة في الإنشاء فقد سار تخطيطها على نمط تخطيط البصرة وفقاً لتوجيهات الخليفة عمر t التخطيطية، فتشكل مجال الكوفة الأول من عناصر ثلاثة: مساحة مركزية كبرى سياسية ودينية تشمل: المسجد والقصر وهي تمثل مكان القيادة وتجمع الناس، ثم تأتي الخطط القبلية للسكان وهي تشع انطلاقاً من هذه النواة المحددة والمحصورة والمرسومة بمثابة المجال المقدس، ثم عنصر للفصل المروري وهي المناهج التي تمكن من تفريد الخطط القبلية وجمع المقاتلة في أسرع وقت داخل المجال المركزي الكبير[2].

---

(1) عبده: المرجع السابق، ص 141.

(2) جعيط: المرجع السابق، ص 95.

لقد كان مخطط الكوفة أكثر تعقيداً في البداية من مخطط البصرة، كون أن اغلب الجيش الذي شارك في القادسية ثم استوطن مع سعد المدائن قد خرج معه صوب الكوفة، وبهذا تعددت القبائل التي شكلت النسيج السكني للكوفة، والتي توزعت إلى خطط، ومع ازدياد أعدادها امتدت عمرانياً إلى أكثر من خطة، فقد لعب الانتماء القبلي دوره في تخطيط الكوفة حيث اختطت تخطيطاً قبلياً لكل قبيلة خطة خاصة بها، وكان لكل خطة مؤسساتها الخاصة بها، هذا التخطيط كان منتظماً أكثر ما يكون الانتظام، وكان بمقدوره أن يخلق حاضرة منشرحة هندسية الشكل لو وقع الاستمرار في مراقبتها خلال نموها كما كان الأمر عند نشأتها، ولو استمر نموها بموجب اتجاهها الأول وهو اتجاه الطول، بمعنى أن يكون هناك امتداد لا نهاية له[1].

لقد مر مخطط الكوفة بمراحل فكانت البداية بمرحلة الأعشار حيث أقامت القبائل بموجب القرعة في أماكن دون اختيارها فبرز الاختلال العددي الواضح بينها لذا وجب أن يعاد النظر في هيكلية التنظيم العسكري الجبائي وعقلنته فظهرت الأسباع التي أقامها الخليفة عمر t وحورها الخليفة علي t ، فكان نظام الأسباع تصوراً مؤسساتياً، حافظَ بلا شك على صلات الدم الأكثر اتساعاً، ودام هذا النظام إلى بداية عصر بني أمية حيث استبدلها واليها زياد بن أبيه إلى أرباع، فكان أقل تعقيداً من الأسباع المقامة على أساس الانتماء القبلي، وذلك لأسباب أمنية لأنه كان يجاور بين مجموعات قبلية متشاحنة [2].

(1) عثمان: المرجع السابق، ص 68.

(2) نخبة من الباحثين العراقيين:المرجع السابق، ج5، ص33.

هذا وقد لعبت الكوفة دوراً عسكرياً واجتماعياً وسياسياً وعلمياً فكانت قطباً للتعريب في البلاد التي أقيمت بها، فشهدت نهضة علمية كبيرة منذ مراحلها الأولى حتى عرفت بقبة العلم.

هذا وقد كان التخطيط الأول بمثابة النواة التي عملت إلى إملاء الاتجاه الذي سيكون عليه التطور المقبل للمدينة حتى أصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية في زمن الخليفة علي t ، واكتسبت الكوفة وجهها الحقيقي في العصر الأموي حيث برزت بشكل ورثته عن أول بادرة للتخطيط الهندسي[1].

وظلت الكوفة حاضرة العراق الأولى طيلة القرن الأول الهجري ومنتصف القرن الثاني، وفي العصر العباسي ظهرت بغداد كعاصمة للدولة العباسية فحدثت في الكوفة تغيرات جزئية، أصبحت بصددها مجموعة مدن أميرية تحيط بحاضرة مدينة مركزية كبرى، مما جعلها تعاني الإهمال والاضمحلال[2].

(1) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص72.

المبحث الأول

ظهور الكوفة

أولاً: التسمية والموقع الجغرافي:

1ـ التسمية:

الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم: خد العذراء [1]، وتعددت الآراء حول أصل تسميتها بالكوفة، فالرأي الأول: يرجع التسمية إلى نوعية أرضها، فقيل: سميت الكوفة من قولهم " تكوّف الرمل أي ركب بعضه بعضاً" [2]، و يذكر البعض: أن أرضها يختلط بها الرمل بالحصى، فكل حصباء ورمل مختلطين فهو كوفة[3]، والكوفة على حصباء – وكل رمل حمراء يقال لها سهلة - وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة[4]، وقيل: الكوفة الرملة الحمراء وبها سميت الكوفة[5]، وقيل أيضاً: أنها سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب: رأيت كوفاناً وكوفاناً، (بضم الكاف وفتحها) للرملة المستديرة[6]، والرأي الثاني يشير: أن الكوفة سُميت كوفة

---

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص490.

(2) الهمذاني: المصدر السابق، ص200.

(3) بيضون، إبراهيم: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول، دار النهضة العربية، بيروت 1979 م، ص79.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 478.

(5) الرازي: المصدر السابق، ص 583.

(6) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تحقيق جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998 م، ج1، ص204.

لاجتماع الناس بها من قولهم قد تكوف الرمل [1]، حيث يُذكر: أن سعد بن أبي وقاص لما افتتح القادسية أنزل المسلمين الأنبار فداهمهم البق، فخرج فارتاد لهم موضع الكوفة وقال: "تكوفوا في هذا الموضع" أي: اجتمعوا، والتكوف هو: التجمع [2]، والرأي الثالث يرى: بأنها سميت كوفة نسبة إلى اسم موضع كان موجوداً في المنطقة، قيل: اسمه كويفية ابن عمر[*][3]، وقيل:سُميت الكوفة نسبة إلى جبل صغيركان فيها يسمى كوفان[4]، وقيل:سُميت الكوفة لأن جبل ساتاديما يحيط بها كالكفاف عليها[5]، والرأي الرابع يرى:أنها سُميت كوفة لأنها قطعة من البلاد من قول العرب:قد أعطيت فلاناً كيفة أي قطعة، ويقال: طفت أكيف كيفا إذ قطعت، فالكوفة قطعة من هذا، انقلبت الياء فيها والواو لسكونها وانضمام ما قبلها [6].

واستناداً إلى مجمل هذه الآراء والتفسيرات لمعنى إسم الكوفة، يمكننا أن نخرج برأي هو أن أصل تسمية الكوفة مأخوذ من التكوف أي الإستدارة، وذلك لاستدارة بنائها أخذاً من قول العرب: رأيت كوفاناً إذا رأوا رملة مستديرة [7]، فالتسمية مأخوذة من طبيعة أرضها.

---

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص490.
(2) البكري: المصدر السابق، ج1، ص 204.
(*) كويفية ابن عمر: منسوبة إلي عبد الله بن عمر بن الخطاب، نزلها حين قتل بنت أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة العبادي. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص496.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص56.
(4) البكري: المصدر السابق، ج1، ص204.
(5) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.
(6) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(7) البكري: المصدر السابق، ج1، ص204.

وعرفت المنطقة بهذا الاسم قبل مجيء المسلمين إليها، وفي وصف سعد بن أبي وقاص للخليفة عمر t للمنطقة عندما نزل بها، ما يؤكد ذلك، حيث ذكر له: " إني قد نزلت بالكوفة" [1]، وكذلك ما يؤكد ذلك دعاء سلمان وحذيفة عندما وصلا إلى المنطقة حيث قالا: " بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزل ثبات " [2].

فضلاً عن تسمية الكوفة فقد كانت المنطقة تعرف قديماً بسورستان[*] [3]، وبعد تمصيرها وصفت بأنها كنز الإيمان وجمجمة الإسلا [4]، وقبة الإسلام [5].

2: الموقع الجغرافي:

تقع الكوفة: على مقدار نصف فرسخ من الفرات[6]، من الجانب الغربي[7]، وهي تقع على أطراف السواد مما يلي البادية [8]، وهي لا تبعد كثيراً

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص373.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 478.

(*) سورستان: ينسب اليها السريانيون، وهم النبط ولغتهم يقال لها السريانية، وكان حاشية الملك إذا التمسوا حوائجهم وشكوا ظلاماتهم تكلموا بها لأنها أملق الألسنة. ياقوت: المصدر السابق، ج 3، ص279.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 388.

(4) الهمذاني: المصدر السابق، ص 200.

(5) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص492.

(6) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد الكناني البكري: رحلة ابن جبير، دار الفكر العربي، بيروت 1964 م، ص154.

(7) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص156.

(8) الهوني: المرجع السابق، ص124.

عـن الحـيرة عاصـمة المنـاذرة[1]، حيـث تبعـد عنهـا ثلاثـة أميـال مـن ناحيـة الجنـوب[2]، ولقـرب الحـيرة مـن الكوفـة استعمل أهـالي الكوفـة المخلفـات العمرانية لمدينة الحيرة كمواد لبناء مدينتهم [3]، فهي تقـع بـين الحـيرة والفـرات، ويتضح ذلك في وصف سعد بن أبـي وقـاص للخليفـة عمـر بـن الخطـاب t ، للموقع عند نزوله له حيث ذكر: "إني قد نزلت بالكوفة منـزلاً فيما بـين الحـيرة والفرات، برياً وبحرياً يُنبت الحلفاء والنصى" [4]، وذُكـر: أن طـول الكوفـة تـسع وسـتون درجـة، وعرضـها إحـدى وثلاثـون درجـة، وثلثـان وهـي في الإقلـيم الثالث[5]، وترتفع الكوفة عن سطح البحر (22 مـتراً)، وترتفـع فـوق النجـاف غرباً، والذي كان بمثابة الحوض المـالح، وكـذلك ترتفـع علـى البطـائح جنوبـاً، وهذه البطائح تمتد حتى البصرة، وهي عبارة عن: مساحة غارقة في المـاء، حيـث ينبت القصب والحلفاء[6]. ينظر الملحق رقم (5).

والواقع أن اختيار موضـع الكوفـة لم يكـن عـشوائياً، بـل كـان اسـتجابة للمتطلبات الإستراتيجية للدولة الإسلامية، وتوافقاً مـع الـشروط الـتي حـددها الخليفة عمر t لسعد بن أبي وقاص للموضع المنتخب ليكون منزلاً للمـسلمين، فهناك ثلاث روايات تاريخية تشير إلى تروي القائد سعد في اختيار الموقع:

(1) العفيفي: المرجع السابق، ص408.
(2) الخربوطلي: المرجع السابق، ص284.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص156.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص373.
(5) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص490.
(6) جعيط: المرجع السابق، ص70.

الرواية الأولى: تفيد:أن ابن بقيلة الغساني، دل سعداً على موضع الكوفة، وقال:" أدلك على أرض ارتفعت عن البر انحدرت عن الفلاة"، فدله على موضعها [1]، وتعكس هذه الرواية الاهتمام بالجوانب المناخية والصحية، وبخاصة أن الخليفة عمر بن الخطاب t كان حريصاً كل الحرص على هذا الجانب بعدما لاحظ تغيراً في أبدان الرجال.

والرواية الثانية: تذكر:أن عمر t بعث إلى سعد، أن يبعث سلمان الفارسي وحذيفة ابن اليمان ليرتادا منزلاً للمسلمين، فبعث سعد سلمان وحذيفة، فخرج سلمان حتى أتى الأنبار، فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاث، دير حرقة، ودير أم عمرو، وديرسلسلة، فأعجبتهم البقعة فنزلا فصليا، وقال كل واحد منهما:"اللهم رب السماء وما أظلت، والخصاص وما أجنت، بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزل ثبات"، وكتبا إلى سعد بالخبر [2].

نستنتج من هذه الرواية، معاناة الرائدين حتى اختارا الموقع، واختيارهما له بدون تردد يدلل على تفرد موقع الكوفة بمواصفات مغرية للاستقرار، ويتضح ذلك في ردة فعل سلمان وحذيفة ودعائهما ليكون الموضع منزلاً للمسلمين.

والرواية الثالثة: تفيد: بأن سعداً عندما جاءه أمر الخليفة عمر t بترك المدائن، تحول ومن معه إلى كويفة ابن عمر، غير أن الموضع لم يعجبهم لإحاطة

---

(1) المسعودي: المصدر السابق، ج 1، ص284.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص477 - 478.

المياه به، فتحول إلى موضع الكوفة، وبدأ يتجول فيه ويدقق في إيجابياته وسلبياته، فأعجبه واختاره ليكون منزلاً للمسلمين[1].

وقد تميز الموقع بميزة استثنائية للسكن البشري، كونه محاطاً من كل جانب بمناظر جغرافية، تختلف شديد الاختلاف: الصحراء والنهر، والبطائح، والبحيرة المالحة، دون التأثر بمساوئها، إن هذه الصلة الممتازة بين الصحراء والأرض الزراعية أعطت تكاملاً للمنطقة[2].

فمناخ الكوفة كان ملائماً لسكان الصحراء، وهو قريب الأوصاف من مناخ البصرة، غير أن هواء الكوفة أصلح وماءها أعذب[3].

ثانياً: منطقة الكوفة قبل الفتح:

على الرغم مما يتميز به موضع الكوفة من ايجابيات للتجمع السكاني، من هواء نقي، وعذوبة المياه، إلا أن هذا الموضع ظل مهملاًلم يشهد نهضة عمرانية في الفترة التي سبقت دخول العرب المسلمين للعراق، حيث لم تشر المصادر التاريخية إلى أي دور حضاري لعبه الموضع قبل ذلك، فتذكر معظم الروايات التاريخية:" أن سلمان وحذيفة، عندما وصلا المنطقة رائدين، وجداها أرض فضاء، ولم يجدا فيها غير ديرات[*] ثلاث: دير حومة[*]، ودير أم عمرو،

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 390.

(2) جعيط: المرجع السابق، ص71.

(3) ابن حوقل، أبو القاسم محمد على البغدادي الموصلي: صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت (د. ت)، ص 215.

(*) الدير: خان النصارى، ومقام الرهبان أو الراهبات، بقية الأديرة منتشرة بعد الإسلام في كل المناطق. غالب: المرجع السابق، ص 192.

ودير سلسلة " [1]، وهناك رواية أخرى تدل على أن المنطقة كانت فضاء ومكشوفة للنظر، حيث تذكر هذه الرواية ما نصه:" قال المغيرة بن شعبة: أخبرنا الفرس الذين كانوا بالحيرة، قالوا: رأينا قبل الإسلام في موضع الكوفة فيما بين الحيرة إلى النخيلة، ناراً تتأجج فإذا أتينا موضعها لم نر شيئاً، فكتب في ذلك صاحب الحيرة إلى كسرى، فكتب إليه أن ابعث إليّ من تربتها، قال: فأخذنا من حواليها ووسطها، وبعثنا به إليه، فأراه علماءه وكهنته فقالوا: تُبنى في هذا الموضع قرية يكون على أيدي أهلها هلاك الفرس، قالوا: فرأينا – والله – الكوفة في ذلك الموضع" [2].

وظلت منطقة الكوفة خالية من أي نشاط سكاني، حتى مجيء المسلمين إليها ويرجع ذلك لعدة أسباب منها:

1ـ ارتباط موضع الكوفة بالحيرة:

أ- قرب المسافة: لا يمكن فصل موضع الكوفة عن الحيرة بأي سبب من الأسباب، كون أن الكوفة تمثل رقعة مكانية تابعة لمملكة الحيرة، فهي تبعد عنها حوالي ثلاثة فراسخ من الناحية الجنوبية[3]، فالمسافة قريبة جداً من الحيرة، ولهذا فإن موضع الكوفة، يعتبر امتداداً للحيرة منذ نشأتها حيث يصف

(*) ديرحومة: اوردها الطبري بدير حرقة. الطبري: المصدر السابق، ج2، ص478.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص373.

(2) الهمذاني: المصدر السابق، ص200.

(3) الخربوطلي: المرجع السابق، ص305.

البلاذري المنطقة قبل وصول المسلمين إليها بقوله: " لم تكن الكوفة يومئذ إنما كانت الحيرة " [1].

ب- شهرة الحيرة: نالت المنطقة شهرة واسعة، بفضل الدور المتميز الذي لعبته مملكة الحيرة منذ تأسيسها سنة(240م)، على الرغم من تبعيتها للفرس الذين كانوا يحتلون المنطقة، حيث كان دور المناذرة ملوك الحيرة، هو حماية الثغور التابعة للفرس من هجمات الغساسنة التابعين للإمبراطورية البيزنطية[2]، وتمكنت الحيرة من الحصول على نوع من الاستقلال بفضل قوتها وحكمة ملوكها حيث عرفت الحيرة عدة ملوك حافظوا على شخصيتها القويةمن أبرزهم:المنذر الثالث بن امرؤ القيس الملقب بابن ماء السماء (454-505 م)، حيث بلغت الحيرة أوج قوتها في زمنه، وشارك كسرى في غنائم الحرب التي انتصر فيها على الروم، وتمكن من هزيمتهم زمن جوستنيان [3]، وشهدت مملكة الحيرة نهضة عمرانية كبيرة، حيث بُنيت بها الدُور والقصور التي كانت شاهداً على ازدهارها وتقدمها، وظلت هذه المباني فترة من الزمن، وبعضها كان خراباً عند بناء المسلمين الكوفة، حيث استخدموا مخلفات هذه المباني كمواد لبناء الكوفة[4].

إن هذه الشهرة الواسعة والمكانة المرموقة التي وصلت إليها الحيرة، طغت على المناطق المجاورة لها، وظلت هذه المناطق بما فيها الكوفة مهملة ليس لها أي دور حضاري.

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 343.
(2) النجار وآخرون: المرجع السابق، ص 43.
(3) المرجع نفسه، ص 45.
(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.

ج- الدور العسكري للحيرة:إن الدور الذي كان منوطاً بمملكة الحيرة وهو الدفاع عن الإمبراطورية الفارسية من هجمات أعدائها، جعل ملوكها لا يتوسعون عمرانياً في الضواحي، ومن بينها الكوفة على الرغم من تبعيتها لمملكتهم[1].

2 ـ ضعف وسائل الجذب السكاني في منطقة الكوفة:

على الرغم من تمتع موضع الكوفة بموقعها المتميز، وهوائها النقي، ومواردها المائية الطيبة، إلا أنها افتقدت إلى عناصر أخرى للجذب السكاني والاستقرار أهمها:

أ- عدم صلاحية تربتها للزراعة: حيث كانت تربتها رملية اختلطت بها حصباء، فمصدر هذه الحصباء من الرسوبات النهرية، وأما الرمل فهو رمل أحمر آتى من الغرب، لوقوع الموضع بالقرب من النهر [2]، وكذلك كان لفيضان الفرات دور في إضعاف الزراعة في الكوفة، حيث شهدت المنطقة عدة فيضانات للفرات، ومن بينها الفيضان الذي حدث سنة (7 هـ - 628م) حيث استحال سد الثغرات ونشأت البطائح[*]، وكانت مساحات واسعة من الماء الراكد جنوب الكوفة نزعت مساحة كبيرة كانت

---

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 71.

(*) البطائح: تبطح السيل إذا اتسع في الأرض وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض (وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة) وكانت قديماً قرى متصلة وأرض عامرة فاتفق في أيام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزادت الفرات أيضاً بخلاف العادة فعجز عن سدها فتبطح الماء في تلك الديار والزراع فطرد أهلها عنها. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 450.

صالحة للزراعة[1]، في حين أن أرض الحيرة عرفت ببساتينها وأشجارها، فكانت تربتها أصلح من تربة الكوفة[2]، فضلاً عن ذلك كانت أرض السواد القريبة من الكوفة أرضاً زراعية، استخدم الفرس الأنباط الآراميين لفلاحتها، وظل هؤلاء الفلاحون مرتبطين بأرض السواد يدفعون الخراج للفرس مقابل بقائهم فيها، وبهذا ظلت أرض السواد الزراعية مركزاً لهؤلاء الفلاحين الآراميين الذين يمثلون جزءاً كبيراً من سكان المنطقة[3].

ب- ضعف دورها التجاري: على الرغم من موضعها الجغرافي القريب من النهر إلا أنه لم يُستفد منه في التجارة النهرية، وربما كان السبب وجود البطائح التي وصفت بكثرة تعرجاتها وتشعباتها، مما يصعب السير فيها بالقوارب[4]، ربما كان ذلك في فترات زمنية معينة، لأن تجار الحيرة المجاورين لموضع الكوفة كانوا يركبون السفن في الفرات حتى الأُبُلة، ثم يركبون السفن الضخام من هناك فيطوفون بالبحار إلى الهند والصين من جهة الشرق، والبحرين وعدن من جهة الغرب[5]، وعلى الرغم من قرب موضع الكوفة من الطرق التجارية البرية، إلا أن ذلك لم يمثل أهمية بالنسبة للموضع الذي كان يفتقد إلى أي نشاط سكاني[6].

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 16.
(2) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ العرب قبل الإسلام - ص 225.
(3) جعيط: المرجع السابق، ص 61.
(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(5) سالم: دراسات في تاريخ العرب- تاريخ الدولة العربية - ص 8.
(6) جعيط: المرجع السابق، ص 79.

يفهم من ذلك أن السبب الحقيقي وراء عدم بروز موضع الكوفة تجارياً، هو تركز الحركة التجارية في الحيرة، نتيجة النهضة السكانية والعمرانية التي شهدتها الحيرة حين ذاك، فضلاً عن ذلك أن موضع الكوفة لم يكن مهيئاً ليكون مركزاً تجارياً مقارنة بموضع البصرة الذي كان مرفأً للسفن.

ثالثاً: تأسيس الكوفة:

كان تأسيس الكوفة، إحدى الضرورات الحربية التي اقتضتها طبيعة الفتح الإسلامي لبلاد فارس في زمن خلافة عمر بن الخطاب t ، فقد اندفع الجيش العربي تحت قيادة سعد بن أبي وقاص بعد فتوح السواد بين المدينة حاضرة الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، وبين ميدان القتال، فكان من الضروري أن يتخذ الجيش المحارب نقطة ارتكاز له أو معسكراً ثابتاً قريباً من ميدان القتال[1]، فتأسست في البداية لخدمة هذا الغرض، وذلك بعد البصرة فهي المصر الثاني للمسلمين خارج شبه الجزيرة العربية[2]، ولهذا نرى تشابهاً في الظروف التي صاحبت تأسيس المصرين من حيث الأسباب و الأهداف، وما حدث عليهما من تطورات.

1ـ بداية التأسيس:

لقد مر تأسيس الكوفة بعدة مراحل، وكانت بمثابة نواة التأسيس للمصر الثاني، حيث بدأوا بتأسيس معسكر بالموضع ليخدم الأهداف العسكرية لجيش

(1) الكعبي، عبد الحكيم:موسوعة التاريخ الإسلامي - عصر الخلفاء الراشدين- ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان(د.ت)، ص 153.
(2) عبده: المرجع السابق، ص141.

المسلمين، حيث فرضت عليهم الظروف الحربية هذه الوضعية، وقد تميزت هذه المرحلة المبكرة ببساطة البناء، حيث كان البناء عبارة عن: خيام وفساطيط، كما هو الحال في البصرة، وأكد ذلك الطبري، حيث أورد رواية مفادها: "أن العرب الساكنين في الكوفة استأذنوا من الخليفة عمر t في استخدام القصب لبناء وتشييد منازلهم، وكان جواب الخليفة على طلبهم: العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم، وما أحب أن أخالفكم، فسأل:وما القصب؟ قالوا:العكرش إذا روي قصب صار قصباً، فقال: فشأنكم "[1]، إن استئذانهم في البناء بالقصب يعني أنهم سكنوا الخيام قبل ذلك.

وافق الخليفة على البناء بالقصب بعد أن تأكد أنه لن يكون عائقاً أمام تحركهم وانتقالهم من مكان إلى آخر، لأنه أراد من العرب الاستمرار في القتال لا الاستقرار[2]، فالبناء بالقصب كذلك يتميز بعدم ثباته، حيث يسهل إزالته وهذا ما ذكرته الرواية التاريخية: "كانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبنى، أخصاصاً من قصب، إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها، فإذا عادوا بنوها، فكانوا يغزون ونساؤهم معهم "[3].

على الرغم من أن سعد بن أبي وقاص لما وصل الموضع أمر ببداية البناء، حيث أمر ببناء المسجد، وأمر الناس ببناء منازلهم [4]، إلا أن هذه البداية المبكرة في البناء لا يمكن اعتبارها البداية الحقيقية للتأسيس، نظراً لعدم ثبات

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص160.
(3) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.
(4) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص75.

البناء في هذه المرحلة كونه معسكراً يتنقلون منه ويرجعون إليه، على حسب الظروف الحربية التي حتمت عليهم ذلك.

2ـ تطور الموضع إلى مصر:

إن البداية الفعلية لتأسيسالكوفة كانت مع بداية البناء باللبن، وإنشاء المرافق العمرانية الثابتة، والتي معها عرف المسلمون الاستقرار، وانتقل الموضع من الصبغة العسكرية الخالصة إلى صبغة التمدن، فالتطورات التي حدثت في الكوفة هي التي سارعت في هذه النقلة، حيث اضطر الخليفة عمر t إلى لموافقة على البناء باللبن بدل القصب في البصرة والكوفة، والسبب الحريق الذي وقع بالمصرين، فالحريق وقع بالبصرة والكوفة، وكان أشدهما حريق الكوفة، فقد احترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة فمازال الناس يتذكرون ذلك، فبعث سعد منهم نفراً إلىالخليفة عمر t يستأذنونه في البناء، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منه، وكانوا لا يدعون شيئاً إلا أمّرُوه فيه فقال: " افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة " [1].

إن موافقة الخليفة عمر t على البناء باللبن، جاءت نتيجة لحرصه الشديد على المسلمين، وخوفه من خطر تجدد الحريق مرة ثانية، ولولا هذه المتغيرات التي جذت، لما وافق الخليفة عمر t في هذه الفترة على البناء باللبن، كون أن البناء باللبن يعني ثبات المسلمين في الموضع، وهذا قد يؤثر في نشاطهم الحربي، وهذا التفكير اتضح منذ أن استأذنوا في البناء بالقصب، حيث وافق الخليفة عمر t وهو غير مرتاح لذلك، على الرغم من بساطة البناء وسرعة

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 373.

إزالته، فكان يخشى أن البناء بهذه المادة يكون بمثابة البناء الثابت، ومن هنا يتضح أن حدوث الحريق هو الذي عجل في تمصير الكوفة، فكان أول شيء خُط وبُني حين عزموا على البناء باللبن المسجد[1].

3ـ سنة التأسيس:

اختلف المؤرخون في تحديد سنة تأسيس الكوفة، وهذا التباين والاختلاف يرجع إلى عدم الاتفاق في تحديد البداية الفعلية للتأسيس، فالبعض يرى: أن بداية التأسيس بدأت مع نزول سعد بالمسلمين الموضع[2]، والبعض الآخر يرى: أن البداية الفعلية لتأسيس الكوفة، بدأت مع بداية البناء باللبن، كونه يمثل بداية الاستقرار والثبات في البناء.

يذكر بعض المؤرخين: أن تمصير الكوفة كان سنة(14 هـ - 635 م)، وبصورة أدق قبل تمصير البصرة، وأن قائد جبهة الكوفة سعد بن أبي وقاص هو الذي وجه عتبة بن غزوان نحو منطقة البصرة لتحريرها [3]، فيما يذكر البعض: أن الكوفة مصرها سعد بن أبي وقاص في سنة (15 هـ - 636 م)، ودلهم على موضعها ابن بقيلة الغساني[4]، وهناك من يذكر: بأن سنة تأسيسها كان سنة (16 هـ - 637 م)، حيث ذكر الذهبي: في أحداث سنة ست عشرة " فيها مصر سعد الكوفة وأنشأها " [5]، وهناك عدد كبير من المؤرخين يرجحون:

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.
(2) المسعودي: المصدر السابق، ج 2، ص351.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص155 – 156.
(4) المسعودي: المصدر السابق، ج 2، ص351.
(5) الذهبي: المصدر السابق، ص 24.

أن تأسيسها كان سنة (17 هـ - 638م)، ففيها أمر سعد باختطاط الكوفة، وسار إليها في أول هذه السنة في محرّمها[1]، بعد أن أصبح السواد بأكمله في حوزة المسلمين، ولاحظ الخليفة عمر t تغير ألوان العرب، فأمرهم باختيار موقع جديد فوقع الاختيار على الكوفة، ومصرها سعد بن أبي وقاص في هذه السنة [2]، في حين يرى آخرون: بأن تأسيسها كان سنة (18هـ - 639 م)، وقيل: إنها مصرت بعد البصرة بعامين في سنة(19 هـ - 640م)[3]، و المتفق عليه أنها مرت بعدة مراحل قبل التمصير النهائي، الذي جاء بعد تمصير البصرة، وتم اختيارها وتوزيع خططها في سنة (17هـ - 638م)[4].

4ـ ظروف التأسيس:

على الرغم من أن الظروف الصحية والعسكرية وراء نزول المسلمين بها، واتخاذها معسكراً لهم، غير أن تأسيسها عرف بروز ظروف أخرى ساهمت في تمصيرها منها:

أ- حدوث الحريق: كان حدوث الحريق سبباً في تمصير الكوفة، حيث التهمت نيرانها ثمانين عريشاً من عرائش الكوفة[5]، هذا الحادث جعل الخليفة عمر t يوافق على البناء باللبن، ومعه عرفت الكوفة أول مخطط لبناء ثابت وهي البداية الفعلية للتأسيس.

---

(1) إبن كثير: المصدر السابق، ج7، ص75.

(2) عليان، محمد عبد الفتاح: الخلفاء الراشدون، دار النهضة المصرية، القاهرة 1986 م، ص83.

(3) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.

(4) الكعبي: المرجع السابق، ص156.

(5) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.

ب- استئناس المسلمين للمنطقة:لم يكن الجيش في الكوفة مقيماً على شكل حامية كما هو الشأن في المستعمرة الخارجية و في الثغور بل استقر فيها دون إبداء أي نية في العودة [1].

ج- رغبة المسلمين في بناء مدينة وفق مزاجهم: لهذا مالوا إلى اختيار أرض فضاء، بدلاً من اختيار المدن القديمة، ويتضح ذلك في تمسكهم بالموضع بعد الحريق، وعدم خروجهم إلى الحيرة الملاصقة للموضع، والتي قد تكفيهم عناء البناء [2]، فضلاً عن ذلك أنها تتمتع بنقاء هوائها وصفاء جوها وعذوبة مائها، حتى قيل: "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة"، فهواؤها وتربتها أصح من الكوفة[3].

د- التطورات السكانية: شهدت الفترة التي أعقبت نزول سعد بالمسلمين الكوفة، توافد أعداد كبيرة من القبائل والعشائر العربية على الموضع، مما أحدث تغيراً في شكل الموضع فعرائش القصب لا تلبي الاحتياجات السكنية لهذه الأعداد، التي لم تذكر الروايات التاريخية عددها بالضبط، إلا أن هناك إشارة يمكن منها أن نحدد عدد مقاتلي الكوفة عند التأسيس، ويتضح ذلك حين بنى المسلمون المسجد الجامع، حيث جعلوه واسعاً ليسع أربعين ألف مُصلياً، وربما كان هذا العدد هو عدد المقاتلين الموجودين [4].

---

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 75.
(2) المرجع نفسه، ص69.
(3) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ العرب قبل الإسلام - ص225.
(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص161.

5ـ مصاعب التأسيس:

أ- تَدافع أعداد من القبائل على الكوفة بشكل تلقائي وفوضوي، أحدث مشاكل لنظام تخطيط المدينة، حيث أن بعض هذه القبائل لم تجد لها مكاناً داخل المصر، فتفرقت مساكنها بين خطط القبائل الأخرى[1].

ب- تمسك السكان بطابعهم القبلي، وروح الصحراء وتقاليدهم البدوية، وعدم تقبلهم نمط الحياة الجديد في المصر، ولهذا ظلت القبيلة هي أساس التركيبة الاجتماعية للكوفة، مما فرض على سعد بن أبي وقاص مؤسس المدينة أن يخططها على أساس قبلي[2].

ج- ضعف الموضع اقتصادياً: كون أن الموضع لم يكن زراعياً ولا تجارياً، على الرغم من عدم أهمية هذا الجانب في بداية نزول المسلمين الكوفة، أي قبل البناء باعتبار أن الموضع اختير ليكون معسكراً لخدمة الأهداف العسكرية، فضلاً عن ذلك انشغال السكان بدورهم الحربي، وعدم الالتفات إلى أي نشاط اقتصادي، أما بعد التمصير فقد أصبح هذا الجانب مهماً، ويمثل نقطة ضعف في الموقع[3].

---

(1) ناجي: المرجع السابق، ص 165.

(2) الخربوطلي: المرجع السابق، ص80.

(3) جعيط: المرجع السابق، ص 79.

المبحث الثاني

خطط الكوفة ومعالمها العمرانية

أولاً:ـ التركيبة السكانية:

عند قدوم المسلمين إلى موضع الكوفة وكما تشير المصادر التاريخية وجدوها أرض فضاء لا يوجد فيها أي نشاط سكاني، ولم يكن بها غير ديرات ثلاث خالية من السكان، إلا ان تعميرها لم يبدأ إلا بنزول المسلمين بها.

1ـ السكان الذين سكنوا بالقرب من الكوفة قبل الفتح:

نظراً لعدم وجود أي دور سكاني في موضع الكوفة قبيل الفتح الإسلامي للمنطقة، كان لزاماً علينا أن نتطرق ولو بشكل موجز لسكان المناطق المجاورة للكوفة، بخاصة سكان الحيرة الذين سيلعبون لاحقاً دوراً في الحياة الاجتماعية للكوفة بعد تمصيرها.

عرفت المنطقة توافد العديد من القبائل العربية، وزاد حجم هذا التوافد بعد قيام مملكة الحيرة وازدهارها، فقد سكن المنطقة التنوخيون الأوائل، الذين هاجروا من اليمن وكانوا ينزلون فيما بين الحيرة والأنبار [1]، وسكنتها كذلك قبائل ربيعة ومضر وبكر [2]، وقوم من نصارى العرب يعرفون(العباد)، اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة، ويتألفون من ثلاث قبائل مختلفة: تميم، ولخم، والأزد، وعلى الرغم من اختلافهم في النسب

---

(1) سالم: دراسات في تاريخ العرب - العرب قبل الإسلام - ص254.
(2) النجار وآخرون: المرجع السابق، ص43.

جمعتهم وحدة الدين، ولذلك لم يطلق اسم العباد إلا على نصارى الحيرة تمييزاً لهم عن السكان الوثنيين [(1)].

كذلك سكن منطقة الحيرة قبل الفتح، جماعة من النبط العراقيين، وهم بقايا أهل العراق القدامى، من الكلدانيين، والآراميين، وطائفة من الفرس سادة البلاد [(2)].

2ـ السكان الذين سكنوا الكوفة بعد الفتح:

صُممت الكوفة منذ نزول المسلمين بها لإسكان سبعة آلاف، إلى ثلاثين ألف شخص، غير أن العدد زاد عن هذا الحد، بعد توافد جموع المهاجرين المتأخرين الذين وفدوا في رادفة[(*)] أولى وثانية وثالثة ورابعة، أثناء خلافة عمر t ، وطيلة خلافة عثمان t التي دامت ثلاث عشرة سنة، وفي خلافة علي t قدر عدد مقاتلي الكوفة الذين شاركوا معه في معركة الجمل بإثني عشر ألف مقاتل، والثابت أنه لم يخرج معه إلا جزء من سكان الكوفة، الذين قدروا بعد معركة صفين بخمسة وستين ألفاً منهم أربعون ألف مقاتل، وعدد سبعة عشر ألفاً من الفتيان، ومن الموالي ثمانية آلاف [(3)]، ويتكون هذا العدد من العناصر التالية:

---

(1) سالم: دراسات في تاريخ العرب - العرب قبل الإسلام - ص254.

(2) المرجع نفسه، ص 254 – 255.

(*) رادفة: الراكب خلفك، وردف الرجل وأردفه: ركب خلفه وارتدفه خلفه على الدابة، ورديفك: الذي يرادفك، والجمع ردفاء ورادفي. ابن منظور: المصدر السابق، ج9، ص115.

(3) جعيط: المرجع السابق، ص 280.

أ- العرب والمسلمون:

منذ بداية نزول المسلمين للكوفة شهد الموضع توافد أعداد كبيرة من المقاتلين، الذين توافدوا مع سعد من المدائن، بعد الانتصارات التي حققوها في القادسية وجالولاء والمدائن، فكان عددهم كبيراً مقارنة بالأعداد التي أسست البصرة [1]، وعلى الرغم من أن عدداً من القبائل ظلت في المدائن، ولم تخرج مع سعد بعد أن خيرهم سعد عند خروجه إلى الكوفة بين البقاء والخروج[2].

وقُدّر عدد سكان الكوفة من القبائل العربية عند إنشائها بعشرين ألفاً، قسموا إلى تجمعين رئيسيين، حسب الانتماء القبلي: واحد لأبناء اليمن وعددهم إثنا عشر ألفاً، والآخر لأبناء نجد والحجاز المضريين، وكانوا ثمانية آلاف [3]، وقد ذكر البلاذري في هذا السياق: "أهل اليمن اثنا عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية آلاف" [4]، وتوضيحاً أكثر لأهم القبائل العربية التي سكنت الكوفة يمكن تقسيمها إلى الآتي:

- القبائل اليمنية القحطانية الجنوبية: وهي: تتألف من قبائل قضاعة، وغسان، وبجيلة[*]، وخثعم، وكندة، وحضر موت، والأزد، ومذحج، وحمير، وهمذان، والنخع، وكانت هذه القبائل اليمنية أكثر قبائل الكوفة تمدناً وتحضراً[5].

---

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص6.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص111.

(3) علم الدين، مصطفى: المجتمع الإسلامي في مرحلة التكوين، دار النهضة العربية، بيروت 1992م، ص160.

(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 389.

(*) بجيلة: هم أبناء أنمار، بن إراش بن عمرو بن الغوث.، اخوة خثعم وبجيلة أمهم. ابن دريد: المصدر السابق، ج2، ص515.

(5) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص30.

- القبائل العدنانية الشمالية: وهي: قبائل، تميم، والرباب[*]، وبنو العصر وهي:(مضر) وبنو بكر وهم: بنو أسد، وغطفان ومحارب[1]، وعدد كبير من نصارى بني تغلب الذين شاركوا في تخطيط الكوفة[2].
- هذه المجموعة تألفت: من قبائل عبد القيس، وكنانة، وجديلة، وضبيعة، وطي، وثقيف، وعامر، ومزينة [3].

وسكن الكوفة بعض أشراف العرب من الصحابة الأوائل، ووجوه الناس الذين كانت لهم السابقة في الإسلام، حيث تذكر الرواية التاريخية: "سكن الكوفة سبعون بدرياً (ممن شهدوا بدراً) [4]، وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، فكانوا خلاصة المهاجرين والأنصار الذين لهم السبق في الإسلام [5].

ب- السكان الأصليون:

- **السريان:** سكنت طائفة منهم الكوفة بعد إنشائها، وهم الذين كانوا يسكنون الأديرة القائمة في أطراف الحيرة والنجف[*] [6].

(*) الرباب: تميم وعدي وعكل ومزينة وضبة، وسُموا الرباب لأنهم تحالفوا فقالوا: اجتمعوا كاجتماع الربابة وهي خرقة تجمع فيها القداح وقال قوم: بل غمسوا أيديهم في رب وتحالفوا. ابن دريد: المصدر السابق، ج1، ص180.

(1) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص30.

(2) الخربوطلي: المرجع السابق، ص305.

(3) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص30.

(4) الهمذاني: المصدر السابق، ص203.

(5) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص30.

(*) النجف: بالفرع عينان يقال لإحداها: الربض، وللأخرى النجف، تسقيان عشرين ألف نخلة وهو بظاهر الكوفة وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص 271.

(6) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ص262.

ج- العناصر الدخيلة:

- **الفرس**: سكنت الكوفة بعد إنشائها فرقة فارسية، كانوا مع القائد رستم في معركة القادسية، وكان عددهم أربعة آلاف، يسمون جند (شهانشاه)، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا، ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في العطاء، فأنزلهم سعد حيث اختاروا، وفرض لهم فيّ ألف ألف، وكان لهم نقيب(*) منهم يقال له: ديلم، فقيل: حمراء ديلم(*) (1).

- **اليهود**: نزل الكوفة كذلك جماعة من يهود نجران(*) أجلاهم الخليفة عمر t عن شبه الجزيرة العربية فأقاموا بمحلة عرفت بالنجرانية(*) بالكوفة (2).

(*) نقيب: النقيب هو كالعريف على القوم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب على أحوالهم أي يفتش وقيل: النقيب الرئيس الأكبر.ابن منظور: المصدر السابق، ج1،ص769–770.

(*) الديلم: جيل سموا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر وليس باسم لأب لهم، اسم ماء لبني عبس وقيل: في العرمة من أرض اليمامة، ماء يقال له: الديلم، وقيل: الديلم: هي حياض بالغور. ياقوت: المصدر السابق، ج 2، ص 544.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 393.

(*) يهود نجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة، قالوا: سُموا بنجران بن يزيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها، وإنما صار إلي نجران لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج رائداً حتى انتهى إلي وادٍ فنزل به فسمي نجران به. ياقوت: المصدر السابق، ج 5، ص266.

(*) النجرانية: موضع على يومين من الكوفة فيما بينها وبين واسط على الطريق. المصدر نفسه، ص269.

(2) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ص262.

ثانياً: خطط المدينة ومعالمها العمرانية:

1ـ خطط المدينة:

تقدم الروايات التاريخية المتعلقة ببداية تخطيط موضع الكوفة، عناصر تخطيطية متشابهة مع تلك التي وجدت في البصرة عند اختيارها، وأهمها بضعة طوبوغرافيات للمنشأت، ومؤسسات الإدارة، وعدد من البيوت المتفرقة التي ينضمها نظام قبلي، ووحدات عمرانية بسيطة في هيئة الموضع [1]، وبذلك تطابق تخطيط البصرة و الكوفة سواءً في المسجد الجامع، ودار الإمارة، وخطط القبائل، أو في الطرق الرئيسية المتوسطة والأزقة[2].

أ- أوامر الخليفة عمر t في تخطيط الكوفة: كانت نصائحه في تخطيط المدن واختيار مواقعها من أنفع النصائح، وكانت دواعيه إلى بنائها من أشرف الدواعي وأليقها بالأمير [3].

إن تعليمات الخليفة عمر t كانت بمثابة أساس التخطيط للمصرين، ولقد برزت عبقرية الخليفة عمر t في تخطيط المدن على الرغم من قلة الخبرة في هذا المجال، وكما ذُكر سابقاً في تخطيط البصرة، إلا أن الخليفة عمر t كان ابن مدينة، تعايش مع ايجابيات وسلبيات توزيع عمرانها، فضلاً عن متابعته المتناهية للظروف التي يعيشها سكان المصرين، ولهذا فإن بعض الأوامر في التخطيط

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص160.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص 69.
(3) العقاد، عباس محمود: العبقريات الإسلامية، ط1، دار الآداب، بيروت 1966 م، ص448.

كانت حلولاً لبعض الإشكاليات التي قد تتطور، فتشابه التخطيط في المصرين يدل دلالة واضحة على أن الخليفة عمر t سن ثوابت لتخطيط المدن الجديدة، وربما كان قد وجه أوامر التخطيط لقائده على الجبهة العراقية سعد بن أبي وقاص، فبلغ قائده على البصرة عتبة ابن غزوان بهذه الأوامر، ولهذا نرى تشابهاً كبيراً بين المصرين، سواءٌ في ظروف التأسيس أو التخطيط، ففي ذكرنا لأوامر تخطيط الكوفة ما يُبين ذلك:

- **أوامره في تخطيط الطرق:** أن يكون قدر المناهج أو الطرق الرئيسية أربعين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين ذراعاً، وعرض الأزقة سبعة أذرع والقطائع ستون ذراعاً [1].

- **أوامره في شكل البناء:** عندما استأذنوه في البناء باللبن، ذكر لهم:" افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، وألا ترفعوا بنياناً فوق قدره"، وعندما سُئل عمر t عن القدر قال: " مالا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القسط "[2]، وأمرهم أن يعرّضوا الحيطان، وأن يطيلوا السمك وأن يقربوا بين الخشب [3].

-**أوامره في تخطيط المسجد:** كتب إلى سعد أن يختط موضع المسجد الجامع على عدد المقاتلين، فخطه سعد على أربعين ألف إنسان [4].

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.
(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(3) الخربوطلي: المرجع السابق، ص302.
(4) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.

ب- واضع خطط الكوفة:

تشير معظم الروايات التاريخية، إلى أن أبا الهياج الأسدي[*] هو الذي تولى تخطيط الكوفة بأمر من الخليفة عمر t [1]، وقيل: كان الأمر من سعد[2]، وهو الذي قام على تنزيل أهل الكوفة منذ بداية نزولهم بها[3]، وهو واضع خططها عند بنائها باللبن حيث تذكر الرواية التاريخية:" لما اجتمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة أرسل سعد إلى أبي الهياج، فأخبره بكتاب عمر t في الطرق " [4]، في حين تذكر رواية أخرى:" أن السائب بن الأقرع[*]، قد اشترك مع أبي الهياج الأسدي في تخطيط الكوفة " [5]، وهناك من قال:" أن سعد بن أبي وقاص، هو الذي علم موضع البناء عند نزول المسلمين بالكوفة" [6]، واختط المسجد الجامع[7]، وأنزل القبائل منازلهم[8].

(*) أبو الهياج الأسدي: عمرو بن مالك بن جنادة بن سفيان بن وهب من بني تغلبة بن دودان من بني أسد. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج5، ص 259.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 388.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص75.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.

(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(*) السائب بن الأقرع: وهو من يسار من بني الحطيط من ثقيف، أدرك الإسلام، وهو الذي جاء بفتح نهاوند إلي عمر بن الخطاب t . ابن دريد: المصدر السابق، ج2، ص 301.

(5) الهمذاني: المصدر السابق، ص200.

(6) الحنبلي: المصدر السابق، ج1، ص42.

(7) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.

(8) الجميلي: المرجع السابق، ص200.

على الرغم من هذا الاختلاف، إلا أن الراجح أن أبا الهياج الأسدي، هو واضع خطط الكوفة، بناء على تأييد معظم الروايات التاريخية لذلك، وربما كان دور السائب بن الأقرع، هو مساعدة أبي الهياج في عملية التخطيط عندما بُنيت باللبن.

ج- مراحل تخطيط الكوفة:

لقد مرت خطط ومحلات المقاتلين العرب الذين رافقوا سعداً من المدائن، بثلاث مراحل وهي:

- **مرحلة الخيام والبناء بالقصب**: على الرغم مما يذكره بعض المؤرخين، على أن سعداً بعد تحوله للكوفة اختطها وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلها وبنى مسجدها[1]، إلا أن هذه المرحلة لا تعد البداية الفعلية للتخطيط، كون أن البناء كان من خيام ثم من قصب، فكانوا أثناء تحركهم العسكري ينزعون ذلك القصب ويتصدقون به، فإذا ما عادوا إلى الموضع أعادوا بناء بيوتهم من القصب [2]، الأمر الذي يوضح عدم استقرار الموضع، وافتقاره إلى وحدة مدينية، وافتقاره أيضاً إلى خطط عمرانية، فضلاً عن ذلك فإن الموضع كان آنذاك صغيراً في حجمه وكثافة سكانه[3].

إن التخطيط في هذه المرحلة القصيرة التي دامت عشرة أشهر، من استقرار المسلمين في (محرم) من سنة(17 هـ - 638 م)[4]، لم يكن سوى أماكن

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 387.
(2) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 49.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص164.
(4) جعيط: المرجع السابق، ص 89.

لبعض المرافق، مثل المسجد، ودار الإمارة، لأن البناء غير ثابت في هذه المرحلة[1].

- **مرحلة البناء باللبن:** بدأت هذه المرحلة، عندما حصل سعد بن أبي وقاص على موافقة الخليفة عمر t بالبناء باللبن، بعد الحريق وفيها بدأ التخطيط الفعلي للكوفة [2]، حيث تذكر الرواية التاريخية:" أن سعداً عندما عزم على بناء الكوفة باللبن، انتدب أبا الهياج ابن مالك لتخطيطها، حيث أعلمه بكتاب الخليفة عمر t بالطرق، وأول ما بُني بالكوفة هو المسجد، فوضع بموضع أصحاب الصابون والتمارين[*] من السوق" [3].

وبعدما حدد موضع المسجد، قام رجل في وسطه، رامٍ شديد النزعة فرمى لكل جهة بسهم، وأمر أن يُبنى ما وراء ذلك[4]، فترك المسجد في مربع غلوة من كل جوانبه[5]، وقد أحيطت هذه المسافة التي حددت عن طريق الرامي بخندق، لئلا يقتحمها أحد ببنيان[6]، وبذلك تم تحديد مركز التخطيط، وهو الصحن الذي تضمن المسجد الجامع ودار الإمارة والأسواق [7]، وتعد

---

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص164.
(*) التمارون: باعة التمر.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.
(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 373.
(5) عبده: المرجع السابق، ص143.
(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 373.
(7) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص169.

إقامة هذه المساحة المركزية للسلطة والدين والتجارة بصفة ثانوية دليلاً على وجود نية تمدنية واضحة عند الحكام العرب[1].

ومن هذه المنطقة التي تمثل مركز المدينة، امتدت الشوارع (المناهج) خمسة في اتجاه الشمال، وأربعة في اتجاه الجنوب، وثلاثة في اتجاه الشرق، ومثلها في اتجاه الغرب[2]، واتخذت هذه المناهج أساس التوزيع القبلي، حيث توزعت المحلات على جانبي هذه المناهج وفيما بينها[3].

إن القاعدة الأساسية التي اتبعها أبو الهياج في مسألة التخطيط، كانت قبلية وشخصية في آن واحد، وقد أشار البلاذري إلى هذه القاعدة، حينما ذكر: "أن أبا الهياج أسهم بين أهل اليمن ونزار بسهمين، فمن خرج سهمه أولاً كان له أن يختار الجانب الأيسر من الموضع، وهذا أفضل الجوانب، فكان سهم أهل اليمن في الجانب الشرقي، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي" [4].

إن البلاذري لم يعط تفصيلاً تاماً عن إنزال القبائل على عكس، الطبري الذي أورد تفصيلاً تاماً عن ذلك، حيث أورد: " ونهج في الودعة بالصحن خمسة مناهج، وفي قبلته أربعة مناهج، وفي شرقيه ثلاثة مناهج، وفي غربيه ثلاثة مناهج وعلمها، فأنزل في ودعة الصحن (الشمال) سُليماً وثقيفاً، مما يلي الصحن على طريقين، وهمذان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات على آخرها وتغلب، وأنزل في قبلة الصحن بني أسد، على طريقين،

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 95.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص68.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص166.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص389.

وبين بني أسد والنقع طريق، وبين النقع وكندة طريق، وبين كندة والأزد طريق، وأنزل في شرقي الصحن الأنصار، ومزينة على طريق، وتميماً ومحارباً على طريق، وأسداً وعامراً على طريق، وأنزل في غربي الصحن بجالة وبجلة على طريق، وجذيلة وأخلاطاً على طريق، وجهينة وأخلاطاً على طريق، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن، وسائر الناس بين ذلك، ومن وراء ذلك قسمت على سهمين، فهذه مناهجها العظمى، وبنو ا مناهج تحاذي هذه ثم تلاقيها، وأخرى تتبعها وهي دونها في الذراع، والمحال فيما بينها، ومن ورائها جعل هذه الطرقات من وراء الصحن" [(1)].

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة، فكانت كل قبيلة تقسم الخطة المخصصة لها، أي أن الأمر متروك لحرية تصرف اختيار القبيلة، وتوزعت المساجد في خطط القبائل، وكان لكل قبيلة مقبرتها المعروفة بها [(2)].

تعرف هذه الخطط بالأعشار (البطون)، وهي عشائر الأيام وكذلك التي خاضت القادسية[(3)]، حيث استقرت هذه العشائر في هذا الحزام السكني، كذلك خصص أبو الهياج مواضع للمقاتلين الذين كانوا يحرسون الثغور، وقد غابوا عن الكوفة، ولا سيما عبس، وعندما بدأت هذه الروادف تتوافد على الكوفة، ضاق المكان على المقيمين الأوائل، وقد تبين فوراً أن هذا المخطط لا يكفي، وما عقّد الوضع كثيراً، أن العرب لم يكونوا يتصورون أي تجمع للسكن خارج نطاق العشيرة والقبيلة، كما أدى هذا إلى إدخال التحويرات والتنقلات

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479 – 480.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص 68.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.

والمبادلات في مستوى العشيرة والقبيلة، فإذا ما تكاثر المهاجرون الجدد المتمـون إلى عشيرة أو مجموعة من العشائر المـستقرة سـابقاً، فـإنهم يجـذبون إلـيهم أبنـاء عمومتهم الذين يتخلون عن دُورهم ويلحقون بهم حيـث يقيمـون، أي خـارج مجال الخطط، وربما في الفجوات الكبيرة، وهذا حـصل نتيجـة اسـتحالة توسـيع مجال السكان في المخطط، وذلك لضيق عرضه وتفرعـه إلى قطـائع وخطـط غـير قابلة للإتساع وكذلك نسق الطرق[1].

ومن بين الذين وفدوا على الكوفة قوم من الأزد لم تكن لهم خطة خاصـة بهم، فوجدوا فسحة تقع بـين بجيلـة وكنـدة فنــزلوها، كـذلك لم تـستطع قبيلـة همذان أن تجد مكاناً لها فتفرقت مساكنها بين خطط القبائـل الأخـرى، وحينمـا نزحت قبيلة تميم وبكر إلى الكوفة سكنت خططاً في أطـراف المدينـة [2]، وعلـى الرغم من أن أبا الهياج حاول وضع حل لهذه الإشـكالية، حيـث تـشير الروايـة التاريخية: " فلما ردفتهم الـروادف، البـدء والثنـاء وكثـروا علـيهم ضـيق النـاس المحال، فمن كانت رادفـته كثيرة شخص إليه وتـرك محلتـه، ومـن كانـت رادفتـه قليلة أنزلهم منازل من شخص إلى رادفتهم، لقلته إذا كـانوا وإلا وسـعوا علـى روادفهم وضيقوا على أنفسهم "[3].

إلا أن تدفق القبائل العربية على الكوفة بشكل كبير، كان عائقـاً أمـام أي حلول قد تعالج هذه الإشكالية فكان لا مناص من إيجاد مخطط جديد للمدينـة، بديلاً للأعشار يكون أكثر استيعاباً وتنظيماً للسكان.

---

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 137.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص165.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.

- **مرحلة تخطيط المدينة إلى أسباع:** طلب سعد من الخليفة عمر t أن يأذن له بأن يعيد النظر في خطط المدينة، وأن يدخل بعض التعديلا ت عليها[1]، فوافق على ذلك، فأرسل سعد إلى قوم من نساب العرب، وذوي رأيهم وعقلائهم، منهم سعيد بن نمران [*]ومشعلة بن نعيم، فعدلوهم عن الأعشار، فجعلوهم أسباعاً [2]، وصارت هذه الأسباع موزعة على القبائل، لكل قبيلة ومن حالفها سبع، وفقاً للآتي:

- **السبع الأول:** صار من نصيب كنانة، وحلفائهم (الأحابيش)، وغيرهم من جذيلة، وهم بنوعمرو، وقيس عيلان، وكان هؤلاء أعواناً طبيعيين للولاة القرشيين، وكان عددهم قليلاً بالنسبة لغيرهم، وكانوا يسمون بأهل(العالية)[3].
- **السبع الثاني:** صار لقضاعة: ومعها غسان بن شام وبجيلة وخثعم وكندة وحضر موت والأزد[4].
- **السبع الثالث:** وخصص لكل من قبيلة مذحج وحمير وهمذان وحلفائهم وهم أيضاً من العناصر اليمنية[1].

---

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص167.

(*) سعيد بن نمران: (توفي سنة: 70هـ - 690م) بن نمر الهمذاني الناطعي: تابعي كان سيد همذان شهد اليرموك واستكتبه علي بن أبي طالب ثم ضمه إلي عبيد الله بن العباس حين ولاه اليمن، ولما صار الأمر إلي معاوية رحل إلي جرجان واختط فيها دُوراً وضياعاً ثم أقامه مصعب ابن الزبير قاضياً على الكوفة. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج 3، ص103.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص481.

(3) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص33.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص481.

- **السبع الرابع:** صار لقبيلة تميم وسائر قبائل الرباب وهوازن[2].
- **السبع الخامس:** خصص لكل من قبيلة أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب[3].
- **السبع السادس:** خصص لكل من قبيلة إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء [*] [4].
- **السبع السابع:** صار هذا السبع لقبيلة طي[*][5]. ينظر الملحق رقم(6).

إن قيام هذا النظام في التخطيط، كان له دور في تنظيم وحدات لتجنيد المقاتلة، بإمرة رؤساء ولتهم السلطة، وبوحدات لتوزيع العطاء الذي يسلم لقادة الجملة، وكانوا يسلمونهم بدورهم إلى العرفاء، وإن بداية هذا المخطط لم تبدأ من المعطيات المكانية، يعني من توزيع الخطط التي كثيراً ما كانت تتجاور فيها قبائل، لا يربط بينها ماضٍ مشترك في سكنها السابق، وكانت متباعدة جداً في عملية إنشاء الأسباع، فحصل تجمع بمقتضى علاقات النسب، كان المقصود من ذلك المحافظة على التلاحم في التجنيد والقتال، وبالتالي فإن السبع لم يحقق

(1) نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص33.

(2)الطبري: المصدر السابق، ج2، ص481.

(3) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(*) الحمراء: هم حمراء ديلم. نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص 33.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص481.

(*) طي: ولد طي بن أدت وإسمه جلهمة، يقال: سمي طي لأنه أول من طوى المناهل، ومن قبيلة طي، بنو جذيلة وهي أمهم، وهم جندب وحور. ابن دريد: المصدر السابق، ج2، ص380.

(5) نخبة من المؤلفين: المرجع السابق، ج5، ص33.

تجاوراً أو أي تقارب مكاني، إلا في بعض الأحيان، وفي بعض الأماكن ربما في الجبانات أو خارج الكوفة في نقاط التجمع، ومع ذلك تمكنت بعض القبائل الكبرى من أن تجذب إليها في خططها المكانية قبائل صغرى قريبة النسب وضعيفة العدد، على سبيل المثال كندة وحضر موت، وكذلك همذان وحمير وتميم وهوازن[1].

لم تغير الأسباع في مواقع القبائل كما تم تحديدها، بمعنى لم تغير تنظيم المجال بالكوفة، وبقيت همذان وكندة وثقيف وبجيلة ومذحج والأزد وجهينة وتميم وأسد في مواقعها الأولى[2].

يفهم من ذلك أن مخطط الأسباع لم يكن مخططاً جغرافياً مكانياً، بقدر ما كان مخططاً اجتماعياً يهدف إلى تنظيم السكان في وحدات اجتماعية، يربط كل واحد منها رباط القربى أو النسب، ويكون عليها قائد تكلفه الدولة ينظم أمورها الحربية، ويوزع العطاء بين أفرادها، وقد لعب هذا التوزيع السكاني دوراً بارزاً في رسم هيئة وطوبوغرافية المدينة لفترة غير قصيرة[3]، حيث بقيت الكوفة على هذا التقسيم حتى جاء الخليفة علي بن أبي طالب t ، بعد معركة الجمل سنة (36 هـ – 656 م)، فغير نظام قبائل الأسباع هذا، وأدمج بعض

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 233.
(2) المرجع نفسه، ص232 – 233.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص168.

القبائل التي كانت منفصلة فيما بينها، وظلت الكوفة على هذا النظام فترة من الزمن[(*)(1)].

2ـ المعالم العمرانية:

أ- الصحن:

هو: المساحة المركزية التي خصصت للمؤسسات الإدارية والمدنية الهامة في المدينة، وهذه المساحة هي نواة مخطط الكوفة، حيث تذكر الرواية التاريخية:" أن سعداً عندما وصل موضع الكوفة اختط وبنى المسجد، وهو أول بناء بالكوفة، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، ثم قام رجل في وسطه رامٍ شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من يشاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى به بين يديه ومن خلفه فأمر من يشاء أن يبني وراء موقع السهمين، فترك المسجد في مربع غلوة من كل جوانبه"[(2)]، وأحاط هذه المساحة التي تمثل صحن المسجد بخندق[(3)]، وبالتالي تم تحديد مساحة مركزية كبرى، تشمل المسجد والقصر، وهي عبارة عن: مكان القيادة وتجمع الناس[(4)].

- **مساحته:** بعدما تم تحديد موضع المسجد، استُدعي الرامي في وسط المسجد المحدد شرعاً وأطلق القوس في اتجاهات أربع مطابقة تقريباً للجهات

(*) ظلت خطط الأسباع في الكوفة حتى زمن ولاية زياد بن ابيه عليها سنة (50هـ - 670م)، حيث نقض نظام الأسباع وغيره إلى أرباع ولم يعتمد زياد في عمله هذا على النسب أو الحلف بين القبائل في كل ربع. نخبة من الباحثين العراقيين: المرجع السابق، ج5، ص33.

(1) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.

(3) الخربوطلي: المرجع السابق، ص305.

(4) جعيط: المرجع السابق، ص 92.

الجغرافيـة، وبـذلك تحـددت مـساحة مربـع الـشكل ضـلعها غلوتـان، والغلـوة هي:(مسافة رمية السهم)، وقد أصبحت قياساً يعادل(240 متراً)، فيكون ضـلع المربـع مـساوياً(480 مـتراً)، أي مـا يقـارب نـصف كيلـو مـتر وتـساوي مساحته(230400 متر مربع) أي (23.4 هكتاراً) بالضبط [1].

- **أهميته:** يعد الصحن أهم المعالم العمرانية في الكوفة، كونه يمثل المساحة المركزية للمدينة، حيث يضم المسجد الجامع، وما يمثله مـن أهميـة دينيـة، فـضلاً عن ذلك مثّل الـصحن مركـز الإدارة الـسياسية بوجـود دار الإمـارة في محيطـه، وكذلك مثـل الـصحن المركـز التجـاري للمدينـة عنـد تأسيـسها، حيـث يـذكر الطبري: " فكان الصحن على حاله زمان عمر كله لا تطمع فيه القبائل ليس فيـه إلا المسجد والقصر والأسواق من غـير بنيـان ولا أعـلام "[2]، فـضلاً عـن هـذه المؤسسات الهامة التي احتواها الصحن، مثل الصحن المركـز الـذي امتـدت منـه شوارع (المناهج)مخطط المدينة، حيث امتدت منه خمسة شوارع في اتجاه الـشمال و أربعة في اتجاه الجنوب، وثلاثة في اتجاه الشرق، ومثلها في اتجاه الغرب[3].

وكانت هذه الطرق هي أساس التوزيع القبلي على مخطط المدينـة، حيـث مثلت هذه الطرق تقسيمات المخطط وتنظـيم سـكانها[4]، وقـد أحـيط الـصحن بخندق فوراً لكي لا يقع اقتحامه ببناية مـا، وبـذلك اكتـسب مناعـة مقدسـة[5]، وقد ظل الصحن على هذه الحال زمن الخليفة عمر t ، وفي زمن الخليفة عثمان

---

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 93.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص280.
(3) عثمان: المرجع السابق، ص68.
(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص165.
(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 374.

t بدأ البنيان بجتاحه عن طريق تخصيص بعض الإقطاعات لبعض الصحابة والمتنفذين من قبل الخليفة عثمان t ، ومنها دار الوليد بن عقبة، بُنيت خلال ولايته على الكوفة، وكذلك دار عمرو بن حريث[*]، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري وغيرهم، وكانوا جميعاً من القرشيين أو من الصحابة، بمعنى أنهم كانوا يدعون الناس إلى اعتناق الإسلام، وكانوا رسلاً لحكام المدينة، يميلون في اتجاه المركز ويعيشون خارج الخطط الجماعية[1].

ب- دُور الكوفة:

بُنيت دُور الكوفة كبقية المرافق العمرانية باللبن بعد مرحلة البناء بالقصب، وقد توزعت هذه الدُور السكنية في الخطط القبلية للمدينة وسار سكان الكوفة في بناء دُورهم على أوامر الخليفة عمر t بخصوص بناء الدُور السكنية وهي الأوامر نفسها التي سار عليها سكان البصرة في بناء دُورهم في المرحلة الأولى من البناء [2].

ظل اقتصار بناء الدُور السكنية على الخطط القبلية ولم يتم اقتحام حرمة الصحن الذي خصصت مساحته للمرافق العامة ولم تبنى فيه الدُور السكنية طيلة خلافة عمر t ، وتؤيد ذلك الرواية التاريخية السابقة التي أوردها الطبري في هذا السياق حيث نفت اقتحام الصحن طيلة تلك الفترة[3]، في حين أن

(*) عمرو بن حريث: (2 ق – هـ - 85 هـ = 620 ـ 704 م) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي أبو سعيد: وال من الصحابة ولي إمارة الكوفة لزياد ثم لإبنه عبيد الله ومات بها. الزركلي: المصدر السابق، ط 11، ج5، ص76.

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 119 – 120.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.

(3) المصدر نفسه، ص480.

اليعقوبي يذكر: "أن الخليفة عمر t أقطع بعض الصحابة اقطاعات لبناء دُورهم السكنية داخل الصحن منذ بداية التأسيس"[1].

لا ريب أن تجاوزات حرمة الصحن قد وقعت، بمنح اقطاعات منحت للأفراد ولم تمنح للقبائل أبداً ولم يحدث ذلك في بداية التأسيس قطعاً ولم يفعل ذلك الخليفة عمر t يقيناً لكن لعل بعض ولاته في نهاية خلافته قاموا بذلك بصورة استثنائية، لقد بُنيت دُور سكنية في بداية الصحن وهو أمر ثابت ومنها: دار الوليد بن عقبة ولعلها بنيت خلال ولايته على الكوفة (25-30هـ/ 645- 650م) في خلافة عثمان t ، فضلاً عن ذلك فقد اختط عبد الله بن مسعود وطلحة ابن عبيد الله وعمرو بن حريث وأسامة بن زيد دُورهم حول المسجد، كذلك اختط خالد ابن عرفطة وخباب بن الأرث[*] والحارث بن أبي ضرار [*] وعمارة بن روبية التميمي[*] دُورهم داخل نطاق الصحن[2].

---

(1) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب: كتاب البلدان، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت 1988 م، ص 75.

(*) خباب بن الأرث (توفي سنة: 37 هـ - 657 م).خباب بن الأرث بن جندلة بن سعد التميمي، أبو يحي أو أبو عبد الله: صحابي من السابقين قيل: أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر إسلامه، كان في الجاهلية قيناً يعمل السيوف بمكة ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه فصبر إلى أن كانت الهجرة ثم شهد المشاهد كلها فنزل الكوفة فمات فيها وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج2، ص 301.

(*) الحارث بن أبي ضرار: وهو حبيب بن عائد بن جذيمة وهو المستلق بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي المستلقي، أبو جويرية زوج النبي. ابن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص 617.

(*) عمارة بن رويبية التميمي: وهو عمارة بن رويبية الثقفي من بني جشم من ثقيف. المصدر نفسه، ج4، ص 131.

(2) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 74.

عموماً لقد تعددت دُور الكوفة السكنية وتفنن أهلها في البناء فبنى طلحة بن عبيد الله داره بالآجر [*] والجص[*] والساج [*] [1].

ج- شوارع الكوفة:

سار تخطيط شوارع الكوفة على نفس نمط تخطيط شوارع البصرة، حيث مثلت المناهج والدروب أساس التقسيم الطوبوغرافي للمدينة [2]، حيث توزعت المحلات القبلية على جانبي هذه المناهج وفيما بينها [3]، تسمح لكل قبيلة بالتحول لمركز المدينة عبر طريق خاصة بها [4].

نظراً لما تمثله الشوارع والسكك من أهمية في تخطيط المدن الإسلامية كتب الخليفة عمر t كتاباً إلى سعد الذي سلمه إلى أبي الهياج بخصوص الطرق والدروب وبالفعل فقد التزم أبو الهياج بهذه الوصية في تنظيم شوارع الكوفة[5].

(*) الآجر: طين مطبوخ وهو من أهم المواد التي استعملت في البناء وما زالت في كل البلاد الإسلامية وخاصة الأماكن التي يعزى فيها الحجر. غالب: المرجع السابق، ص 27.

(*) الجص: ويسمى أيضا القسة والجبس وهو من مواد البناء، استعمل حجارة بعد تعريضة للحرارة في أماكن خاصة تسمى الجصاصات، ويذاب مسحوقاً في الماء وتطلى به الأبنية من الداخل والخارج. المرجع نفسه، ص 120.

(*) الساج: نوع من الخشب شديد القساوة لا تكاد الأرض تبليه عظيم الشجر. المرجع نفسه، ص 217.

(1) الخربوطلي: المرجع السابق، ص305 – 306.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 166.

(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 75.

(5) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 479.

فكان عرض المناهج أو الطرق الرئيسية أربعون ذراعاً، وما دونها ثلاثـون ذراعاً، وما بين ذلك عشرون ذراعـاً وسـعة الأزقـة وهـي : (الـدروب الـضيقة) سبعة أذرع [1]، ومن أهم هذه الطرق:

- الطريق الذي يربط المسجد الجامع بدار الإمارة:

لما تمثله منطقة مركز المدينة من أهمية، فقـد جعـل سـعد بـن أبـي وقـاص وأبو الهياج عرض الطريق الفاصـل بـين المـسجد الجـامع ودار الإمـارة قبـل أن تنقل بجوار المسجد مائتي ذراع [2].

- المناهج الرئيسية:

امتدت هذه الشوارع الرئيسية من المنطقـة الـتي تمثـل مركـز المدينـة حيـث تفرعت من هذه المنطقة خمسة شوارع باتجـاه الـشمال وأربعـة في اتجـاه الجنـوب وثلاثة في اتجاه الـشرق ومثلـها في اتجـاه الغـرب [3]، وقـد مثلـت هـذه المنـاهج أساس التخطيط السكنى للمدينة حيـث توزعـت خطـط القبائـل عليهـا وكـان لمعظم المحلات القبلية منهج خاص بها يؤدي إلى مركز المدينة (الصحن) [4].

- الشوارع الثانوية والفرعية:

تذكر الرواية التاريخية: أن الشوارع الثانوية كانت تـسير موازيـة للمنـاهج الرئيسية وأحياناً متقابلة معها، ثم يلي ذلك الـشوارع الفرعيـة الـتي كانـت أقـل

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(3) جعيط: المرجع السابق، ص 122.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 480.

اتساعاً وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية، وجعلت هذه الطرقات من وراء الصحن " [1].

د- الرحبة:

الرحبة ظاهرة مدنية عادية تتمثل في ترك فضاء أمام البنايات العامة كالمسجد ودار الإمارة بمعنى المكان اللذان يشتركان فيه.

ورحبة الكوفة كانت مساحة فضاء داخل محيط الصحن خصصت للاجتماعات والاستعدادات العسكرية وهي ملاصقة للقصر والمسجد من جهة اليمين في اتجاه القبلة[2]، وقد أورد الطبري نصاً يوضح فيه موقع الرحبة من المسجد بعد نقله حيال دار الإمارة حيث ذكر: " ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر يمينه على القبلة ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب t والرحبة قبلته " [3]، وقد ارتبطت الرحبة باسم الخليفة علي بن أبي طالب t لأنه كان يسكن فيها في بيت من قصب لأنه ترك القصر مدة، و ليس لأنه أسس الرحبة التي كانت سابقة له [4].

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 122.
(2) المرجع نفسه، ص 107.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 480.
(4) جعيط: المرجع السابق، ص 107.

ثالثاً: المسجد الجامع ودار الإمارة:

1ـ المسجد الجامع:ـ

يعد المسجد الجامع في الكوفة، ثاني المساجد الجامعة التي أسسها المسلمون خارج شبه الجزيرة العربية بعد مسجد البصرة [1]، فكان طراز تخطيطه شبيهاً به[2]، وكان المسجد الجامع أول معلم خط فيها[3]، تعبيراً عن فكرة الجماعة وتمثيلاً لدعوتها، وإيحاءً بالذي تهاجر من أجله[4]، رغبة في إضفاء الصبغة الإسلامية على المدينة[5].

أ- موقعه:

تتفق معظم المصادر التاريخية على أن المسجد الجامع بُني في وسط المدينة، وهو المركز الذي انطلقت منه خططها، فكان مكانه في "موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق"[6]، وتذكر الرواية التاريخية:" أنه قد تم تحديد

---

(1) الخربوطلي: المرجع السابق، ص 278.
(2) عبده: المرجع السابق، ص143.
(3) الجنابي، طارق جواد: مدخل لدراسة المساجد الجامعة في العراق، مجلة آثار العرب، العدد5، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته - ليبيا - سبتمبر 1992 م، ص 60.
(4) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية الخلافة الرشيدة)، ص 541.
(5) سالم، السيد عبد العزيز: بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ط1، دار الغرب الإسلامي، القاهرة 1992 م، ص7.
(6) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.

مكان بنائه عن طريق استدعاء رامٍ رمى في كل اتجاه وأعلم على موقعه، ثم وضع مكان المسجد في المساحة التي بداخل هذه العلامات" [1].

غير أن هناك تبايناً واختلافاً في المصادر التاريخية، في عملية استدعاء الرامي وتحديد ساحة بناء المسجد عن طريقه، هل كان استدعاء الرامي في المرحلة الأولى عند نزول المسلمين الكوفة، أم في المرحلة الثانية عند بنائها باللبن أو أن استدعاءه تم في المرحلتين فهناك رواية تاريخية تذكر:" أن استدعاء الرامي كان في المرحلة الأولى عند نزول المسلمين الكوفة، والذي استدعاه هو سعد بن أبي وقاص" [2]، في حين أن هناك رواية ثانية تذكر:"أنه تم استدعاء الرامي في المرحلة الثانية والذي استدعاه أبو الهياج" [3].

والراجح أن استدعاء الرامي كان في المرحلة الثانية، كون أن المرحلة الأولى كانت مرحلة عدم ثبات في البناء، سواء الخيام أو القصب، فضلاً عن ذلك البساطة في البناء، فهذه المرحلة لا تحتاج إلى هذه الدقة في تحديد مواضع المرافق، كونها لا تتصف بثبات البناء، بعكس مرحلة البناء باللبن التي تتصف بثبات الموقع والبناء، والتي تحتاج إلى دقة في التخطيط ومراعاة التطورات التي قد تحدث على مخطط المدينة في الفترات اللاحقة، وقد يكون استدعاء الرامي تم كذلك في المرحلة الأولى، وثبُت موضع المسجد بحفر الخندق الذي كان محيطه الداخلي معلماً واضحاً لساحة المسجد.

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 388 – 389.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص 75.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.

ب- بناؤه بالقصب:

كان المسجد الجامع في أول بنائه، مسجداً بسيطاً مبنياً بالقصب كغيره من مباني الكوفة [1]، في هذه المرحلة التي عرفت بعدم ثبات البناء مع ثبات الموقع، حيث تذكر الرواية التاريخية:" أن مباني الكوفة كانت أخصاصاً من قصب، إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها، فإذا عادوا بنوها فقد كانوا يغزون ونساؤهم معهم"[2].

غير أن البعض يذكر: "أن عملية الهدم وإعادة البناء هذه لم تكن تشمل المسجد الجامع، على اعتبار أن هذه العملية لا تعني إخلاء الموضع نهائياً من السكان الآخرين " [3]، وكان بناؤه كمسجد البصرة فضاءً مربعاً مكشوفاً تحيط به أسوار من القصب [4].

ج- بناؤه باللبن:

بعد حادثة الحريق أعيد بناء المسجد الجامع باللبن كغيره من مرافق ودُور الكوفة، حيث بدأ أبو الهياج الأسدي مخطط المدينة في إعادة تخطيط المسجد، حيث حدد مساحته عن طريق الرامي[5]، فكانت مساحة المسجد الداخلية تستوعب عدد المقاتلين فذُكر: أن الخليفة عمر t كتب إلى سعد" أن اخطط

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 388 – 389.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص161.
(4) الخربوطلي: المرجع السابق، ص278.
(5) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص 75.

موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم "، فخط على أربعين ألف إنسان[1]، فكان طول كل ضلع من الأضلاع التي يشكلها المسجد، يساوى قرابة(110 من الأمتار)[2]، حيث ذكر الطبري في سياق ذلك:

" فترك المسجد في مربع غلوة [*] من كل جوانبه، وبنى ظلة في مقدمته ليس لها مجنبات ولامواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا "[3]، فكانت مساحته مربعة الشكل في محيط مربع أوسع منه، وهو الصحن الذي أحيط بخندق فوراً [4]. ينظر الملحق رقم (7).

د- نقل المسجد بجوار دار الإمارة:

نقل المسجد الجامع من موضعه الأول بعد حادثة السرقة التي تعرض لها بيت المال، حيث يورد الطبري في نقل المسجد:" ثم إن بيت المال نقب أعلاه نقباً وأخذ من المال، وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت الأموال من الصحن، مما يلي ودعة الدار فكتب إليه: أن أنقل المسجد حتى تضعه إلى جانب الدار واجعل الدار قبلته، فإن للمسجد أهل بالنهار وبالليل، وفيهم حصن لمالهم فنقل المسجد وأراغ[*] بنيانه " [5].

---

(1) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.
(2) جعيط: المرجع السابق، ص 93.
(*) غلوة: الغاية مقدار رمية. الرازي: المصدر السابق، ص 480.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.
(4) جعيط: المرجع السابق، ص 94 – 95.
(*) أراغ: الرغاء: صوت ذوات الخف وقد (رغأ) البعير يرغو (رغاء) بالضم والمد أي ضج وتراغت الإبل إذا رغأ واحد هنا وواحد هنا. الرازي: المصدر السابق، ص249.
(5) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.

فأصبح المسجد ملاصقاً للقصر على يمين جهة القبلة[1]، ثم مد به عن يمين ذلك فكانت الرحبة قبلته، ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر[2]، فأصبح المسجد يلاصق القصر (دار الإمارة)، وشكلا بنايتين متلاصقتين [3]. ينظر الملحق رقم (8).

أصبح الموضع الأول للمسجد بعد ذلك جانباً من السوق، ويكون من نصيب باعة الصابون والتمر، وهذا ما يفسر العبارة التي أوردتها الرواية التاريخية والتي تقول: "فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على بناء المسجد فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق "[4].

بُني المسجد في مكانه الجديد بمقاساته السابقة، حيث لم ترد في المصادر التاريخية أن سعد غير في مساحة المسجد بعد نقله، حيث لم يزد في مساحته إلا بعد زمن الخلافة الراشدة [5]، وقيل: إن المغيرة بن شعبة قد وسع فناءه زمن ولايته على الكوفة سنة (22 -24هـ/ 642-644 م)[6].

وقام ببناء المسجد في موضعه الجديد بناءون من الفرس[7]، حيث قيل: "أن سعداً عندما أراد بناء المسجد في موضعه الجديد، قال له دهقان من أهل همذان يقال له: روزبة ابن برزجهر: أنا أبنيه لك وأبني لك قصراً فأصلهما

---

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص164.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.

(3) جعيط: المرجع السابق، ص 99.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.

(5) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.

(6) سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 273.

(7) حسن: المرجع السابق، ص 518.

ويكون بنياناً واحداً"[1]، فبُنيت له ظلة في مقدمته على أساطين[*] من الرخام من بناء الأكاسرة في الحيرة[2]، وكان طول هذه الظلة مائتا ذراع نحو (108 أمتار) [3].

فكان تخطيط المسجد الجامع في زمن سعد من مساحة مربعة تنقسم إلى: صحن وظلة للقبلة، عبارة عن: سقف على أعمدة رخامية ويماثل هذا التخطيط تخطيط مسجد البصرة في زمن أبي موسى الأشعري (17 -25هـ / 638 - 645م)، وهو التخطيط الذي يمثل طراز هذه الفترة من الحضارة الإسلامية العمرانية، ويتفق وتخطيط المسجد النبوى بالمدينة المنورة في مرحلته الأولى قبل تحويل القبلة [4].

مساجد أخرى:

فضلاً عن المسجد الجامع بُنيت العديد من المساجد الصغرى، التي توزعت في خطط المدينة، حيث كان لبعض القبائل والعشائر مساجد واقعة تحت نطاق مخططها القبلي ومن بين هذه المساجد:

- **مسجد السهلة:** يعرف بمسجد ظفر[5]، ويقع في خطة عبد القيس في أقصى الشمال الغربي من المدينة [1].

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.

(*) أساطين: جسم اسطواني الشكل كالعمود الدائري المسقط وقد تكون هذه الإسطوانة من حجر أو آجر أو رخام أو أي مادة متماسكة صالحة للبناء. غالب: المصدر السابق، ص 50.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 374.

(3) جعيط: المرجع السابق، ص 101.

(4) عبده: المرجع السابق، ص144.

(5) الهمذاني: المصدر السابق، ص210.

- **مسجد بني مهذلة:** نسب إلى: الجعذ مولى همذان[2].
- **مسجد السماك:** منسوب إلى: سماك بن مخزمة بن حمين الأسدي[3].
- **مسجد بني عنز:** ينسب إلى: بني عنز بن وائل بن قاصد[4].
- **مسجد بني جذيمة:** ينسب إلى: بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دوادن ابن أسد، ويقال: إلى بني جذيمة بن رواحة العبسي[5].

2ـ دار الإمارة:

دار الإمارة ثاني المرافق العمرانية التي بُنيت بالكوفة بعد المسجد، وكانت تعرف في بداية بنائها بقصر سعد، حيث كانت مقراً له ومركز تسيير أمور الإمارة، وفيها بيت المال [6].

أ- موقعها:

بُنيت في محيط صحن المسجد، حيث تذكر الرواية التاريخية: "لم يكن في الصحن بناء غير بناء المسجد ودار الإمارة عند بداية بناء المدينة "[7]، وكان

---

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 246.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 399.
(3) الهمذاني: المصدر السابق، ص218.
(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(5) البلاذري: المصدر السابق، ص 300.
(6) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص163.
(7) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.

موقعها في الصحن من الناحية الجنوبية قبلة المسجد الجامع، وكان يفصلها عنه طريق عرضها مائتا ذراع[1]، وذلك قبل نقل المسجد من موقعه الأول، وبعد نقله أصبح مجاوراً لدار الإمارة والتي كانت قبلته[2].

ب- بناؤها بالقصب: -

كان بناء دار الإمارة بناءً بسيطاً في المرحلة الأولى للبناء، حيث كانت كالمسجد وبقية المرافق مبنية بالقصب، وعلى الرغم من عدم ثبات البناء في هذه المرحلة ظل موقع دار الإمارة ثابتاً [3].

ج- بناؤها باللبن:

بعد حادثة الحريق بُنيت دار الإمارة باللبن بعد أن اختطت وأصبحت بناءً ثابتاً في موضعها السابق من الصحن قريبة من السوق، ويُذكر: "أن شكل بنائها كان مربعاً بقياس مائة وأربعة عشر متراً على مائة وأربعة عشر متراً" [4].

لقد بقي وضع دار الإمارة هكذا فترة من الزمن إلى أن وقعت حادثة سرقة بيت المال، حيث أعيد بناؤها عندما عرض روزبة بن برزجمهر على سعد أن يبني له المسجد، وكذلك دار الإمارة (القصر) ويصلهما ببعضهما ويكونا بنياناً واحداً، حيث تذكر الرواية التاريخية: "أنه خط قصر الكوفة على ما خط

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 374.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.
(3) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص491.
(4) جعيط: المرجع السابق، ص 102.

عليه وبناه بآجر، أخذه من أنقاض قصر كـان للأكاسـرة بـضواحي الحـيرة" [1].
ينظر الملحق رقم (8).

رابعاً: المنشآت العامة:

1ـ السوق:

كان السوق عنصراً أساسياً في المساحة المركزيـة (الـصحن)، وكـان محيطـاً بالمعالم الموجودة المتكونة من المسجد والقـصر، وقـد أيقـن مخططـو الكوفـة منـذ البداية أن السوق عنصر مهم في الحيـاة الإجتماعيـة، ولهـذا جعلـوه جـزءاً مـن المساحة العامة.

أ- موقعـه: يقـع شمـال المـسجد وشـرقيه، حيـث كـان محيطـاً بواجهتـه الشمالية وجزءاً من واجهته الشرقية، وغـير بعيـد عـن زاويـة القـصر الـشمالية الشرقية[2]، وما تضايق سعد في دار الإمارة من غوغاء الـسوق إلا دليـل علـى جوار السوق لدار الإمارة، ويتضح ذلك من روايـة ذكرهـا ابـن كـثير مفادهـا: " بنى سعد قصراً قريباً من السوق فكانت غوغاء الناس تمنع سـعداً مـن الحـديث فكان يغلق بابه ويقول سكن الصويت" [3].

ب- طبيعته:

لم ينشأ السوق كإفراز لحاجات التبادل والاستهلاك في المدينـة، أي نـشوءاً عفوياً بل كان وجوده إرادياً محدد الموقع، وهي على سنة المـساجد مـن سـبق إلى

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.
(2) جعيط: المرجع السابق، ص 112.
(3) ابن كثير: المصدر السابق، ج 7، ص 75.

مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه[1]، وهذا يوضح انعدام التنظيم في الفترة الأولى من تأسيس الأسواق، ولم يتم تحديد أماكن الباعة والتخصص في الأسواق في هذه الفترة المبكرة [2]، ويتضح من الرواية التي ذكرها الطبري:" أن الأسواق عند تأسيس الكوفة كانت في منطقة الوسط وأنها كانت عبارة عن ساحة فضاء بدون بنيان ولا أعلام " [3]، ولم يكن بها إلا ظلل عملت لتظل البائعين في أماكنهم التي اختاروها [4].

بقي سوق الكوفة على هذه الهيئة فترة من الزمن حتى تطور وتوسع، وأصبح مجموعة أسواق موزعة توزيعاً حرفياً، أو حسب البضائع والتجارات[5]، وما ذكرته الرواية التاريخية أن موضع المسجد الأول صار موضع باعة الصابون والتمارين[6]، دليل على التخصص في الأسواق في الفترة اللاحقة.

2ـ **الأرى**[*]:

هو عبارة: عن مرعى عمومي، بمعنى أن الدولة تملكه وتشرف عليه، وهو مخصص لخيل الجيش التي هي ملك للدولة، وقد روي:"أنه توفرت أربعة آلاف فرس في خلافة عمر t ، كانت عدة لقتال محتمل كان يشتيها في قبلة قصر

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.
(2) جعيط: المرجع السابق، ص 115.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص480.
(4) عثمان: المرجع السابق، ص68.
(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص115.
(6) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص479.
(*) الأرى: قولهم للمعلف أرى، وإنما (الأرى) محبس الدابة. الرازي: المصدر السابق، ص14.

الكوفة وميسرته، ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الأرى إلى اليـوم، ويربعهـا فيما بين الفرات والأبيات من الكوفـة ممـا يلـي العـاقول[*]، فـسمته الأعـاجم (آخر الشاه جان) يعنون معلف الأمراء [1]، وهـو مـن ضـمن المـساحة المركزيـة (الصحن)، يقع جنوب القصر والمسجد، وهو مقسم إلى: قـسمين في الـزاويتين الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية من الصحن [2]. ينظر الملحق رقم (8).

3ـ الحمامات:

لم تكن مساهمة الحمامات أقل من ذلك في رسم المظهر الحـضري ووتـيرة الحيـاة في الكوفـة، كمـا في البـصرة وبالتـالي في كـل مدينـة إسـلامية، كانـت الحمامات موروثة عن الـساسانيين ولعلـهم اقتبـسوها بـدورهم مـن الحمامـات الرومانية، وقد ظهرت الحمامات بعد مدة طويلة، تلك المدة اللازمة كـي تـدخل الممارسات التعبدية أعماق المجتمع وتندمج في الحيـاة اليوميـة، وينـسجم مجهـود الابتكار والتنظيم مع احتياجات الكيان الاجتماعي، وإلى أن استوعبت النمـاذج الخارجية للحضارة، وقد طابقت بالخصوص شعائر الوضوء[3].

لقد مرت حمامات الكوفة بمراحـل التطـور الـتي مـرت بهـا سـائر مرافـق وعمائر المدينة، حيث كانت في بداية إقامتها بسيطة البناء والفـروع ثـم تطـورت وأصبحت تلعب دوراً اجتماعياً مهماً، ولقـد خـضعت حمامـات الكوفـة لـنفس النظم التي خضعت لها حمامات البصرة من قبل مركز الخلافة في المدينة المنورة.

(*) العاقول: يقع شمالي الكوفة من جهة الفرات وخارج محيط المدينة. جعيط: المرجع السابق، ص116.

(1) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص483.

(2) جعيط: المرجع السابق، ص 116.

(3) المرجع نفسه، ص295.

أِهم حمامات الكوفة:-

أ- حمام أعين:

نسب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص[(1)]، وكان من الحمامات الموجودة خارج الكوفة، وهو يقع بين رافدي الفرات على طريق المدائن وخراسان[(2)].

ب- حمام عمر:

نسب إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص[(3)]، وهو ثاني الحمامات الموجودة خارج الكوفة، وهو قريب من حمام أعين وهو يقع بين قصر ابن هبيرة وقبين[(*)][(4)].

ج- حمام عمر بن حريث:

ويقع جهة خطط الشمال، وكان يتزود بالماء من نهر بني سُليم[(5)].

د- حمام قطن بن عبد الله:

ويقع جهة خطط الشمال وكان قريباً من جبانة السبيع[(6)].

هـ- حمام المهبذان:

وكان يقع في السبخة[(7)].

---

(1) الهمذاني: المصدر السابق، ص216.

(2) جعيط: المرجع السابق، ص 295.

(3)البلاذري: المصدر السابق، ص 395.

(*) قبين: اسم أعجمي لنهر وولاية بالعراق. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص309.

(4) جعيط: المرجع السابق، ص 296.

(5) المرجع نفسه، ص 295.

(6) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

4ـ الصحارى:ـ

هي بديل عن الجبانة اليمنية وتقليداً لها وهـذا اللفـظ استعمل في شمـال بلاد العرب فالاسم منحدر من العصر الجاهلي على هـذه المؤسـسة وانتقـل إلى الكوفة فجميع المقابر التي أطلق عليها جبانات هي للجماعات اليمنيـة مـا عـدا جبانتي أثير(*)وسالم فهما للقبائل الشمالية: قـيس ومـضر وربيعـة ويطلـق عليهـا تسمية جبانة تارة وصحراء تارة أخرى فكانـت الـصحارى كلـها ملكـاً للقبائـل الشمالية[1].

فضلاً عن وظيفتها في دفن الموتى كانت الـصحراء مخصـصة للاحتفـالات والمظاهر والتظاهرات الاجتماعية وهي أصغر مـن الجبانـات وجـدت في بعـض المحلات القبلية في الأرض التي لا تُنبت أي نبات[2]، وهذه الصحارى هي:

- صحراء شبت(*): وتقع في خطة تميم[3].

(*) أثير: أثير بن عمرو السكوني الطبيب الكوفي: يعرف بابن عمريا وهو الـذي قـام بالعمليـة الجراحية لعلي بن أبي طالب في دماغه ياقوت: المصدر السابق، ج 1. ص93.

(1) جعيط: المرجع السابق، ص 309.

(2) المرجع نفسه، ص 310 – 311.

(*) شبت: (توفي سنة: 70 هـ - 690 م). شبت بن ربعي التميمي اليربوعي أبو بدالقدوس: شيخ مضر وأهل الكوفة في أيامه أدرك عـصر النبـوة ولحـق بـسجاح المتنبئـة ثـم عـاد إلي الإسلام وثار على عثمان وكان ممن قاتل الحسين ثم وُلي شرطة الكوفة وخرج مـع المختـار الثقفي ثم انقلب عليه وأبلى في قتاله بلاءً حسناً. الـزركلي: المـصدر الـسابق، ط11، ج 3، ص 154.

(3) البلاذري: المصدر السابق، ص 398.

- صحراء بني قرار: نُسبت إلى: بني قرار بن ثعلبة بن مالك بن خرب بن طريف بن نمر ابن يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار[1].

- صحراء البردخت: نسبت إلى: البردخت الشاعر الضبي [2].

- صحراء عبد القيس: وتقع في خطة ربيعة [3].

- صحراء بني عامر [4].

5ـ الجبانات:

تعددت الجبانات في الكوفة، حيث كانت لكل قبيلة مقبرة خاصة بها بالقرب من مخططها، وهذا على عكس البصرة حيث كانت في البصرة مقبرة واسعة عامة مع وجود بعض المقابر الصغرى المسماة بأسماء أشخاص[5]، إن وجود هذه المقابر القبلية في الكوفة كان سببه أن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها، أي أن الأمر كان متروكاً لحرية تصرف اختيار القبيلة، ولهذا جعلت كل قبيلة في خطتها ساحة فضاء لتكون جبانة خاصة بها [6].

---

(1) المصدر نفسه، ص 394.
(2) الهمذاني: المصدر السابق، ص 218.
(3) جعيط: المرجع السابق، ص 309.
(4) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 75.
(5) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 108.
(6) عثمان: المرجع السابق، ص68.

لقد لعبت جبانات الكوفة دوراً هاماً في الحياة السياسية، حيث كانت القبائل تتخذها مركزاً للتجمع عند الأحداث الكبرى، ومكاناً لتجهيز مقاتلي القبيلة عند الخروج للقتال[1]، **أشهر جبانات الكوفة:**

أ- جبانة السبيع: نُسبت إلى: والد السبيع بن سبع بن مصعب الهمذاني[2]، وهي تقع في الشمال ملكاً لقبيلة همذان[3].

ب- جبانة عرزم: نُسبت إلى: رجل يقال له: عرزم، كان يضرب فيها اللبن، ولبنها رديء فيه قصب وخزف[4]، وكانت تقع غرباً وهي في خطط عبس[5].

ج- جبانة سالم: نُسبت إلى: سالم بن عمار من بكر بن هوازن[6].

د- جبانة بشر: نُسبت إلى: بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن عمير الخثعمي[7]، وهي تقع في الشمال في خطة بجيلة حيث أقامت خثعم وهي تابعة لهذه القبيلة[8].

---

(1) العلي: خطط البصرة ومنطقتها، ص 108.
(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 394.
(3) جعيط: المرجع السابق، ص 299.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص 395.
(5)جعيط: المرجع السابق، ص 302.
(6) الهمذاني: المصدر السابق، ص218.
(7) البلاذري: المصدر السابق، ص 395.
(8) جعيط: المرجع السابق، ص 299 – 300.

هـ- **جبانة أثير:** نُسبت إلى: رجل من بني أسد يقال له: أثير[1]، وهي تقع إلى الجنوب الغربي من خطة أسد، وتعرف جبانة أثير كذلك بصحراء أثير[2].

و- **جبانة كندة**: تقع في الجنوب وهي تابعة لكندة[3].

ز- **جبانة الصائديين:** تُنسب إلى: عشيرة الصائديين من قبيلة همذان[4]، وهي تقع في الجنوب الشرقي[5].

---

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 394.
(2) جعيط: المرجع السابق، ص 301 – 302.
(3) المرجع نفسه، ص 299
(4) ابن دريد: المصدر السابق، ج2 ص 429.
(5) جعيط: المرجع السابق، ص 300.

الفصل الرابع

تخطيط الفسطاط

مدخل.

المبحث الأول: ظهور الفسطاط.

المبحث الثاني: خطط الفسطاط ومعالمها العمرانية.

الفصل الرابع

تخطيط الفسطاط

مدخل:

إن تأسيس مدينة الفسطاط فرضته ظروف حربية عاجلة هي حرص الخليفة عمر بن الخطاب t على سلامة جيش المسلمين، مما منع من اتخاذ الإسكندرية مستقراً للمسلمين على الرغم من رغبة القائد عمرو بن العاص في اتخاذها مستقراً لهم، لذلك كان هذا الاختيار أمراً غير مدبر سلفاً وغير مقصود، بل فرضته التطورات التي حصلت بعد نزول المسلمين في هذا الموضع، فسرعان ما بدأ القائد عمرو بن العاص ببناء المؤسسات الإدارية والدينية الضرورية لتلبية حاجات الحياة المدنية، وقد سار تخطيط هذه المدينة على نفس النمط الذي اختطت به البصرة والكوفة، وفقاً للضوابط التي حددها الخليفة عمر t ، فقد اختطت تخطيطاً قبلياً، حيث كلف عمرو بن العاص نفراً ممن لهم دراية ومعرفة بالأمور الهندسية وانساب العرب بالإشراف على توزيع القبائل[1]، فكانت خططها السكنية أكبر وأكثر من سابقتيها وذلك للعدد الكبير الذي توافد إليها من القبائل والتي لم يتوقف توافدها حتى بعد تخطيط المدينة مما أدى إلى شدة تلاحم المباني السكنية، مما سبب في إرباك مخططها، حيث زادت الحاجة إلى المساحات التي تتسع إلى هذه الزيادات السكانية المتتابعة فشغلت المساحات

---

(1) عبده: المرجع السابق، ص 146.

الفضاء جميعاً وتلاصقت الخطط وامتدت المباني لتضيق الشوارع الرئيسية والثانوية التي كانت ملكية عامة لم توضع لها علامات أو حدود واضحة[1].

واختلفت طبيعة الفسطاط نسبياً عن سابقاتها (البصرة والكوفة)، من حيث بنائها بجوار مناطق معمورة والرغبة القوية في الهجرة اليها باعتبارها حاضرة مصر، وكذلك الحاجة إلى تأمينها.

هذا الأمر أجبر مخططي المدينة على إسكان بعض القبائل التي توافدت على الموضع خارج مخطط المدينة فامتد عمرانها خارج حدودها الأصلية فأطلق عليه (ظاهر المدينة)[2].

ومرت الفسطاط بالمراحل نفسها تلك التى حولتها من مجرد معسكر حربي إلى مدينة ذات معايير حضارية واضحة متميزة في تكوينها الاجتماعي الذي كيف بين عناصر متباينة اجتماعياً وحضارياً وانعكست مراحل هذا التكيف بصورة أو بأخرى في تكوينات المدينة المعمارية [3].

ومع هذا التطور السريع بدأت مدينة الفسطاط تلعب دوراً مميزاً في خدمة الدولة الإسلامية مما جعلها القاعدة التي تتنقل منها جيوش المسلمين لنشر الدين الإسلامي في إفريقيا، والممول الذي تنهال منه الخيرات إلى مركز الخلافة الإسلامية،[4] وبمرور الزمن أصبحت الفسطاط تمتاز بعمارتها الرائعة التي اشتملت على الدُور الأنيقة والمساجد الفسيحة، والحمامات البهية، إضافة إلى

---

(1) المرجع نفسة، ص 71.
(2) ابن دقماق، المصدر السابق، ج 1، ص 4.
(3) عثمان: المرجع السابق، ص 69.
(4) زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 174.

ما شهدته من مرحلة متقدمة في بناء بيوت الأهالي التي كانت متكونـة مـن عـدة طوابق تبلغ أحياناً ثمانية طوابق، فضلاً عن ذلك فقد غدت مركـزاً تجاريـاً هامـاً حيث عرفت حركة تجاريـة رائجـة فتعـددت أسـواقها وحوانيتهـا وتوافـد إليهـا التجار من مختلف البلدان[1].

استمر موضع الفسطاط يلعب دور الريـادة وحاضـرة مـصر الأولى إلى أن تم تأسيس مدينة العسكر سنة (133هـ - 750م)، والتي لا تمثل مدينـة منفـصلة عن الفسطاط إنما كان موضعها متصلاً به، فقد أسست بالقرب من جبـل يـشكر الذي يمثل امتداداً طبيعياً للفسطاط، حيث نقلت المؤسسات والمنـشأت الإداريـة من الفسطاط الى موضع العسكر ثم أعقب ذلـك تأسـيس القطـائع والـتي تعـد مدينة ضمن مدينة الفسطاط أسسها أحمد بـن طولـون بعـد ولايتـه علـى مـصر والتي بدأت سنة (254هـ - 868م)، والذي سكن العسكر فى بداية ولايته ثـم بنى بجوارها القطائع سنة (256هـ - 870م)[2].

وهكذا ظلت منطقة الفسطاط تقوم بوظيفة العاصـمة لمـصر وإفريقيـا ممـا جعلها مدينـة ذائعـة الـصيت، واسـتمرت علـى هـذا النحـو إلى أن تم تأسـيس القاهرة التي بناها جوهر الصقلي زمن الخليفة الفاطمي المعـز لـدين الله(362 – 365 هــ / 972 – 975 م)، ممـا حـدا بالنـاس إلى هجرتهـا والانتقـال إلى العاصمة الجديدة وما حولها[3].

(1) شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية – عصر الولاة - الهيئة المـصرية للكتـاب، القاهرة 1994م ص 353-354.

(2) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 74-75.

(3) المرجع نفسه، ص 113.

المبحث الأول

ظهور الفسطاط

أولاً: التسمية والموقع الجغرافي:

1ـ التسمية:

الفسطاط: بيت من شعر وفيه لغات: فُسطاط وفُستاط وفُساط، وفسطاط: مدينة بمصروالفستاط لغة فيه التاء بدلا من الطاء لقولهم في الجمع فساطيط ولم يقولوا في الجمع فساتيط[1].

لقد تباينت آراء المؤرخين في تسمية الفسطاط بهذا الاسم حيث يذكر بعض المؤرخين: أن تسمية الفسطاط يقصد بها: مجتمع أهل الكورة [*]، حول مسجد جماعته يقال:"هؤلاء أهل الفسطاط"[2]، وفي الحديث: "عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط"[3]، يريد المدينة التي يجتمع فيها الناس، وكل مدينة فسطاط [4]، وهناك من يقول:"كان اسم المدينة (ليونة) فسماها المسلمون فسطاطاً لأنهم قالوا هذا فسطاط القوم ومجمعهم "[5]، ويذكر رأي آخر: "سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص، وذلك أنه

---

(1) ابن منظور المصدر السابق، ج7، ص 371.

(*) كورة: جمعها كور، تعني: مدينة – قرية – إقليم – سقع -(اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر).غالب: المصدر السابق، ص 228.

(2) ياقوت، المصدر السابق، ج 4، ص 263.

(3) العجلوني: المصدر السابق، ج1، ص 284.

(4) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 263 – 264.

(5) البلاذري: المصدر السابق، ص 310.

نصب خيمته وهي الفسطاط "[1]، ويقصد بها خيمة عمرو بن العاص التي بُنيت عند حصارالمسلمين لحصن(بابليون)، وعند فتحهم للحصن وعزمهم السير للإسكندرية، ترك عمرو الخيمة منصوبة في موضعها حيث يؤكد القزويني ذلك حين يذكر:" أن عمراً بن العاص عندما فتح الإسكندرية وفرغ من القتال قال لأصحابه: أين تنزلون ؟ قالوا: يأيها الأمير نرجع إلى فسطاطك"[2]، وقيل: أن سبب ترك الفسطاط قائماً في موضعه هو أن عمراً بن العاص لما أراد المسير إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة (20 هـ -641 م)، وقيل: في جمادي الآخر في هذه السنة أمر بفسطاطه أن يقوض، فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه فقال:" لقد تحرمت بجوارنا، أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها"، فأقر الفسطاط في موضعه فبذلك سميت الفسطاط [3] غير أن هناك من يشكك في صحة هذه القصة حيث يرى: أن الطيور بأنواعها المختلفة وخاصة الحمام واليمام تختار لأعشاشها وبيضها وفراخها، الأماكن المنعزلة المهجورة البعيدة عن أن يطرقها إنسان أو تنالها الأيدي صوناً للأعشاش، وحفاظاً للبيض وإبقاءً على الصغار، فلهذا من غير المعقول أن تترك هذه اليمامة تلك الأماكن الآمنة لتضع بيضها في معسكر دائم النشاط دائب الحركة وفي خيمة القائد، وهي أنشط أماكن المعسكر وأعمرها بالوافدين، والأمر الآخر الذي يدلل به من يشك بصحة هذه القصة هو أن عمراً قد أوصى أحد المصريين في رواية أو صاحب القصر في

---

(1) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص100.
(2) القزويني: المصدر السابق، ص 236.
(3) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي: الانتصار بواسطة عقد الأمصار، في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1893 م، ج1، ص2.

رواية أخرى بالمحافظة على الخيمة (الفسطاط)، حتى تفرخ اليمامة وتطير صغارها، وإنه عند رجوعه وجد الخيمة في مكانها فنزل هو وجنوده بجوارها حيث يرى من يشكك في صحة هذا الخبر أن عمراًولو أنه استولى على حصن بابليون فإن مصر لم تكن قد خضعت كلها لأمره، ولذلك لا يعقل أن ذلك الرجل المكلف بالمحافظة على الفسطاط يبقى على عهده ويحافظ على وعده مع رجل فاتح لم يثق أنه قد أصبح الحاكم لمصر حتى يخشاه ويحافظ على حراسة فسطاطه من أجل يمامة طول ذلك الوقت الذي استنفذه عمرو في فتح الإسكندرية ما بين بابليون والإسكندرية من مدن [1].

وقيل:" أن تسمية المدينة بالفسطاط مأخوذ من اللاتينية (fostatom) ومعناه (مدينة حصينة)، أخذه العرب عن الروم في أثناء حربهم في الشام " [2]، ويرى البعض:"أن الاسم مشتق من الكلمة الرومانية (فسائل) التي تطلق على المعسكر " [3]، ويذكر آخرون:" أن العرب تقول: لكل مدينة فسطاط لذلك قيل: لمصر الفسطاط " [4].

فالراجح عقلاً بعد ذكر هذه الآراء جميعاً أن كلمة (الفسطاط) كلمة عربية، وأن تسمية الموضع بها لا يخرج عن معنيين، الأول: (المدينة)، وبذلك سُميت البصرة فسطاطاً على التشبيه بفسطاط مصر [5]، والمعنى الثاني والذي

---

(1) الشيال: المرجع السابق، ص 30.
(2) الخربوطلي: المرجع السابق، ص 307.
(3) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 582.
(4) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص2.
(5) الشيال: المرجع السابق، ص 31.

تؤيده معظم الروايات التاريخية وهـو: أن أصـل الكلمـة فـسطاط، ويقـصد بهـا الخيمة أو الفسطاط الذي اتخذه عمرو بن العاص [1].

2ـ الموقع الجغرافي:

كان موقع الفسطاط في الدار التي تعرف بدار الحصى عند دار عمرو ابـن العاص الصغيرة بمصر، وكان عند درب حمام شمـول بخـط الجـامع [2]، وكـان موضعه فضاءً ومزارع بين النيل وجبل المقطم، ولم يكن في هذا المكان من البنـاء غير حصن بابليون، حيث كانت تـرابط الحاميـة الرومانيـة، وكـان إلى الـشمال والشرق من هذا الحـصن أشـجار ونخيـل وكـروم وبـين الحـصن والجبـل عـدة كنائس وأديرة، فكان موضع الفسطاط في المنطقة التي حول جامع عمـرو، وتمتـد شرقاً حتى قرب سفح جبـل المقطـم وشمـالاً حتـى جهـة فـم الخلـيج وقنـاطر السباع وجبل يشكر، وغرباً حتى النيل وجنوباً حتى ساحل أثـر الـنبي[3]، وهـي مدينة مستطيلة على ضفة النيل الـشرقية، وتحـيط بـساحلها المراكـب، وهـي في الإقليم الثالث، بينها وبين موضع (القاهرة)ميلين [4].

وكان موضع الفسطاط يقع بين جبل المقطم و الحصن الروماني المعـروف بحصن بابليون الذي يقع قديماً على النيل حيـث كانـت الـسفن تـصل إلى بابـه

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 178.
(2) ابن تغري البردي، جمال الدين أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة (د. ت)، ج1، ص 276.
(3) الخربوطلي: المرجع السابق، ص 307.
(4) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص3.

القبلي وهو الباب الذي خرج منه قيرس حاكم مصر ومن صحبه من رجاله بعد فتح المسلمين لها [1].

تدل أوصاف الخطط وتقدير الأبعاد على أن: موقع الفسطاط القديم كان يشغل مسطحاً طوله نحو (5000 متر)، وأن عرضه لم يكد يزيد على (1000 متر) لأن النيل حده الغربي، وكان مجرى النيل يومئذ على ما يبدو أقرب إلى الفسطاط من موضعه الحالي[2]، ولقد امتد عمران الفسطاط مع تتابع السنين وتنقل الشاطئ نحو الغرب [3].

وبهذا كان الموضع يجمع بين القرب من الماء من جهة - وللعرب حرص عليه- والقرب من الصحراء من جهة أخرى – ولهم بالصحراء شغف- ومن مميزات هذا الموقع سهولة الاتصال بالمدينة عاصمة الخلافة الإسلامية [4]. ينظر الملحق رقم (9).

ثانياً: منطقة الفسطاط قبل الفتح:

على الرغم من أن موضع الفسطاط قبل وصول المسلمين إليه–وكما سبق ذكره– كان فضاء تكثر فيه البساتين والأشجار وليس فيه عمران غير حصن بابليون، إلا أن منطقة الفسطاط كانت تمثل أهمية كبرى وخاصة

---

(1) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ص 261.

(2) عنان، محمد عبد الله: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1969 م، ص 13.

(3) فرغلي: أبو الحمد محمود: الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1991 م، ص 57.

(4) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص72 – 73.

للإمبراطورية الرومانية، كونها تعد الحامية الثانية لها في مصر بعد الإسكندرية، حيث كانت تلبي أهداف الروم في استمرار هيمنتهم على النيل بين مصر العليا والسفلى [1].

إن أهمية منطقة الفسطاط ظهرت منذ القدم، فقد شهدت نهضة عمرانية وسكانية كبيرة، حيث تذكرالرواية التاريخية:" أن مبانيها في قديم الزمان كانت متصلة بعين شمس" [2]، وما وجود الأديرة والكنائس في أطرافها عند وصول المسلمين للمنطقة إلا دليل على أن المنطقة كانت آهلة بالسكان والمباني في العصور القديمة[3]، فضلاً عن ذلك وجود بعض الآثار العمرانية في بعض المواقع المجاورة لموضع الفسطاط، والتي تبرز النهضة العمرانية التي شهدتها المنطقة عبر الحقب التاريخية التي سبقت الفتح الإسلامي ومن بين هذه المواضع: منف[*]، والتي تدل أثارها على أنها كانت مساكن فرعون، حيث تعرف بمدينة فرعون، لها سبعون باباً وحيطانها من حديد وسفر، والموضع الآخر: عين شمس، والتي تبعد ثلاث فراسخ من الفسطاط، وآثارها كانت عبارة عن: أساطين في رأس كل اسطوانة طوق من نحاس يقطر من أحدهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الاسطوانة لا يجاوزها ولا ينقطع قطره ليلاً ولا نهاراً، فموضعه الاسطوانة الخضراء ولا يصل الماء إلى الأرض وهو من بناء

---

(1) دائرة المعارف: المرجع السابق، ج3، ص 251.

(2) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص3.

(3) الشيال: المرجع السابق، ص 28.

(*) منف: اسم مدينة فرعون بمصر: أصلها بلغة القبط (مافه) فعربت فقيل: (منف)، أول من سكن مصر بعد أن أغرق الله تعالى قوم نوح بيصر بن حام بن نوح وهي أول مدينة عُمرت بعد الغرق، بينها وبين الفسطاط ثلاث فراسخ، وبينها وبين عين شمس ست فراسخ. ياقوت: المصدر السابق، ج 5، ص 213 – 214.

هوشنك[1]، والموضع الآخر: حلوان والتي تبعد فرسخاً عـن موضـع الفـسطاط والتي عرفت بكثرة نخيلها [2].

فضلاً عن ذلك هناك بعـض المعـالم الـتي أثـرت تـأثيراً مباشـراً في تـاريخ المنطقة ومنها:

- حصن بابليون:

سُمي بهذا الاسم نسبة إلى الإسم العام لديار مصر بلغـة القـدماء وقيـل: هو اسم لموضع الفسطاط خاصة [3]، حيث تذكرالروايات التاريخية: ونقـلاً عـن أهل التوراة: " أن آدم u كان يسكن بابل بالعراق، فلما قتل قابيل هابيـل هـرب قابيل إلى الجبال عن أرض بابل فسميت بابـل يعنـى (الفرقـة)، فلمـا مـات أدم ونُبي إدريس وكثر ولد قابيـل في تلـك الأرض وأفـسدوا، دعـا إدريـس ربـه أن ينقله إلى أرض ذات نهر مثل أرض بابل، فخرج إلى أرض مصر فلمـا سـكنها استطابها، واشتق لها اسماً من معنى بابل وهو الفرقة فـسماها بـابليون ومعناهـا (الفرقة الطيبة)" [4]، وقيل: عرف الحصن بهذا الاسم نـسبة إلى الموضـع الـذي به نزل البابليون في القرن السادس قبل الميلاد فعرف بهم[5]، ومن بـين الأسمـاء

---

(1) الهمذاني: المصدر السابق، ص 127.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(3) ياقوت: المصدر السابق، ج 1، ص 311.

(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(5) الشيال: المرجع السابق، ص 24.

التي أطلقت على الحصن (قصر الشمع)[1]، لأنه كان يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر[2]، ويطلق عليه أيضاً (قصر باب اليون) [3].

كان الحصن مطلاً على النيل وتصل السفن في النيل إلى بابه الغربي[4]، لأن النيل كان أقرب إلى ناحية الشرق مما هو عليه الآن[5]، وقد اختلف في بنائه فبعضهم قال: "بناه الوثنيون على الحدود بين مصر السفلى والعليا" [6]، وهناك من يقول: "أن البناء الذي شهده العرب عند وصولهم للمنطقة كان رومانياً " [7]، وهو حصن منيع وحصين يصعب اقتحام أسواره أو تخريب أبراجه [8]، حيث كان ارتفاع أسواره (18 قدماً)، وتعلوا أسواره عدة أبراج، وأهمها ما كان في الجانبين الجنوبي والشرقي، ولم يكن في الجانب الغربي أبراج، وذلك بالاكتفاء بتحصين النهر له كونه يجري تحت أسواره، وكان للحصن بابان مهمان أحدهما يعرف (بالباب الروماني)، والباب الثاني فكان إلى الجنوب يحيطه برجان عظيمان وهذا الباب هو المعروف (بالباب الحديدي) وكان على هذا الباب

---

(1) عبده: المرجع السابق، ص 145.
(2) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 575.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 513.
(4) عبده: المرجع السابق، ص 145.
(5) دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق، ج3، ص 251.
(6) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(7) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي –(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 575.
(8) سالم: دراسات في تاريخ العرب تاريخ الدولة العربية - ص 217.

جسر يتحرك إلى أعلاه إذا شده من في الحصن منع من وصول الناس إلى أسواره[1]، وكانت في أعلى هذا الباب الكنيسة المعروفة بالمعلقة[2].

2ـ جبل المقطم:

يقع هذا الجبل في الناحية الشرقية من منطقة الفسطاط[3]، وتتمثل أهميته في: مكانته الدينية لسكان مصر الأقباط، حيث كانوا يقدسونه ويجلونه، حيث تذكرالرواية التاريخية:" أن عمراً بن العاص سأل المقوقس وهما يسيران فوق الجبل بعد الفتح: يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو من جبال الشام ؟ قال: ما أدري، ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكننا نجد تحته ما هو خير من ذلك، قال: وما هو ؟ قال: ليدفن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم، فقال عمرو: اللهم اجعلني منهم "[4]، وفي رواية أخرى أجاب المقوقس عمرو بن العاص: "وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال شجراً ونباتاً وفاكهةً، فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى أوحى الله تعالى إلى الجبال إني مكلم نبياً من أنبيائي على جبل منكم فسمت الجبال وتشامخت إلا جبل بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر، قال: فأوحى الله إليه: لم فعلت ذلك ؟ فقال: إجلالاً لك يا رب، قال: فأمر الله الجبال أن يعطيه

---

(1) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 575.

(2) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص107.

(3) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ص 260.

(4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، ج1، ص112.

كل جبل منها مما عليه من النبت، وجاد له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقى كما ترى، فأوحى الله إليه: إني معوضك على فعلك بشجر الجنة وغراسها"[1].

ونظراً لأهمية هذا الجبل عند الأقباط وتعلق أنفسهم به، عرض المقوقس على عمرو بن العاص أن يبيعه له بسبعين ألف دينار فأعلم عمرو الخليفة عمر t بذلك، فطلب من عمرو بن العاص أن يسأل المقوقس لم أعطانا بها وهي لا تستنبت ولا تزرع فكان رد المقوقس: "إني أجد في الكتب أن فيه غرس الجنة"، فأعلم عمرو بن العاص الخليفة عمر t بذلك، ورد عليه:"إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين فأقبر فيه من مات من المسلمين ولا تبعه بشيء"[2].

3ـ جزيرة الروضة:

تعرف أيضاً بجزيرة الصناعة وهي جزيرة في وسط النيل يحيطها من جميع جهاتها، وهي بين الفسطاط والجيزة، في طرفها الجنوبي دار المقياس (مقياس ارتفاع النيل)، وكانت مشهورة ببساتينها وثمارها وكانت جزيرة محصنة بأسوار مستديرة وبها عدة أبراج[3]، وكان يصلها بحصن بابليون جسر من المراكب[4].

وأهم ما كان يميز هذه الجزيرة وجود الآلة التي تقيس فيضان النيل، وهي تجربة لا تخطىء، توصل إليها قدماء المصريين، وهي عبارة: عن بناء منعزل

---

(1) المصدر نفسه، ص 111.

(2) الهمذاني: المصدر السابق، ص 117.

(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص109.

(4) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي، (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، ص 575.

ومعلق أقيمت في وسطه تحت غطاء حفرة مربعة عمقها (18 ذراعاً)، وعلى جانب هذه الحفرة تفتح قناة تحت الأرض تطابق مجرى النيل، وفي وسط الحفرة عمود مدرج ومرقم حسب عدد أذرع عمق الحفرة أي (18 ذراعاً)، وعندما يبدأ فيضان النيل يدخل الماء للقناة ويصل إلى الحفرة[1].

4ـ جبل يشكر:

يُنسب إلى: يشكر بن جزيلة من لخم[2]، ويقال: انه كان رجلاً صالحاً[3]، ويعد هذا الجبل من المعالم البارزة التي تقع بالقرب من موضع الفسطاط، فهو يحد المنطقة من الناحية الشمالية[4].

وتتمثل أهمية هذا الجبل فى المكانة الدينية التي يمثلها قبل قدوم المسلمين إلى المنطقة فيقال: "به بقعة فيها قبر هارون عليه السلام، وهو مكانٌ الدعاء فيه مستجاب"[5]، ويقال:" انه قطعة من الجبل المقدس"[6].

5ـ الأديرة والكنائس:

كانت منطقة الفسطاط تعرف بكثرة أديرتها وكنائسها، فتوزعت فى المنطقة الممتدة ما بين حصن بابليون وجبل المقطم[7]، فضلاً عن ذلك كانت

---

(1) الفاسي، حسن بن محمد الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة محمد صبحي وآخرون، ط2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ج1، ص 213- 214.
(2) ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص264.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص123.
(4) الخربوطلي: المرجع السابق، ص 307.
(5) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص123.
(6) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 113.
(7) المصدر نفسه، ص 307.

هناك كنيستان عند بابي الحصن، الكنيسة الأولى وهي: كنيسة ماري جرجس عند الباب الروماني في الجدار الغربي للحصن[1]، والكنيسة الثانية: هي الكنيسة المعلقة والتي كانت فوق مدخل الباب الحديدي فى الجدار الجنوبي للحصن[2].

ثالثاً: تأسيس الفسطاط:

إن تأسيس الفسطاط أمر حتمته الظروف العسكرية للمسلمين في الفترة الأولى من فتح مصر، وذلك للمحافظة على الإنجازات التي حققوها في فترة الفتح، وهذا الأمر كان الهدف المباشر من تأسيس المدن الإسلامية الأولى.

لم يتجاوز هدف الخليفة عمر t من تأسيس الفسطاط في بدء الأمر إلا تحديد موضع يجتمع فيه الفاتحون تأميناً لسلامتهم، ولم يكن في نيته رسم خطة ثابتة لتكوين إمبراطورية واسعة، ويتضح ذلك في امتناعه اتخاذ الإسكندرية عاصمة الرومان الأولى في مصر مستقراً للمسلمين على الرغم من المغريات الموجودة بها[3]، واقتناع عمرو بن العاص في اتخاذها مقراً للمسلمين[4].

على الرغم من الهدف المحدود الذي قصده الخليفة عمر t من تأسيس الفسطاط، إلا أن تأسيسها سرعان ما فاق كل مطامحه وأصبحت المصر الأول في مصر وإفريقيا.

---

(1) زيادة: تاريخ العالم الإسلامي - تاريخ الخلفاء الراشدين - ج2، ص 176.
(2) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(3) الشيال: المرجع السابق، ص 23.
(4) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص91.

1ـ بداية التأسيس:

لقد مر موضع الفسطاط بمرحلة السكن في الخيام، وذلك عند عودة عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الموضع، حيث أنزل من كان معه من جند في خيام حيث ضربوا خيامهم حوله [(1)].

إن إنزال الجند في الخيام عند عودتهم إلى الموضع ما هي إلا مرحلة مؤقتة، كان يهدف عمرو بن العاص من ورائها التجهيز لمرحلة البناء الثابت، والتي تمثل البداية الفعلية للتأسيس حيث يستشف من الدراسة أن: الفسطاط مرت بمرحلة البناء بالقصب بعد مرحلة الخيام، هذه المرحلة التي مرت بها المدينتان السابقتان لها (البصرة والكوفة)، ربما لعدم وجود كميات كافية منها بالقرب من موضع الفسطاط، تكفي لبناء أعشاش منها تسد متطلبات الأعداد التي كانت بصحبة عمرو بن العاص، وربما كان للفترة الزمنية التي كانت بين تأسيس البصرة والكوفة وتأسيس الفسطاط دورها في تجاوز هذه المرحلة، خاصة وأن المصرين (البصرة والكوفة) كانتا قد بُنيتا باللبن بعد إقناع الخليفة بذلك قبل تأسيس الفسطاط، ولهذا بُنيت الفسطاط باللبن بعد مرحلة الخيام مباشرة لكي تواكب بناء البصرة والكوفة، وربما كان للوضع العسكري دوره في السماح لسكان الفسطاط بالبناء باللبن وجعله موضعاً ثابتاً، بعد أن تأكد الخليفة عمر t من عدم وجود أي مخاطر عسكرية قد تهدد الموقع.

إن بداية التأسيس كانت مع شروع عمرو بن العاص في بناء المرافق العمرانية الأولى، المتمثلة في المرافق العامة، حيث بدأ ببناء المسجد الجامع ودار

---

(1) زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 150.

الإمارة، ومن تم توزعت حولهما الدُور السكنية [1]، وكانت بداية تأسيس الفسطاط بداية قوية في عمرانها نظراً للأعداد الكبيرة التي وفدت على الموضع[2].

2ـتاريخ التأسيس:

اختلفت الآراء في تحديد السنة التي تأسست فيها الفسطاط، وهذا الاختلاف يرتبط في حقيقة الأمر بالاختلاف السائد بين المؤرخين حول سنة فتح مصر، وبالتالي فإن الاختلاف ظهر كذلك في تاريخ فتح الإسكندرية والتي يرتبط تاريخ فتحها ارتباطاً كبيراً بتأسيس الفسطاط، فالثابت وكما ورد في أغلب الروايات التاريخية: أن تأسيس الفسطاط تم بعد فتح الإسكندرية، وعودة عمرو بن العاص منها إلى موضع الفسطاط.

ومن أهم الآراء والاختلافات في هذا السياق: هناك رواية تاريخية تذكر: أن عمراً بن العاص سار من الفسطاط إلى الإسكندرية في ربيع الأول، وقيل: في جمادي الآخر من سنة (20 هـ - 641 م)، وتم فتحها في ذي القعدة من السنة نفسها بعد حصار دام (6 أشهر)، عاد بعدها إلى الفسطاط مباشرةً وبدأ في تمصيرها[3]، وقيل: أن عودة عمرو بن العاص من الإسكندرية وتأسيس الفسطاط، كان في سنة (21هـ - 642 م)[4]، وهنالك من يذكر: أن

---

(1) الرحيم، عبد الحسين مهدي: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس - ليبيا 1994 م، ص 534.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص 69.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 2.
(4) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف: تاريخ ولاة مصر، ط1،(د. م) 1997 م، ص 15.

الإسكندرية قد فتحت سنة (22هـ - 643 م)، بعد عام من دخول عمرو ابن العاص إلى مصر، من ذلك يفهم أن الفسطاط تأسست سنة (22هـ - 643م)[1]، وهناك رواية تاريخية تؤخر تاريخ التأسيس إلى سنة (25هـ - 646م)، حيث تذكر: "أن الإسكندرية فُتحت في هذه السنة بعد مضي سنتين من خلافة عثمان t وكان عليها عمرو بن العاص "[2].

والحقيقة أن هذه الاختلافات في وجهات النظر حول سنة التأسيس، تذكرنا مما سبق من تضارب في مسألة تاريخ تأسيس البصرة والكوفة، وحسماً لهذا الأمر يمكن القول وحسب ما ترجح المصادر التاريخية، فإن تأسيس الفسطاط قد امتد من سنة (20هـ - 541 م) إلى سنة (21 هـ - 642 م) أو سنة (22هـ - 643 م).

3ـ أهداف التأسيس:

هدف المسلمين من تأسيس الفسطاط لتحقيق عدة أهداف أهمها:

أ- بناء حاضرة وفق تعاليم الخليفة عمر t العمرانية تتلاءم وضعيتها مع ظروف المسلمين في هذه المرحلة المبكرة من الفتح[3].

ب- اتخاذها عاصمة تأمن عملية الفتح وتكون منطلقاً لفتح شمال إفريقيا[4].

---

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 178.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 512.

(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 180.

(4) زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي، (العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الراشيدة)، ص 590.

ج- اتخاذها مركزاً لتنظيم شؤون البلاد، ووضع الخطط الكفيلة بتقدمها، ورفع الأحمال الثقال عن كواهل المصريين، والعمل على بناء الدولة الإسلامية الجديدة وفقاً لتعاليم الدين وأوامر الشرع الحنيف [1].

د- نقل كرسي الإدارة من الإسكندرية للعاصمة الجديدة، لتكون المركز الإداري والسياسي للبلاد[2].

هـ- سهولة الإشراف على الوجهين البحري والقبلي بمصر كونها تتوسط البلاد [3].

4- الصعوبات التي واجهت المسلمين عند تأسيس الفسطاط: -

أ- تنافس وتنازع القبائل حول الأماكن المفضلة، وخاصة القريبة من المركز، حيث تم تخطيط المسجد الجامع ودار الإمارة، حيث تلاصقت القبائل بعضها ببعض[4].

ب- ضيق مساحة الموضع مع عدم امكانية التوسع نظراً لوجود حواجز طبيعية، فقد كان النيل يحدها من الناحية الغربية وجبل المقطم من الناحية الشرقية[5]، فكانت مساحتها مستطيلة على ضفة النيل

---

(1) حمادة، عبد المنعم: مصر والفتح الإسلامي، دار الكتاب السنوي، القاهرة 1970 م، ص69.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 181.

(3) رمضان، مصطفى محمد: عصر الخلفاء الراشدين، دار الكتاب الجامعي، القاهرة 1977م، ص 109.

(4) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 106.

(5) الخربوطلي: المرجع السابق، ص286.

الشرقية[1]، فاستحال استيعاب الأعداد التي توافدت على الموضع في بداية التأسيس [2].

ج- الزحف العمراني على الساحات العامة (الفضاء) وتضييق الشوارع مما أدى إلى خلل في مخطط المدينة منذ بداية التأسيس[3].

د- استمرار التأثير القبلي والبدوي على السكان، دون اعتبار للتغيير الذي أحدثه الإسلام في التركيب الاجتماعي قبل الإسلام[4].

---

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص3.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 188.
(3) عثمان: المرجع السابق، ص 71.
(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

المبحث الثاني

خطط الفسطاط ومعالمها العمرانية

أولاً: التركيبة السكانية:

1ـ السكان قبل الفتح:

لم يكن موضع الفسطاط قبل الفتح الإسلامي مأهولاً بالسكان، بـل كـان أرض فـضاء ومـزارع، وتركـزت التجمعـات الـسكانية في المنـاطق المحيطـة بـه، خاصة حصن بابليون الذي يمثل الحامية الرومانية في المنطقة[1].

تألفـت التركيبـة الـسكانية لمنطقـة الفـسطاط قبـل الفـتح مـن عنـصرين أساسيين هما: السكان الأصليون وهم الأقبـاط، والـروم المحتلـون، فـضلاً عـن ذلك نسبة قليلة من النوبيين، ويمكن أن نلحظ ذلك من الأطـراف الـتي دخلـت فحوى مفاوضات الصلح بين عمرو بن العاص وسكان المنطقة[2].

أ- الأقبــاط: -

هم سكان المنطقة الأصـليون، الـذين يمثلـون الأغلبيـة العظمـى لـسكان منطقة الفسطاط، وكان جلهم يعملون بالزراعة، مستفيدين من مرور النيـل مـن المنطقة، فكانت علاقتهم بالنيل علاقة وطيدة[3]، وعـانوا كـثيراً مـن الـضرائب

(1) الخربوطلي: المرجع السابق، ص307.
(2) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 515.
(3) الهمذاني: المصدر السابق، ص 121.

الباهظة التي فرضها عليهم الروم مما أثقل كاهلهم، حيث أنهم كانوا يعيشون تحت تسلط وجبروت الروم المحتلين[1].

ب- الروم:

سكن المنطقة من الروم أعداد كبيرة، وذلك لما تمثله من أهمية خاصة، وأنها الحامية الثانية في مصر بعد الإسكندرية، حيث كان حصن بابليون هو مركز تجمعهم[2].

ج- النوبيون:

وهم ملاك الأرض مع القبط[3]، ويبدو أن جلهم كان يشتغل بالتجارة، ويتضح ذلك من سرد العهد الذي عاهد به عمرو بن العاص سكان المنطقة إذا دخلوا في الصلح، حيث ذكر:"النوبة الذين يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً، على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة" [4].

2ـ السكان بعد الفتح:

أ- العرب المسلمون:

ظلت مصر محافظة على كيانها الجنسي حتى العصر الإسلامي، حيث وفدت إليها عناصر جديدة من القبائل العربية القحطانية (عرب الجنوب)،

---

(1) بروكلمان: المرجع السابق، ص 100.
(2) عبده: المرجع السابق، ص 145.
(3) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 515.
(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 515.

والعدنانية (عرب الشمال)[1]، وسكنت هذه القبائل الفسطاط بعد تأسيسها، ومثلت العمود الفقري للسكان، حيث لم يعد عدد العرب(15 ألفاً) فقط، كما كان خلال المرحلة الأولى من التأسيس، فقد شهدت الفسطاط بعد تأسيسها توافد عدد كبير من القبائل العربية، وبخاصة زمن خلافة عثمان بن عفان t [2].

لقد اختلف هدف القبائل العربية التي وفدت قبل تأسيس الفسطاط عن القبائل التي توافدت بعد التأسيس، حيث كان هدف القبائل التي وفدت قبل التأسيس هو المساهمة في فتح مصر، ولم يكن لها غاية غير الدور العسكري على الرغم من أن بعضها قدم بأعداد كبيرة، كقبيلة عك التي مثلت معظم القوى التي دخلت مع عمرو بن العاص إلى مصر، حيث ذكر بأن:" الخليفة عمر t بعد أن أقنعه عمرو بفتح مصر عقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك " [3]، وقيل: أنه سار ومعه (3500) ثلثهم من غافق[4].

ولم يكن لسكان الفسطاط من المسلمين مهنة أخرى غير مهنة الجندية، حيث كانت الدولة تعارض امتهان العرب أي مهنة غير دورهم الحربي في بداية تأسيس الفسطاط، فكان الخليفة عمر t يعارض زراعة الأرض، وما ورد في المصادر التاريخية ما يؤيد ذلك حيث ورد: " أن شريك ابن سمى الغطيفي أتى عمرو بن العاص فقال: إنكم لا تعطونا ما يحسبنا (ما يكفينا)، فطلب من عمرو أن يأذن له في الزرع، فلم يأذن له فزرع بغير إذن، فكتب عمرو ابن العاص إلى عمر t بذلك، فطلب الخليفة من عمرو بن العاص أن يبعثه إليه،

(1) مهران: المرجع السابق، ج1، ص 26 – 27.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 191.
(3) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 262.
(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

فبعث به إليه، فقال له عمر t : لأجعلنـك نكـالاً لمـن خلفـك، غـير أن شـريكاً طلب الصفح واعتذر على ما قام بـه فـصفح عنـه عمـر t وكتـب إلى عمـرو بذلك'[1].

غير أن الهدف تغير بالنسبة للقبائل التي توافدت على الفسطاط في أواخـر خلافة عمر t وزمن خلافة عثمان بن عفان t ، حيث كان هدف هذه القبائل من توافدها على موضع الفسطاط: هو تحسين وضـعها المعيـشي بعـدما سمعـوا عن وفرة خيرات مصر، خاصة وأن شبه الجزيرة العربية ألمت بها مجاعـة شـديدة في هذه الفترة، وفي طلب الخليفة عمر t إلى عمرو بـن العـاص أن يرسـل إليـه المؤن من مصر ما يؤيد ذلك، حيث كتب إليه: " من عبد الله عمـر أمـير المـؤمنين إلى عمرو بن العاص: سلام عليك أما بعـد فلعمـري يـا عمـرو بـن العـاص لا تبالي إذا شبعت أنت ومن معك أن أهلـك أنـا ومـن معـي فيـا غوثـاء ثـم يـا غوثاء! يردد قوله "[2].

ويتضح حجم توافـد القبائـل العربيـة علـى الموضـع منـذ المرحلـة الأولى للتأسيس، عندما أورد ابن دقماق عند ذكره لخطط الفسطاط قائمـة طويلـة مـن القبائل العربية التي كانت لها بطون سكنت الفـسطاط، وهـي قـريش والأنـصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعـبس وجـرس من (كنانة) وليث بن بكر والعتقاء، ومن حمير مهرة ورعين والكلاع، ومن كنـدة تجيب والصدف، ومن قـضاعة جـذام والوحـاف وتنـوخ، ومـن بطـون مـدحج غطيف بن مراد ووعلان بن قرن، وبطون من سبأ اليمنيـة، ومـن لخـم بـني بحـر

(1) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 124.
(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

وبني سلامان ويشكر، ومن الأزد غافق وتراد والحجر وعشائر من غسان، ومن شجاعة ومن قيس عيلان بني فهم بن عمرو(*) (1).

- سكان الفسطاط من الصحابة:

سكن الفسطاط عدد كبير من الصحابة الكرام، فقد ذكرت المصادر التاريخية عند ذكرها لتأسيس المسجد الجامع في الفسطاط: "انه قد وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلاً من الصحابة الكرام منهم: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء(*)، وأبو ذر الغفاري(*) وغيرهم" (2).

(*) فهم بن عمرو: وهو معروف بتأبط شراً: وهو ثابت بن جابر، ولقب تأبط شراً لأنه كان كلما جاء بالشهد والعسل في خليطة كان يتأبطها فكانت أمه تأكل ما يجيئ به فأخذ يوماً أفعى فألقاها في الخليطة فلما جاءت أمه لتأخذ ما فيها سمعت فحيح الأفعى فألقتها وقالت: لقد تأبطت شراً يابني. ابن دريد: المصدر السابق، ج2، ص 266.

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص3-4-5.

(*) أبوالدرداء: (توفي سنة:32 هـ - 652 م). عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الانصاري الخزرجي، أبوالدرداء: صحابي من الحكماء الفرسان القضاة كان قبل البعثة تاجراً في المدينة ثم انقطع للعبادة وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب وهو أول قاضٍ بها، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً، مات بالشام. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج5، ص 98.

(*) أبو ذر الغفاري: (توفي سنة: 32هـ - 652م).جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار من كنانة بن خزيمة، أبو ذر: صحابي من كبارهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة وكان خامساً يُضرب به المثل في الصدق، وهو أول من حيا رسول الله r بتحية الإسلام، هاجر بعد انتقال الرسول r إلى الرفيق الأعلى إلى بادية الشام وضل حتى خلافة عثمان بن عفان الذي استقدمه إلى المدينة فسكن الربدة (من قرى المدينة) الى أن مات.الزركلي: المصدر السابق، ج2، ص 140.

(2) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 265.

ب- المسلمون من غير العرب الذين شاركوا في الفتح وسكنوا الفسطاط:

- **الروم:** الذين دخلوا الدين الإسلامي بعد فتح الشام وقدموا مع قوات عمرو بن العاص لفتح مصر، وهم بني نبه وبني الأزرق وكان عددهم حوالي (400 رجل) عند الفتح[1].
- **الفرس:** وهم بقايا الفرس في اليمن دخلوا الإسلام ورغبوا في الجهاد فدخلوا مع عمرو ابن العاص إلى مصر[2].
- **اليهود:** سكن الفسطاط طائفة من اليهود يعرفون ببني روبيل قدموا مع عمرو بن العاص من الشام[3].

ج- السكان الأصليون (الأقباط):

ظل الأقباط سواءً الذين أسلموا أم الذين بقوا على نصرانيتهم يسكنون في مواضعهم السابقة القريبة من الفسطاط، بناءً على معاهدة الصلح التي تمت بين الأقباط الذين بقوا على نصرانيتهم وعمرو بن العاص بعد فتح حصن بابليون، حيث فُرضت عليهم الجزية وأعطاهم عمرو بن العاص الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم[4]، فبقى أصحاب الأرض في أرضهم يزرعونها، حيث رفض عمرو بن العاص تقسيمها على المسلمين وأبقاها في يد أصحابها وأقرها أرض خراج(*) [5]، فضلاً عن

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 190.
(2) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص4.
(3) المصدر نفسه، ص 5.
(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 514-515.
(*) الخراج: ما وضع على الأرض من حقوق تؤدى عنها إلى بيت المال. عبد المنعم: المرجع السابق، ج2، ص 19.
(5) البلاذري: المصدر السابق، ص 313.

ذلك أبقى جميع الموظفين القدماء من الأقباط في مناصبهم التي ظل يشغلها الأقباط على العموم فيما بعد أيضاً[1]، ومنها جباية الروم [2].

ثانياً: خطط المدينة ومعالمها العمرانية:

1ـ خطط المدينة:

أ- بداية التخطيط:

سار تخطيط الفسطاط على نمط تخطيط البصرة والكوفة، حيث بدأ عمرو ابن العاص في تخطيط موضع المسجد الجامع ودار الإمارة، وجعلها محور توزيع خطط المدينة.

تتحدث الروايات التاريخية عن المرحلة الأولى لتخطيط الفسطاط أنه كان هناك تفاهماً في مسألة تخطيطها ولم يكن هذا الأمر عشوائياً كما هو في تخطيط البصرة والكوفة، حيث أن عمراً بن العاص أولى مهمة إسكان العرب، ووضع خطط محلاتهم وفقاً للقاعدة القبلية[3]، فهي وحدة تخطيط أساسية، وإن هذا النظام قام على أسا س القبيلة باعتبارها هيئة اجتماعية أو مؤسسة قائمة[4].

---

(1) بروكلمان: المرجع السابق، ص 102.
(2) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 116.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 181.
(4) عبده: المرجع السابق، ص 69 – 70.

وترتبت المحلات السكنية (الخطط) تبعاً لترتيب قطاعات الجيش، وهو أمر يشير إلى تأثر تخطيط المدينة بظروف نشأتها الحربية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المدينة الإسلامية[1].

ونتيجة لذلك اختط العرب خططهم وبنى الناس الدُور والمساجد فعرفت كل خطة باسم القبيلة والجماعة التي اختطتها، وفي بعض الأحيان حملت أسماء أشخاص متنفذين قاموا باختطاطها[2].

ب- واضعو خطط الفسطاط:

لما عزم عمرو بن العاص على تخطيط الفسطاط ولى الخطط أربعة من قواد المسلمين أنزلوا الناس[3]، وفصلوا بين القبائل التي تنافست في المواضع وهم: معاوية بن خديج التجيبي[*]، وشريك بن سمى الغطيفي من مراد وعمرو بن قحزم الخولاني، وحيويل بن ناشرة المعافري[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص 69.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 181.

(3) حسن: المرجع السابق، ج1، ص 520.

(*) معاوية بن خديج التجيبي: (توفي سنة: 52هـ - 672 م). معاوية بن خديج بن حفنة ابن قنبر أبو نعيم الكندي ثم السكوني: الأمير الصحابي، قائد الكتائب، والي مصر كان ممن شهد حرب صفين في جيش معاوية وولاه معاوية إمرة جيش جهزه إلى مصر وكان الوالي عليها محمد بن أبي بكر الصديق من قبل علي بن أبي طالب، فقتل محمداً وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية ثم وُلي إمرة مصر ليزيد ووُلي غزو المغرب مراراً آخرها سنة (50هـ) واستولى على صقلية وفتح بنزرت وأعيد إلى ولاية مصر وعزل عنها سنة (51هـ) وتوفي بها. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج7، ص260 – 261.

(4) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص3.

ج- أوامر الخليفة عمر t في عملية تخطيط الفسطاط:

عُرضت للخليفة عمر t مسائل التعمير على حسب الحاجة إليها في وقته، فلم تجد مسألة منها دون ما تحتاج إليه من إصابة الرأي وحسن الرؤية، فكانت نصائحه في تخطيط المدن واختيار مواقعها من أنفع النصائح، وكانت دواعيه إلى بنائها من أشرف الدواعي[1]، فسياسته التعميرية وافية بالغرض، حيث حدد الخطوط العريضة لتخطيط المدن الإسلامية في عصره، فكانت أوامره في تخطيط المدن عامة نفذها مخططو البصرة وسار عليها مخططو الكوفة والفسطاط.

إن الظروف التي مرت بها الفسطاط بعد مرحلة التأسيس استحال معها تطبيق بعض أوامر الخليفة عمر t على مخطط المدينة، حيث شهدت الفسطاط توافد أعداد كبيرة من المهاجرين إليها [2]، هذه الأعداد الوافدة أحدثت تغييراً في خطط المدينة تجاوزت حتى أوامر الخليفة عمر t وأهم هذه التجاوزات ما يأتي:

- **بناء دُور الفسطاط بأكثر من طابق:** حيث أن أوامر الخليفة كانت واضحة في البناء فكان يمنع التطاول في البنيان ولكن تزاحم السكان أجبرهم على البناء العمودي [3].

(1) العقاد: المرجع السابق، ص 448.

(2) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي: المواعظ و الاعتبار لذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1987م، ج1، ص297.

(3) شافعي: المرجع السابق، ص 353- 354.

- **تضييق الشوارع:** تمشياً مع توزيع القادمين على خطط قبائلهم زادت الحاجة إلى المساحات التي تستوعب هذه الزيادات السكانية فتلاصقت الخطط وامتدت المباني لتضيق الشوارع الثانوية والرئيسية [1].

فضلاً عن الأوامر العامة التي حددها الخليفة عمر **t** لتخطيط المدن الإسلامية الأولى فقد أخص الفسطاط بعدة أوامر أخرى في تخطيطها أهمها:-

أمره لعمرو بحفر خليج بين النيل وبحر القلزم (الأحمر):

وذلك لتسيير السفن بين الفسطاط والساحل الغربي للبحر الأحمر لغرض سرعة الاتصال بالمدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية [2]، وضرب له الموعد حولاً يفرغ فيه من حفره وإعداده لمسير السفن فساقه من جانب الفسطاط إلى القلزم، ولم يأت الحول حتى جرت فيه السفن وسُمي خليج أمير المؤمنين نسبة إلى الخليفة عمر **t** [3].

- **تحديد موضع السوق:**

حيث أمر عمرو بن العاص أن يحول الدار التي بناها للخليفة عمر **t** في الفسطاط إلى سوق[4].

- **تحديد موضع المقبرة:**

أمره بجعل سفح جبل المقطم القريب من الفسطاط مقبرة للمسلمين[5].

---

(1) عبده: المرجع السابق، ص71.
(2) العقاد: المرجع السابق، ص 448.
(3) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 125.
(4) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص92.
(5) المصدر نفسه، ص 157.

د- التركيبة الاجتماعية وتأثيرها على خطط الفسطاط:

اختط عمرو بن العاص الفسطاط للمقاتلين الذين رجعوا معه من الإسكندرية، والذين تراوح عددهم ما بين (12 ألف و 15 ألف) تألفوا من عدة قبائل، فقسمت الفسطاط بينهم إلى عدة خطط وجُعلت القبيلة هي أساس هذا النظام.

على الرغم من قلة عدد السكان في المرحلة الأولى للتخطيط، فقد ظهر التنافس والنزاع بين القبائل على الأماكن، وخاصة القريبة من المسجد ودار الإمارة، ونتيجة لضيق الموضع تلاحمت الخطط منذ المرحلة الأولى للتخطيط [1].

وكان للرابطة الاجتماعية دورها في قيام خطط جديدة، حيث لا يسمح لأي مجموعة أن تكوّن خطة بدون موافقة أقربائهم في المدينة[2]، هذا الأمر جعل بعض القبائل تضيق على نفسها من أجل احتواء الوافدين الجدد من أقاربهم، فسبب ذلك في تلاحم الخطط والزحف العمراني على الساحات ومناطق الفضاء، وحتى على الطرق التي ضاقت بسبب ذلك، ومع تزايد أعداد القبائل الوافدة وخاصة التي توافدت من الإسكندرية بعد تخطيط الفسطاط، استحال إسكانهم داخل حدود المخطط، مما اضطر مخططو الفسطاط على اسكانهم خارج المخطط، وبذلك عُرف العمران الذي امتد خارج حدود الفسطاط (بظاهر المدينة)[3].

---

(1) عبده: المرجع السابق، ص 71.
(2) المرجع نفسه، ص 70.
(3) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 297.

هـ- خطط الأهالي:

سبق وأن ذُكر أن عمرو بن العاص قد عين جماعة من أصحابه ممن كانت لهم دراية ومعرفة ونفوذ على قبائلهم للإشراف على توزيع الأفراد والقبائل، المشاركة في فتح مصر وإسكانهم، وذلك حينما ظهر التنازع فيما بينهم حول الأماكن المفضلة القريبة من مركز المخطط الذي يضم المرافق العمرانية الهامة.

كان تعداد المقاتلين في هذه المرحلة يتراوح ما بين(12 ألفاً و15 ألفاً) من قبائل مختلفة، وبالفعل فقد قام هؤلاء الأشخاص بتوزيع خطط المدينة وفقاً للقاعدة القبلية(1)، غير أن هذه الخطط حدث عليها تغيير نتيجة توافد أعداد جديدة، على الرغم من تلاحم الخطط الذي كان واضحاً منذ البداية، ومما يؤكد ذلك إنشاء خطط أهل الظاهرالتي سميت بهذا الاسم لأن القبائل التي نزلتها كانت بالإسكندرية، ثم قفلت بعد قفول عمرو بن العاص، وبعد أن اختط الناس خططهم، فخاصمت إلى عمرو بن العاص فقال لهم معاوية ابن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ: "أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل فتتخذوا منزلاً"، فسمي الظاهر بذلك(2).

وزعت خطط الفسطاط على القبائل، حيث كان لكل قبيلة خطة خاصة بها أما القبائل كبيرة العدد فقد كان لها أكثر من خطة والقبائل محدودة العدد ضُمت مع بعضها في خطة واحدة، وتُركت حرية تقسيم كل خطة لأفراد

---

(1) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 185.
(2) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 297.

القبيلة، وكما حدث في البصرة والكوفة [1]. وفيما يلي أهم خطط أهالي الفسطاط.

- **خطة أهل الراية:**

وهم: جماعة قريش والأنصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس وبني بغيض وحرش من بني كنانة، وليث ابن بكر والعتقاء منهم، إلا أن منزل العتقاء في غير الراية وإنما سُمو أهل الراية ونُسبت الخطة إليهم لأنهم جماعة لم يكن كل بطن منهم من العدد ما يفرد بدعوى من الديوان فكرة كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته، فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها[2]، وهى تقع بجوار المسجد [3].

- **خطة مهرة:**

ويرجع نسبهم إلى: بني مهرة بن قضاعة بن مالك بن حمير، وهي من القبائل اليمنية اختطوا خطتهم أول دار الخيل حتى جبل يشكر [4].

- **خطة تجيب:**

وهم بنو عدي وسعد بن الأشرس بن شبيب بن السكن بن الأشرس من كندة[5].

---

(1) عبده: المرجع السابق، ص 69.
(2) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 297.
(3) عبده: المرجع السابق، ص 69.
(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 186.
(5) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص3.

- **خطة اللفيف:**

سُمو بذلك لالتفاف بعضهم ببعض، وكان عامتهم من الأزد من حجر ومن غسان ومن شجاعة والتف بهم نفر من جذام ولخم والزحاف وتنوخ من قضاعة، فهم مجتمعون في المنزل متفرقون في الديوان[1]، حيث لم يكن بينهم روابط قبلية ولكنهم تآلفوا فى إطار النظام[2].

- **خطة أهل الظاهر:**

تألفت من نفر من القبائل الذين عادوا من الإسكندرية بعد اتخاذ الفسطاط وتوزيع خططها على القبائل، وعندما وجدوا العرب قد استقروا في خططهم، اشتكوا إلى عمرو فاستحال إسكانهم في إطار مخطط المدينة، ولهذا نزلوا خارج المخطط[3].

- **خطة غافق:**

تُنسب إلى: غافق بن الحارث بن عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، وهذه الخطة بجوار درب الأعلام [4].

- **خطة بني لخم:**

كانت تتألف من ثلاثة خطط خُصصت الأولى لبني لخم بن عدي بن مرة ابن أدد ومن خالطهم من قبيلة جذام، أما الثانية لبني عبد ربه بن عمرو، وصارت الثالثة لبني راشدة بن أدنب من لخم أيضاً [5].

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 297.
(2) عبده: المرجع السابق، ص 70.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص4.
(4) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 298.
(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 187.

- **خطط الصدف:**

هم بطن من كندة نُسبو في حضر موت، والنسبة إليهم صدفي، واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير[1].

- **خطة خولان:**

يرجع نسبهم إلى: خولان بن عمرو بن مالك بن يزيد بن عريب، وتقع خططهم في الجانب الشرقي للوجه القبلي للحصن[2].

- **خطة الفارسيين:**

وهم قوم استندوا لخطة خولان، من الفارسيين الذين حضروا الفتح، وهم من بقايا جند باذان عامل الفرس على اليمن قبل الإسلام، وأسلموا بالشام ورغبوا في الجهاد، فانضموا إلى جيش عمرو بن العاص لفتح مصر، وكانت خطتهم مجاورة لخطط خولان [3].

- **خطة مذحج:**

نسبة إلى: مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان بن عبد الله ابن ناجية[4].

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص4.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 188- 189.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص4.
(4) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 298.

- **خطة يحصب:**

نسبة إلى: يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن يغوث، وهو حي من اليمن[1]، ويذكر: أن حضر موت هي بطن من يحصب كانوا فيهم قد اختطوا خطة عند الصفا[*] [2].

- **خطة رعين:**

نسبة إلى: رعين بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن عبد شمس من حمير وهي قبلي مذحج[3].

- **خطة الكلاع:**

نسبة إلى: الكلاع بن شرحبيل بن سعد بن حمير من اليمن، وخطتهم متصلة بخطة بني رعين[4].

- **خطة المعافر:**

نسبة إلى: المعافر بن يعفر بن مرة بن أدد، وهي تمتد إلى خطة خولان[5]، إلى الشرق من خطة الكلاع[6].

---

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص4.

(*) الصفا: قصبة هجر، ويوم الصفا من أيامهم. ياقوت: المصدر السابق، ج3، ص411.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 189.

(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 4.

(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(5) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 298.

(6) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 189.

- خطة وعلان:

نسبة إلى: وعلان بن قرة بن ناجية من مراد وكلهم من مذحج[1].

- خطة سبأ:

وسبأ اسم رجل ولد عامة قبائل اليمن، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان[2]، وكانت خطتهم بين معافر وحضر موت[3].

- خطة بني وائل:

وتنسب إلى بني وائل بن زيد بن إياس بن حرام بن جذام، وتقع خطتهم في الشمال وكان الفرس يقطنون في خطتهم بين طائفة من بني وائل وبني يحصب[4].

- خطة الرجبة:

يذكر ابن دقماق: "إن الرجبة هي شيء تعمد به النخلة"، وتُنسب هذه الخطة إلى الرجبة بن زرعة بن كعب[5].

- خطة القبض:

وتنسب إلى: بني القبض بن مرتد[6].

---

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص4.
(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(3) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 190.
(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(5) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص4.
(6) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

- خطة الحمراوات الثلاث:-

سميت هذه الخطة بالحمراوات لنزول الروم بها [1]، وكان العرب يسمونهم بالحمر لاحمرار وجوههم وقد انقسمت إلى ثلاث مجاميع[2].

* خطة الحمراء الدنيا:

وكان يشغلها بنو بلي وهم من قضاعة، وقسم منهم كان مع أهل الراية ثم خطة تراد من الأزد وخطة بني الفهم بن عمرو بن قيس وخطة بني بحر وهم من الأزد[3].

* خطة الحمراء الوسطى:

وكانت بها خطة بني نبه وهم جماعة من الروم حضروا الفتح، وفيها أيضاً خطة بني هذيل بن مدركة، وخطة بني سلامان من الأزد[4].

* خطة الحمراء القصوى:

وهي خطة بني الأزرق وهم من الروم، وبني روبيل من اليهود، وكانوا ممن ساروا مع عمرو بن العاص من الشام إلى مصر من عجم الشام ممن دخل الإسلام قبل اليرموك[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص4 - 5.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 190.
(3) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 190.
(5) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص5.

- **خطة بني يشكر:**

تُنسب إلى: بني يشكر بن جزيلة بن لخم، وكانت منازلهم متفرقة في الجبل (جبل بني يشكر)[1].

-خطة حضر موت:

وهم بنو حضر موت بن عمرو منهم من اختط خطته في الصفا، ومنهم الذين قدموا أيام الخليفة عثمان t فقد اختطوا شرقي خطط الصدف[2].

2 ـ المعالم العمرانية:

أ- دُور الفسطاط:

تعد دُور الفسطاط من أهم المعالم العمرانية التي أبرزت المدينة، وذلك لكثرتها وانتشارها في معظم خطط المدينة ومعها ظهر نمط البناء السكني الأول للمسلمين في مصر.

بُنيت الدُور في بداية التأسيس كبقية المرافق العمرانية في الفسطاط بالطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة[3]، وكانت هذه الدُور تتسم ببساطتها من حيث التصميم والعمارة، شأنها في ذلك شأن دُور البصرة والكوفة، وذلك لمحاربة الخليفة عمر t لكل مظاهر الترف في البناء [4]، وقد

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 298.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 191.
(3) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 341.
(4) الخربوطلي: المرجع السابق، ص308.

بُنيت دُور الفسطاط من طابق واحد[1]، وأول من بنى غرفة فوق الطابق الأول هو خارجة بن حذافة وعندما سمع الخليفة عمر t بذلك كتب إلى عمرو:"سلام عليك، أما بعد فإنه بلغني أن خارجة بن حذافة بنى غرفة وأراد أن يطلع على عورات جيرانه، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها إن شاء الله والسلام[2].

غير أن مشاكل التزاحم السكاني وضيق مخطط المدينة غلبت رغبات الخليفة عمر t ، حيث اضطر السكان للبناء العمودي، حيث بُنيت بعض دُور الفسطاط بعد المرحلة الأولى للبناء من طابقين في أواخر خلافة عمر t ، غير أن نوافذ الطابق العلوي كانت مرتفعة، بحيث تحفظ حرمات المسلمين في دُورهم السكنية، فضلاً عن ذلك فإن هذه الدُور كانت تفتقد بصفة عامة للنوافذ الكبيرة التي تطل على الطرق للحفاظ على حرمات الناس داخل دُورهم، وكانت نتيجة لذلك تستمد الضوء والهواء من خلال الأفنية التي تتوسط الوحدات السكنية، وهو ما يدل على أن بناء الدُور خلال تلك الفترة كانت لها قيود وشروط ملزمة من جانب الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة من جهة ومن ولاة الفسطاط من جهة أخرى[3].

لقد عدد ابن دقماق العديد من دُور الفسطاط، ومن أهم هذه الدُور التي ذكرها ابن دقماق:"دار البركة وكانت لعبد الله بن عمر بن الخطاب ودار خارجة بن حذافة بن غانم العدوي وهي غربي دار البركة، ودار خلف وكانت

---

(1) عبده: المرجع السابق، ص 148.

(2) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 108.

(3) شافعي: المرجع السابق، ص 353 – 354.

للصحابي أبي فاطمة الدوس، ودار أبي سروعة عقبة بن الحارث من بني نوفل ابن عبد مناف وهي شرقي دار خلف، ودار النحاس التي بناها وردان الرومي مولى عمرو ودار عمرو بن العاص (الكبرى) وهي في شرقي المسجد الجامع كان يسكنها وكان مدخلها من الباب القبلي الذي كان في زقاق القناديل، ودار الحصى وتعرف بدار الأنماط القديمة وهى لأبي ذر الغفاري، ودار جابر المنوفي وكانت لعمرو بن رباب السهمي، ودار الزبير بن العوام التي بسوق وردان وكانت دار الزبير في غربي دار عمرو الصغرى فجرى بين غلمانه وغلمان عمرو خصومة فتحول عنها وبنى هذه الدار بموضع سوق وردان، ودار مسلمة بن مخلد الأنصاري المقابلة لدار الزبير" [1].

ب- الأزقة والدُروب:

لم تشر الروايات التاريخية إلى مسألة توزيع الشوارع والسكان، والنظام الذي خضع له هذا التوزيع في الوقت الذي كانت فيه شوارع ودُروب البصرة والكوفة موزعة حسب قياسات قد اتفق عليها.

يبدو أن تعبير الزقاق في الفسطاط يحمل مضموناً أوسع مما هو عليه في مدينتي البصرة والكوفة، فكان في هاتين المدينتين أضيق مسلك، في المدينة فكان عرضه سبعة اذرع حوالي (3.5 متر)، أما في الفسطاط فكان الزقاق أكثر عرضاً لأن الشارع كان فرعاً من الزقاق[2].

---

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص7-8-9-10-11.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 191.

ويرد في مدينة الفسطاط ذكر تعبير لم يُذكر في البصرة والكوفة إلا نادراً، وهو الخوخة جمعها (خوخ) ولعلها تشابه تركيب وسعة الأزقة الضيقة الموجودة في مدن البصرة والكوفة[1].

لم توضع لشوارع الفسطاط سواء الرئيسية أو الثانوية، والتي كانت ملكية عامة أي علامات أو حدود واضحة، مما سبب في امتداد المباني إليها وبالتالي تضييقها فشكل ذلك الشوارع الملتوية والطرق الضيقة التي اتسمت بها الفسطاط[2].

- أهمـــها:

*** زقاق القناديل:**

من الأزقة الرئيسية في مدينة الفسطاط خلال المرحلة التأسيسية، فيذكر ابن دقماق:" انه من الخطط القديمة في الفسطاط، وإنما سُمي بزقاق القناديل لاحتوائه على عدد من منازل الأشراف، حيث كانوا يضعون على أبوابها القناديل، وقيل: انه سُمي بذلك لوجود قنديل يوقد ليلاً كان على باب دار عمرو وكانت له أربعة مسالك" [3].

*** زقاق بني جمح:**

قيل:" أنه كان بركة يتصرف إليها ميضأة جامع عمرو إلى أن اختطت وردمت" [4].

(1) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص 71.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 13- 14.
(4) المصدر نفسه، ص 14.

*** زقاق الزهري:**

يُنسب إلى: معمر بن أبي حيية مولى بني زهرة، وهو غير نافذ، وأوله شارع في الطريق المسلوك فيه من الجامع إلى بين القصرين[1].

لقد تعددت أزقة ودُروب وخوخات الفسطاط، وتوزعت على خطط المدينة وقد حملت مضامين قبلية وشخصية وبعضها حمل مضامين إقليمية تُنسب إلى الأقوام التي سكنتها وبعض الدُروب حملت أسماء أماكن وحرف ومهن متنوعة[2].

ج- القطائع:

لم يُذكر أنه قد مُنحت اقطاعات خلال فترة التأسيس الأولى للفسطاط وطيلة خلافة عمر t ، لمعارضته العمل فى الأرض ولم تمنح قطيعة خلال هذه الفترة إلا لسندر مولى الرسول r ، وسبب منحه أن الرسول r أوصى به كل مسلم حيث تذكر الرواية التاريخية: " أن سندر أتى إلى أبي بكر الصديق وقال: احفظ فيّ وصية النبي r فعاله أبو بكر حتى توفي ثم أتى عمر فقال: احفظ فّي وصية النبي r ، فقال: نعم إن رضيت أن تقيم عندي أجريت عليك ما كان يجريه عليك أبو بكر وإلا فانظر أي المواضع أكتب إليك، فقال سندر: مصر فإنها أرض ريف، فكتب إلى عمرو بن العاص: احفظ وصية رسول r فيه، فلما قدم على عمرو، قطع له أرضاً واسعة وداراً، فجعل سندر يعيش فيها فلما مات قُبضت في مال الله تعالى " [3].

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 192 – 193.

(3) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 122.

د- الجيزة:

يعد تأسيس الجيزة امتداداً لتأسيس الفسطاط، وهى أحد معالمها العمرانية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل الجيزة عن المصر الرئيسي الفسطاط على الرغم من وجود الفاصل الطبيعي بينهما وهو نهر النيل.

- الموقع:

تقع الجيزة: على الضفة الغربية لنهر النيل، شمال الأهرامات المشهورة وتمثال أبي الهول ومقابر سقارة الفرعونية، وهي مقابلة لموضع الفسطاط[1].

- تأسيسها:

تأسست سنة (21هـ - 640م)، وقيل: فُرغ من بنائها سنة (22هـ - 641م) وسبب بنائها أن عمرو بن العاص لما رجع من الإسكندرية فى جيشه ونزل الفسطاط، ترك جزءاً من جيشه بالجيزة خوفاً من قيام العدو بهجوم مفاجيء من الجهة الغربية لنهر النيل[2]، وقيل:" أن أغلب الذين أبقاهم عمرو فى الجيزة هم من آل ذي أصبح من حمير، وهم كثير ونافع بن زيد ابن رعين وهمذان وطائفة من الأزديين من الحجريين، وطائفة من الحبشة"[3]، وعندما طلب منهم عمرو القدوم الى الفسطاط رفضوا وفضلوا البقاء في الجيزة[4]، حيث قالو له:" متقدم قدمناه في سبيل الله ما كنا لنرحل منه إلى غيره "[5]،

(1) العفيفي: المرجع السابق، ص200.
(2) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص125.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص126.
(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 196.
(5) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 109.

فكتب عمرو بذلك إلى الخليفة عمر t حيث تذكر الرواية التاريخية:" أن عمرو كتب إلى الخليفة عمر t يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم، وما فعلوا في خططهم وما استحبت همذان وما والاها من النزول بالجيزة" [1]، فكتب إليه الخليفة عمر t يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له:"كيف رضيت أن تفرق أصحابك ؟ ولم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر، لا تدري ما يفاجئهم فلعلك لا تقدر على غياتهم حين ينزل بهم ما تكره فاجمعهم إليك فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابن عليهم من فيء المسلمين حصناً" [2]، فجمعهم عمرو فأخبرهم بكتاب الخليفة عمر t فامتنعوا من الخروج من الجيزة[3].

- **تخطيط الجيزة:**

بعد إصرار القبائل على البقاء والتمسك بمواضعها اضطر عمرو على إقرارها ووضع مخطط لقبائلها ومن أهم خططها:

خطة ذي أصبح: من حمير، من الناحية الشرقية للجيزة، وخطة نافع ابن الحارث من رعين، وموقعها وسط الجيزة، واختطت همذان وهم حاشد وبكيل أبناء حسم بن نوف من همذان، فاختطت بكيل فى الجنوب الشرقي من الجيزة وحاشد فى الشمال الغربي، واختطت الحياوية من بني عامر بن بكيل

(1) المصدر نفسه، ص108.
(2) المصدر نفسه، ص108 – 109.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص126.

فى قبلي الجيزة، واختطت بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبو من الازد فيما بين بكيل ونافع واختطوا الحبشة على الشارع الأعظم [1].

وبُني مسجد في خطط بني همذان عرف بمسجد همذان، حيث كانت تقام فيه صلاة الجمعة [2].

ولم يشهد مخطط الجيزة تزاحماً وتلاصقاً في الخطط نظراً للعدد القليل من القبائل التي استوطنتها في البداية، حيث كان الفضاء شاسعاً بين الخطط، واستمرت على ذلك حتى قدمت الإمدادات زمن الخليفة عثمان t وما بعد ذلك حيث كثر الناس ووسعت كل قبيلة لإسكان وافديها، حتى كثر البنيان والتأمت الخطط [3].

***- بناء الحصن:**

حرصاً من الخليفة عمر t على سلامة سكان الجيزة، أمر عمرو ابن العاص ببناء حصن لهم إذا لم يرضوا بترك الموضع، فنفذ عمرو الأمر وانتهى من بنائه سنة (22هـ - 643م)، ويعد أول حصن داخلي يشيد بمصر الإسلامية[4]، حيث تذكر الرواية التاريخية:" ابتني حصن الجيزة في الجانب الغربي من النيل وجعله مسلحة للمسلمين، وأسكنه قوماً" [5].

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 196.

(3) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 109.

(4) عبده: المرجع السابق، ص 151.

(5) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 91.

وقيل: أن سكان الجيزة عندما أمر عمرو بن العاص ببناء الحصن كرهوا ذلك، وقالوا: "لا حصن أحصن لنا من سيوفنا"، فكانت كل قبيلة كارهة أن يكون الحصن فى خطتها فأقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على نافع فبُني فيهم، وخرجت طائفة منهم من الحصن آنفة منه [1].

ثالثاً: المسجد الجامع ودار الإمارة:

1ـ المسجد الجامع:

المسجد هو نقطة البداية و الانطلاق للتوعية الدينية، وهو وعاء الغداء الروحي وهو المحور الذي يتكون من حوله المجتمع، والشواهد كثيرة يفيض بها الكتاب الكريم والسنة الشريفة وقصص التاريخ، فالمجتمع الحجازي نشأ حول البيت العتيق الذي بارك الله حوله وجعله هدى للناس[2].

وتمشياً مع ما سار عليه المسلمون منذُ البدء بإقامة المسجد الجامع في البلاد التي يرى الله أن يفتحها لهم وتنشر فيها شريعتهم، أمر عمرو بن العاص ببناء المسجد الجامع بالفسطاط، فهو يعد أول مسجد جامع في مصر وإفريقيا كلها[3]، ذكره المؤرخ ابن دقماق فقال: "إمام المساجد ومقدم المعابد قطب سماء الجوامع ومطلع الأنوار اللوامع عين قلادة البنيان، وعقيلة بيوت الملك الديان موطن أولياء الله وحزبه، ومنزل أشياع الدين وصحبه، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه وواضب على القيام بنواحيه، وتقرب منه إلى صدر المحراب،

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص126.
(2) عبده: المرجع السابق، ص 151.
(3) المرجع نفسه، ص 147.

وخر إليه راكعاً وأناب، ومال إليه كل الميل، وجنح إلى حضرته في جنح الليل وصرف همته لاجتناء ثمرة خيره وأدرك فضيلة جماعته "[1].

سُمي بجامع الفتح وتاج الجوامع وجامع مصر وجامع عمرو، ثم سُمي في الفترات اللاحقة بالجامع العتيق[2].

أ- موقعه:

يقع في: مركز الدائرة[3]، وهو على مساحة قصيرة شمالي حصن بابليون المعروف بقصر الشمع، وتعرف المنطقة التي بها حالياً (بميدان عمرو ابن العاص)[4]، وهو محور مركز المدينة فكان الطريق الرئيسي محيطاً به من جميع جوانبه[5]، وقيل: إن موقعه كان مكان موضع فسطاط عمرو، حيث يذكر ابن كثير:" ثم رفع الفسطاط وبُني في موضعه الجامع "[6]، غير أن أغلب المؤرخين يذكرون: أن المسجد بُني بجوار موضع الفسطاط الذي بُني في موضعه دار عمرو (الصغرى)[7]، وقيل: "إن موضع الجامع كان جبانة حاز موضعها قيسبة ابن كلثوم التجيبي عند حصار المسلمين لحصن بابليون، فلما رجع المسلمون من الإسكندرية سأل عمرو قيسبة في منزله هذا أن يجعله مسجداً فتصدق به قيسبة على المسلمين" [8].

---

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص59.
(2) سالم: دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ص 260.
(3) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 73.
(4) فرغلي: المرجع السابق، ص 62.
(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 182.
(6) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص100.
(7) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 181.
(8) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 265.

وكان بينه وبين دار عمرو سبعة أذرع[1]، وتذكر الرواية التاريخية:" كانت تحيط بموضعه حدائق وأعناب، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم و وضعوا أيديهم فلم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا القبلة "[2]. ينظر الملحق رقم (10).

ب- بناؤه:

كان بداية بنائه بسيطاً شأنه في ذلك شأن المسجد النبوي بالمدينة المنورة قبل تحويل القبلة ومسجد البصرة والكوفة [3].

شُيدت جدرانه من طوب اللبن، وسقفه من الجريد المحمول على أعمدة من جذوع النخيل[4]، وبُني بطول خمسين ذراعاً في عرض ثلاثين ذراعاً[5]، وتذكر الرواية التاريخية:" أنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلاً من أصحاب الرسول r ، منهم الزبير بن العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد[*] وعقبة بن عامر "[6].

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص 147.
(2) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 91 – 92.
(3) عبده: المرجع السابق، ص 147.
(4) النبراوي، رأفت محمد محمد: الآثار الإسلامية، العمارة والفنون والنقود، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة 2006 م، ص 35.
(5) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 62.
(*) فضالة بن عبيد:(توفي سنة: 53هـ - 673 م) فضالة بن عبيد بن نافد بن قيس الأنصاري الأوسي أبو محمد: صحابي ممن بايع تحت الشجرة، شهد أحد وما بعدها وشهد فتح الشام ومصروسكن الشام وولي غزو البر والبحر بمصر ثم ولاه معاوية قضاء دمشق وتوفي فيها. الزركلي: المصدر السابق، ط11، ج5، ص146.
(6) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص 246-147.

اتخذ عمرو المنبر ولم يكن به محراب مجوف [1]، وعند سماع الخليفة عمر t بأن عمراً اتخذ منبراً في المسجد كتب إليه يعزم إليه في كسره، ويقول:"أما يحسبك أن تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك" فكسره عمرو[2].

وكانت للمسجد ضلة للقبلة من الشمال إلى الجنوب بمقدار (15 متراً) تقريباً، تقوم فيها أعمدة من جذوع النخل تحمل بدورها سقفاً منخفضاً من سعف النخيل والطين، ولم يكن له صحن متسع [3]، حيث يذكر ابن دقماق:" كان سقفه متطأطئاً جداً، ولا صحن له وكان الناس يصلون بفنائه " [4].

وكان للمسجد بابان يقابلان دار عمرو، وبابان في بحريه، وبابان في غربيه، وكان الخارج من زقاق القناديل يجد ركن الجامع محاذياً بركن دار عمرو الغربي[5].

2ـ دار الإمارة:

أ- موقعها:

عُرفت بدار عمرو، ويبدو أن عمرو قد نزل على اثر عودته من الإسكندرية في فسطاطه الذي كان قد ضربه في أثناء الحصار الذى فرضه المسلمون على حصن بابليون (قصرالشمع)، وقد جعله مركزاً لقيادته[6]، وقد

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 62.
(2) المصدر نفسه، ص 63.
(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص 247.
(4) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص62.
(5) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(6) زيدان: المرجع السابق، ج2، ص173.

ذكر ابن دقماق:" أن الفسطاط كان مضروباً في موضع دار عمرو الصغرى التي بمحاذاة داره الكبرى وجامعه، فاختط عمرو موضع الفسطاط داره والدار التي جانبها" [1]، وعرفت كذلك بدار الرمل [2].

كانت دار الإمارة تقع في الجهة الشرقية من المسجد على بعد (4 أمتار) منه[3]، حيث قيل: " أن عمراً اختط دار الإمارة عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى الملاصقة إلى جانبها " [4]. ينظر الملحق رقم (11).

ب- بناؤها:

ليس من الواضح تماماً فيما إذا كان عمرو عند قدومه ثانية إلى فسطاطه واتخاذ داره أو قصره المعروف (بالدار الصغرى) مكان ذلك الفسطاط قد تم قبل اختطاط المسجد الجامع أم العكس، والمعروف أن داره الصغرى هذه كانت بمحاذاة المسجد الجامع وداره الكبرى، والتي ربما بُنيت بعد ذلك، ومن المحتمل أن المسجد ودار الإمارة قد تأسستا في آن واحد[5].

بُنيت دار الإمارة كبقية دُور الفسطاط من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة[6]، وذُكر: أن طولها من القبلة إلى الغرب تساوي

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص3.
(2) شافعي: المرجع السابق، ص 353 -354.
(3) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 96.
(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 81.
(5) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص 341.
(6) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 184.

طول المسجد الجامع بين هاتين الجهتين، وكان بابها مقابلاً للبابين الشرقيين للمسجد الجامع[1].

رابعاً: المنشئات العامة:

1ـ الأسواق:

إنشاء الأسواق في المدن الإسلامية كان من محاور النهضة بعمرانها، فهي من متطلبات الجماعة الإسلامية وهي إحدى الركائز الرئيسية، لأن المدن تتفاضل بالأسواق، وكثرة الأرزاق وإنفاق الأسواق من تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة ومن ثم فإن الازدهار الاقتصادي ينعكس على إزدهارالأسواق وعمارتها[2].

اشتهرت الفسطاط عند الجغرافيين العرب بتعدد أسواقها وبنشاط الفاعلية التجارية فيها، فقال الإصطخري:"إن في المدينة أسواق عظام ومتاجر ضخمة" [3]، وأضاف المقدسي إلى ذلك بقوله:"إنها حسنة الأسواق و المعايش عجيبة المتاجر" [4].

لم توضح الروايات التاريخية التي تناولت بداية تأسيس الفسطاط شيئاً محدداً عن تخصيص مكان معين ضمن خطط الفسطاط لتكون سوقاً، وهناك

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص 247.
(2) عثمان: المرجع السابق، ص 253.
(3) الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي: مسالك الممالك، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة 1961 م، ص 86.
(4) المقدسي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة الجغرافيا، ليدن 1967م، ص 197.

رواية مهمة تتعلق بهذا الموضوع، فقد ذكر ابن عبد الحكم القرشي:"إن عمراً كتب إلى الخليفة عمر t : انا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع، فكتب إليه عمر: أني لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر! وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين "[1]، وقيل:" هي دار البركة فجعلت سوقاً فكان يُباع فيها الرقيق "[2].

وبهذا جُعلت الأسواق محيطة بالمسجد الجامع في الجانب الشرقي من النيل[3]، والعجيب أن ابن دقماق لم يورد هذه الرواية ولم يذكر هذه السوق عند تحدثه عن دار البركة في حين أن ابن عبد الحكم القرشي ذكر: "إن سوق البركة كان يُباع فيه الرقيق "[4].

يبدو أن توزيع خطط الفسطاط توزيعاً قبلياً قد ساعد على ظهور ونمو أسواق صغيرة وكثيرة أخرى[5]، أهمها:

أ- سوق وردان:-

يُنسب إلى: وردان الرومي يُكنى (أبا عبيد) مولى عمرو وكانت له مسالك كثيرة[6].

ب- سوق بربر: -

اسمه يرجع إلى نزول البربر على كعب بن سيار بن ضبة العبسي، وكان هؤلاء البربر يترددون المجيء إلى كعب هذا فنسب السوق إليهم، وكان يقع في

---

(1) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص92.
(2) دحلان: المرجع السابق، ج1، ص 73.
(3) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 91.
(4) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 92.
(5) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 194.
(6) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص32.

نهاية زقاق القناديل وله أربع مسالك[1]، ويبدو أنه سوق يحتوي على أسواق فرعية تتخصص حسب المهن والحرف ففيه سوق باسم سوق الحجامين[2].

ج- السوق الكبير:-

هو سوق مشهور له قصبة واحدة ومسالك كثيرة[3].

د- سوق الحمام:-

وهو في خطة ابن وعلة[4].

2ـ الحمـامات:

أ- حمام الفار:

تقع بسويقة المغاربة، وهي من خطة عمرو بن العاص سُميت بذلك لصغرها لأن حمامات الروم كانت واسعة تتدرج إلى ثلاث طبقات، يدخل من الأولى إلى الثانية، ثم إلى الثالثة، وهي أول حمام للمسلمين في مصر، فلما بناها عمرو استحقرها الروم، وقالوا: "تصلح للفار"، فسموها حمام الفار استحقاراً لها[5].

إن إنشاء عمرو هذا الحمام بهذا الحجم الصغير مقارنة بحمامات الروم واليونانيين لا يعني أن المسلمين بنوا حماماتهم العامة بهذا الحجم الصغير،

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(2) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 194.
(3) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 32.
(4) ناجي: دراسات في المدن العربية الإسلامية، ص 194.
(5) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص105.

ويتأكد ذلك من حمامات البصرة والكوفة والحمامات التي بُنيت بالفسطاط بعد ذلك.

ربما قصد عمرو من إنشاء هذا الحمام بهذا الحجم هو تحقيق الفائدة وفق القيم الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بطهارة الماء فحسب، أو أن ظروف المساحة المتوفرة ومحدودية القدرة هي التي فرضت عليه ذلك [1].

ب- حمام بسر: -

وهو منسوب إلى: بسر بن أبي أرطأة القرشي وهو في خطة بسر[2].

ج- حمام سوق وردان:

وهو من إقطاع الصحابي مسلمة بن مخلد الأنصاري[3].

3ـقناة أمير المؤمنين:

قام عمرو بحفر هذه القناة التي تربط النيل بالبحر الأحمر عند السويس (القلزم)، ويرجع تاريخ هذه القناة إلى الفراعنة، وقد اهتم بها الرومان فأعادوا حفرها، وسميت قناة تراجان ثم أعاد عمرو حفرها وسماها قناة أمير المؤمنين[4]، حيث يذكر ابن دقماق: أن الخليفة عمر أمر عمرو بحفر الخليج (القناة) بحاشية الفسطاط عام الرمادة، فساقه عمرو من النيل إلى القلزم، ولم

---

(1) عثمان: المرجع السابق، ص 248.

(2) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 106.

(3) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(4) شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 73.

يأت عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيه الطعام إلى المدينة ومكة "[1]، وقيل: إن حفره في سنة (23 هـ - 644م)، وفُرغ منه في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت الحجاز في الشهر السابع[2].

4ـ المحـــارس:

يعد الحصن الذي أنشأه عمرو بالجيزة في عام (22 هـ - 643 م) بأمر من الخليفة عمر t لتأمين همذان ومن معها، عندما أحبوا المقام بالجيزة أول حصن داخلي يشيد بمصر الإسلامية[3].

وقد ظهر بالفسطاط نوع من العمائر الحربية أطلق عليها اسم (المحارس)، منها محرس عمار ومحرس بنانة ومحرس الحريص ومحرس النخيل، ومن المرجح أن هذه المحارس كانت منشآت بسيطة بوسط خطط القبائل أو على حدودها، ويعمل بها رجال يتولون حراسة كل قبيلة، أو أنها كانت نقاط متفرقة بالفسطاط لإقامة الجند لحراستها إلا أنها لم تكن حصوناً أو قلاعاً كبيرة[4].

5ـ الجبـانـات:ـ

إن الأعداد الكبيرة الوافدة من السكان على الفسطاط، سببت إشكاليةً على مخطط المدينة منذ المرحلة الأولى المبكرة من التأسيس، حيث زادت الحاجة إلى المساحات الفضاء لكي تستوعب هذه الزيادات السكانية المتتابعة، فشغلت

---

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج1، ص 130.
(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(3) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 91.
(4) شافعي: المرجع السابق، ص 519.

هـذه المـساحات جميعـاً وتلاصـقت الخطـط وامتـدت المبـاني لتـضيق الـشوارع الرئيسية والثانوية[1]، إن هذه المعظلة اسـتحال معهـا تخـصيص مواضـع عديـدة للمقابر، حيث اجبر مخططو الفسطاط على اتخـاذ مقـبرة واحـدة لـسائر الخطـط بعكس البـصرة والكوفـة اللـتين كانتـا تعرفـان بتعـدد مقابرهمـا، حيـث كانـت لأغلب القبائل مقابر خاصة بها.

- **مقبرة القرافة:**

القرافة: تُنـسب إلى قرافـة وهـي بطـن مـن معـافر[2]، وهـي قبيلـة يمنيـة شهدت فتح مصر نزلت موضع هذه المقبرة فنُسبت إليها [3].

وهي تقع: على سفح جبل المقطم وامتداده، وكان اتخاذ هذا الموقع مقـبرة للمسلمين بأمر من الخليفة عمر t ، حيث كتب إلى عمرو:" أقبر فيها مـن مـات من المسلمين " [4]، وأول من دُفن فيـها رجل من معــافر يقال لـه: عامـر فقيـل:" عُمرت "[5]، وقد دُفـن فيها عـدد من الصحابة(*).

---

(1) عثمان: المرجع السابق، ص 71.
(2) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 317.
(3) عبده: المرجع السابق، ص 150.
(4) الهمذاني: المصدر السابق، ص 117.
(5) ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ص 157.
(*) دُفن فيها: من عرف من أصحاب الرسول خمسة نفر: عمرو بن العاص، عبد الله بن حذافة السهمي، عبد الله بن الحارث بن جز الزبيدي، أبو ذر الغفاري، عقبة بن عـامر الجهمـي. السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 110.

والواقـع إن جبانـة مـصر قـد انفـردت بـإطلاق لفظـة القرافـة عليهـا، وأصبحت هذه التسمية علـماً على الجبانـات في مـصر دون غيرهـا مـن الـبلاد الإسـلامية [1].

(1) عبده: المرجع السابق، ص 150.

الخاتمة

الخاتمة

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى على ما أمدني به من صبر وتوفيق من أجل الوصول بهذا العمل المتواضع إلى هذه الصورة ، والتي أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في تقديمه بالصورة الصحيحة.

ونتيجة لهذه الدراسة فقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها :

- كانت هذه المدن ثمرة من ثمرات حركة الفتوح الإسلامية التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري السابع الميلادي.
- كان الهدف عند بداية نزول المسلمين إلى المواضع التي أُسست فيها هذه المدن هو اتخاذها معسكرات تخدم أغراضاً عسكرية.
- تم اختيار المواضع التي تأسست فيها هذه المدن بدقة متناهية حيث توافق اختيارها والشروط التي حددها الخليفة عمر للأماكن المنتخبة لتكون مستقراً للمسلمين.
- تميزت هذه المدن ببيئة مشابهة لبيئة العرب الفاتحين أي منطقة شبه الجزيرة العربية.
- تميزت هذه المدن بموقعها البعيد عن السواحل حتى لا تتعرض للغزوات البحرية.
- أن بداية تأسيس هذه المدن لم تحمل معها أي نية للتمدن.
- مرت هذه المدن بمرحلتين أساسيتين في البناء هما مرحلة الخيام والقصب ومرحلة البناء باللبن.

- كان أغلب سكان هذه المدن في بداية تأسيسها هم من المقاتلة الذين يشاركون في عملية الفتح.
- شهدت بداية تأسيس هذه المدن مرحلة عدم الثبات في البناء على الرغم من ثبات الموضع حيث أن السكان إذا خرجوا للقتال أخلوا الموضع من البنيان،وإذا عادوا أعادوا البناء.
- حاربت الخلافة الإسلامية جميع مظاهر الترف عند إنشاء هذه المدن حتى لا تخرج عن الهدف المأمول منها.
- لم يكن لسكان هذه المدن في بداية تأسيسها أي نشاط سوى الدور الحربي.
- أن النجاحات الكبيرة التي حققها المسلمون في فتوحاتهم للمناطق التي أُسست فيها هذه المدن كان لها دوراً في تطورها.
- أن الانتماء القبلي كان له دور في تحديد الشكل الذي خُططت به هذه المدن حيث توزع السكان في خطط قبلية لكل قبيلة خطة خاصة بها.
- أن المردود المادي الكبير الذي عاد على سكان هذه المدن من جراء الفتوحات الإسلامية أدى إلى تزايد سكانها بشكل كبير.
- أن الظروف الطارئة التي حدثت في المصرين الأولين (البصرة والكوفة) والمتمثلة في الحريق الذي اندلع في مبانيهما هو الذي سَرع في البناء الثابت والاستقرار الدائم.
- كان التطابق كبيراً بين المدن الثلاث سواء في هدف التأسيس أو نمط تخطيطها وبناء مرافقها العمرانية.

- أن تأسيس هذه المدن وضح معها المحاور الرئيسية التي تميز تخطيطها وتأثر فيه بصورة أقوى من بقية العناصر التخطيطية الأخرى وهذه المحاور هي (المسجد الجامع – دار الإمارة – الخطة).
- ظهور عبقرية الخليفة عمر في تخطيط هذه المدن على الرغم من أنها أول مدن تُختط في عصر الدولة الإسلامية.
- كانت هذه المدن متكاملة منذ بداية تأسيسها حيث شملت كل المرافق العمرانية والمؤسسات الخدمية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.
- لم يكن تخطيط هذه المدن تقليداً للمدن الفارسية والرومانية بل كان نمطاً جديداً تميزت به هذه المدن.
- استعانة المسلمين ببعض الخبرات من العناصر السكانية الأخرى في بناء بعض المرافق العمرانية في هذه المدن.
- أحدث توافد الأعداد الكبيرة من القبائل على هذه المدن بعد تخطيطها خللاً وإرباكاً في مخططاتها.
- أن هذه المدن على الرغم من اشتراكها في بعض المؤسسات العامة ، إلا أنها تأثرت بالأحوال المحلية التي كانت تحيط بها فتميزت كل مدينة بصفات محلية خاصة بها.
- كانت اللغة والثقافة العربية أهم ما يميز هذه المدن عن غيرها من المدن المجاورة لها.
- لعبت هذه المدن دوراً كبيراً في الحياة السياسية للدولة العربية الإسلامية.

- أسهمت هذه المدن بقسط وافر في التطور الفكري والحضاري للعرب والمسلمين.
- يعد إنشاء هذه المدن نقطة تحول في التاريخ العربي والإسلامي نحو الاستقرار في إنشاء حاضرة عربية إسلامية.

التوصيات:

- توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة المدن الإسلامية في كل جوانبها.
- يوصي الدارس بإظهار الحضارة الإسلامية وما تميزت به عن الحضارات الأخرى، وذلك بإظهار الجوانب الحضارية في المدن حديثة الإنشاء.
- يوصي الدارس بدارسة تأثير هذه المدن في جميع جوانب الحياة للدولة الإسلامية.
- يوصي الدارس بإبراز الدور الذي قامت به هذه المدن منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر،وذلك عن طريق دراسة تاريخية متكاملة لكل مدينة على حدة.
- يوصي الدارس بدراسة المراحل اللاحقة التي مرت بها هذه المدن.
- يوصي الدارس بدراسة تخطيط المدن الإسلامية التي تلث هذه المدن في التأسيس.
- توصي الدراسة بتخصيص دراسة مقارنة بين هذه المدن الثلاث، والمدن الإسلامية التي تلثها في التأسيس وإبراز وجه التطابق والاختلاف في تخطيطها.

- توصي الدراسة بتحديد الرقعة المكانية وإبراز المعالم العمرانية لهذه المدن وذلك عن طريق دراسة ميدانية متكاملة.
- يوصي الدارس بالاهتمام بالمخطوطات والوثائق القديمة التي تخص الدراسة والتنقيب عنها للاستعانة بها والاستفادة منها ما أمكن ذلك.
- يوصي الدارس عند التخطيط للمدن الجديدة مراعاة حرمة المدن الأثرية القديمة باعتبارها جزءاً من الإرث الإنساني وعدم المساس بمحيطها الذي يعتبر إطاراً خاصاً بها.
- يوصي الدارس بتدعيم هذه الدراسة وتطويرها بدراسات أخرى.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بعز الدين، المتوفى سنة (630هـ / 1232م).

* الألباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).

* أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق، علي محمد معوض وآخرون وقرطه محمد عبد المنعم البري وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت 1994م.

* الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

2. الأصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الكرخي، (ت 318 هـ-930م).

* مسالك الممالك، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة 1961 م.

3. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين،(ت356هـ-967م).

* كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للنشر، بيروت (د. ت).

4. ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي، (ت 314 هـ - 926م).

* الفتوح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

5. البكـري، أبـو عبيـد عبـد الله بـن عبـد العزيـز البكـري الأندلـسي، (ت 487هـ- 1186م).

* معجم ما استعجم مـن أسمـاء البلـدان والمواضـع، تحقيـق جمـال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م.

6. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحـي بـن جـابر بـن داوود الـبلاذري البغدادي، (ت 279هـ - 903 م).

* فتوح البلـدان، تحقيـق إبـراهيم بيـضون، ط 1، دار اقـرأ، بـيروت 1992 م.

7. ابـن تغـري الـبردي، جمـال الـدين أبـو المحاسـن يوسـف الأتـابكي (ت874 هـ - 1465م).

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشـاد، القاهرة (د. ت).

8. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، (ت 614هـ - 1217م).

* رحلة ابن جبير، دار الفكر، بيروت 1964م.

9. الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بـن محمـد ابـن العماد. (ت 1089هـ- 1607م).

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دراسة وتحقيق مصطفى عبـد القادر عطا، دار القلم، بيروت (د. ت).

10. ابن حوقل، أبو القاسم محمد علي البغدادي الموصلي، (ت 367هـ - 978 م).

* صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت (د. ت).

11. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، (ت 808هـ 1405م).

* تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة جمال، بيروت (د. ت).

* مقدمة ابن خلدون، دار مكتبة الهلال،(د. م) 1996م.

12. ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري، (ت 240هـ - 853م).

* تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه مصطفى نجيب فواز وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 م.

13. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (ت 809 هـ - 1406 م).

* الانتصار بواسطة عقد الأمصار، في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1893 م.

14. الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن،(ت966هـ-1559م).

* تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت (د. ت).

15. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود، (ت 376هـ - 986م).

* الأخبار الطوال، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة (د. ت).

16. الـذهبي، شمـس الـدين محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان، (ت 748هـ - 1347 م).

* كتاب العبر في خبر من عبر، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د. م) 1997 م.

17. ابـن سـعد، محمـد بـن سـعد بـن منيـع الهـاشمي البـصري، (ت 748هـ - 1347م).

* الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة، بيروت 1980 م.

18. الـسيوطي، جـلال الـدين عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن عثمـان، (ت 911هـ - 1505م).

* حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997 م.

19. الصنعاني، بن همام بن نافع، (ت 211هـ - 833 م).

* المصنف، تحقيق أيمن نصر الدين الأزهري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2000م.

20. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(ت 310 هـ - 922م).

* تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت2001 م.

21. ابن عبد الحكم القرشي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت257هـ - 870 م).

* فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن 1920م.

22. العجلوني، اسما عيل بن محمد العجلوني الجراحي،(ت 1162هـ- 1677 م).

* كشف الخفاء ومزيل الألباس عما أشتهر من الأحاديث على السنة الناس، تحقيق سعيد بن أحمد الحلبي العطار، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م.

23. الفاسي، حسن بن محمد الوزان.

* وصف افريقيا، ط2، ترجمة محمد صبحي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

24. القزويني، زكرياء محمد بن محمود، (ت 682 هـ - 1283م).

* آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت 1998 م.

25. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، (ت 748هـ - 1373 م).

* البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت (د. ت).

26. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، (ت 350 هـ - 961 م).

* تاريخ ولاة مصر، ط1،(د. م) 1997م.

27. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت 346هـ - 956م).

* مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

28. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، (ت 375هـ - 985م).

* أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة الجغرافيا، ليدن 1967م.

29. المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، (ت 375هـ - 956م).

* المواعظ و الاعتبار لذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1987م.

30. الهمذاني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق بن الفقيه، (ت 334هـ - 945م).

* كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت1996 م.

31. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، (ت 768هـ - 1366م).

* مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.

32. ياقوت، الحموي، شهاب الـدين أبـو عبـد الله يـاقوت بـن عبـد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت 626هـ - 1228م).

* معجم البلدان، دار صادر، بيروت (د. ت).

33. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقـوبي البغدادي، (ت284هـ - 879م).

* كتاب البلدان، ط1، دار إحياء الثراث العربي، (د.م) 1988م.

* تاريخ اليعقـوبي، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنـصور، ط1، دار الكتـب العلمـية بيروت 1999 م.

ثانياً:ـ المراجع :

1. الأعظمي، محمد طه محمد.

* حمـــورابي، وزارة الثقافـــة والإعـــلام، دائـــرة الآثـــار والثـــراث، الجمهورية العراقية بغداد (د.ت).

2. بيضون، إبراهيم.

* ملامح التيارات السياسية في القـرن الأول الهجـري، درا النهـضة العربية، بيروت 1979 م.

3. جعيط، هشام.

* الكوفة نشأة المدينة العربية الإسـلامية، ط2، دار الطليعـة للطباعـة والنشر، بيروت 1993م.

4. الجميلي، رشيد عبد الله.

* تاريخ الدولة العربية الإسلامية، مكتبة المعارف، الرباط 1983 م.

5. حسن، إبراهيم حسن.

* تاريخ الإسلام (السياسي – الثقافي – الاجتماعي)، ط15، دار الجبل، بيروت 2001م.

6. حلاق، حسان.

* دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت1986م.

7. حمادة، عبد المنعم.

* مصر والفتح الإسلامي، دار الكتاب السنوي، القاهرة 1970 م.

8. الخربوطلي، علي حسني.

* الحضارة العربية الإسلامية، ط2، مكتبة الخانجي للطبع والنشر، القاهرة (د.ت).

9. دحلان، أحمد بن زيني.

* الدولة الأموية، دار المعرفة، بيروت 1938 م.

10. دلو، برهان الدين.

* حضارة مصر والعراق(التاريخ الإقتصادي – الاجتماعي – الثقافي والسياسي)، ط1، دار الفارابي، بيروت 1989 م.

11. الرحيم، عبد الحسين مهدي.

* تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس – ليبيا 1994 م.

12. رمضان، مصطفي محمد.

* عصر الخلفاء الراشدين، دار الكتاب الجامعي، القاهرة 1977 م.

13. الزحيلي، وهبة.

* الفقه الإسلامي وأدلته، ط4، دار الفكر المعاصر، بيروت 1997م.

14. زكي، أحمد كمال.

* الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار المعرفة، القاهرة 1971 م.

15. زيادة، محمود محمد.

* تاريخ العالم الإسلامي _ تاريخ الخلفاء الراشدين _ دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة 1971 م.

* دراسات في التاريخ الإسلامي،(العرب قبل الإسلام – السيرة النبوية – الخلافة الرشيدة)، دار التأليف، القاهرة 1969 م.

16. زيدان، جورجي.

* تاريخ التمدن الإسلامي، ط4، مطبعة الهلال، (د.م) 1935م.

17. سالم، السيد عبد العزيز.

* التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت).

* بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ط1، دار الغرب الإسلامي، القاهرة 1992 م.

* دراسات في تاريخ العرب- تاريخ الدولة العربية- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،(د. ت).

* دراسات في تاريخ العرب - تاريخ العرب قبل الإسلام - مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1969 م.

18. سليم، أحمد أمين.

* دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر – سوريا القديمة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989م.

19. شافعي، فريد.

* العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994م.

20. شلبي، أحمد.

* موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1974م.

21. شمس الدين، إبراهيم.

* مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2000م.

22. الشيال، جمال الدين.

* دراسات في التاريخ الإسلامي، دار الثقافة، بيروت 1964م.

23. عبد الستار، لبيب.

* تاريخ الحضارات، ط15، دار المشرق، بيروت 1999م.

24. الماجد، عبد المنعم.

* التاريخ السياسي للدولة العربية، عصور- الجاهلية، النبوة، الخلفاء الراشدين –ط5، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1975م.

25. العباسي، عبد القادر باش عيان.

* موسوعة تاريخ البصرة، شركة التابمس للطبع والنشر، بغداد 1988م.

26. عبده، عبد الله كامل موسى.

* المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دار الآفاق العربية، القاهرة2003 م.

27. عبودي، هنري.

* معجم الحضارات السامية، ط2، طرابلس – لبنان1991 م.

28. عثمان، محمد عبدالستار.

* المدينة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة 1999م.

29. عصفور، محمد أبو المحاسن.

* معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، ط3، دار النهضة العربية للنشر، بيروت 1894م.

30. العفيفي، عبد الحكيم.

* موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، (د.م) 2000م.

31. العقاد، عباس محمود.

* العبقريات الإسلامية، ط1، دار الآداب، بيروت 1966 م.

32. علم الدين، مصطفي.

* المجتمع الإسلامي في مرحلة التكوين، دار النهضة العربية، بيروت1992م.

33. العلي، صالح أحمد.

* التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة القرن الأول الهجري، ط2، بيروت 1964م.

* خطط البصرة ومنطقتها، دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العصور الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي، بغداد 1986م.

34. عليان، محمد عبد الفتاح.

* الخلفاء الراشدون، دار النهضة المصرية، القاهرة 1986 م.

35. عنان، محمد عبد الله.

* مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1969 م.

36. فرغلي، أبو الحمد محمود.

* الذليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1991 م.

37. أبو الفضل، إبراهيم محمد.

* أيام العرب في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، بيروت 1968 م.

38. قاسم، عون الشريف.

* شعر البصرة في العصر الأموي، ط2، الخرطوم 1991م.

39. كرير، زينب عبد الله معا طي، وآخرون.

* تاريخ صدر الإسلام، مطابع الوحدة العربية، الزاوية – ليبيا (د.ت).

40. الكعبي، عبد الحكيم.

* البصرة من المعسكر البدائي إلى الدور التجاري، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2003م.

* موسوعة التاريخ الإسلامي (عصر الخلفاء الراشدين)، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان(د.ت).

41. اللحام، بديع الزمان.

* موجز تاريخ الإسلام، دار الإيمان، بيروت 1988م.

42. المطري، السيد خالد.

* دراسات في مدن العالم الإسلامى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989م.

43. مهران، محمد بيومي.

* مصر والشرق الأدنى القديم - مصر منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية - ط4، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1988م.

44. ناجي، عبد الجبار.

* دراسات في المدن العربية الإسلامية، ط1، جامعة البصرة، البصرة 1986 م.

45. النبراوي، رأفت محمد محمد.

* الآثار الإسلامية، العمارة والفنون والنقود، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة 2006م.

46. النبراوي، فتحية.

* الخلفاء الراشدون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1983 م.

47. النجار، محمد مصطفى، وآخرون.

* دراسات تاريخية العرب وظهور الإسلام، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1969م.

48. نخبة من الباحثين العراقيين.

* حضارة العراق، الفصل الأول، البيئة الطبيعية والإنسان، دار الجبل، بيروت 1985م.

49. الهوني، محمد فرج.

* النظم الإدارية والمالية في الدولة الإسلامية، الشركة العامة للنشر، بنغازي 1976 م.

50. يحي، لطفي عبد الوهاب.

* العرب في العصور القديمة – مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام –دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990م.

ثالثاً:ـ المراجع المعربة:

1. بروكلمان، كارل.

* تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين وآخرون، ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1968م.

2. شارل بيلا.

* الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق، (د.م) 1985 م.

3. ماسينيون، لويس.

* خطط البصرة وبغداد، ترجمة إبراهيم السامرائي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1981 م.

رابعاً:ـ الدوريات (المجلات) :

1. الجنابي، طارق جواد.

* مدخل لدراسة المساجد الجامعة في العراق، مجلة آثار العرب، العدد 5، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، سبتمبر 1992 م.

2. السامرائي، خليل إبراهيم.

* الملامح السياسية والحضارية لمدينة البصرة من خلال كتاب ألف ليلة وليلة، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34، السنة 13، (د.م) 1987م.

3. أبو شويرب، عبد الكريم.

* الحمامات الإسلامية، مجلة آثار العرب، العدد 5، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، سبتمبر 1992م.

4. ناجي، عبد الجبار.

* أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الاقتصادية في البصرة، مجلة الخليج العربي، العدد 5، مركز دراسات الخليج العربي، العدد 1، جامعة البصرة، البصرة 1986 م.

خامساً :ـالقواميس والمعاجع و الموسوعات:

1ـ المعاجم والقواميس :

1. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت 321هـ - 933م).

* الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1958 م.

2. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر،(ت 966هـ – 1559م).

* مختار الصحاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (د. ت).

3. الزر كلي، خير الدين.

* الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1987 م – ط11، 1995 م.

4. عبد المنعم، محمود عبد الرحمن.

* معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة 1999 م.

5. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي التونسي، (ت 711هـ–1300م).

* لسان العرب، دار صادر، بيروت 1992م.

2ـ الموسوعات :

1. دائرة المعارف الإسلامية : دار المعرفة، بيروت (د. ت).

2. غالب، عبد الرحيم.

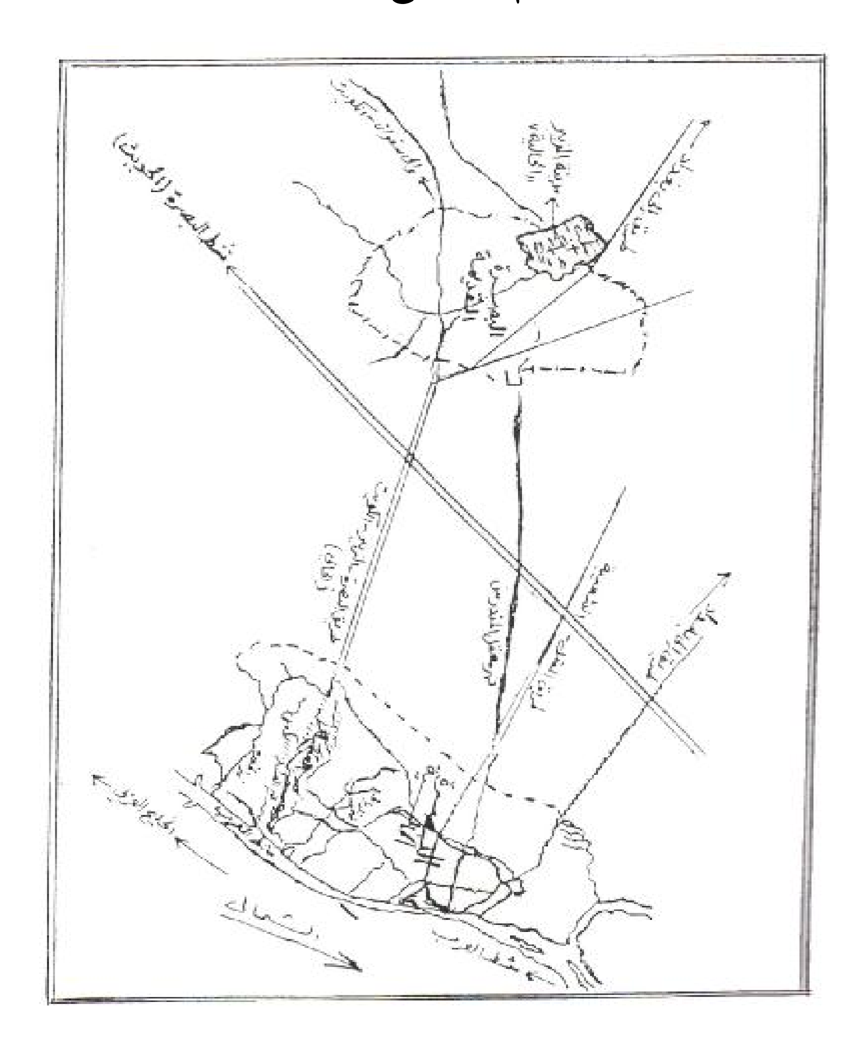
* موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت 1988م.

3. شربل، كمال موريس.

* الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجبل، بيروت 1998م

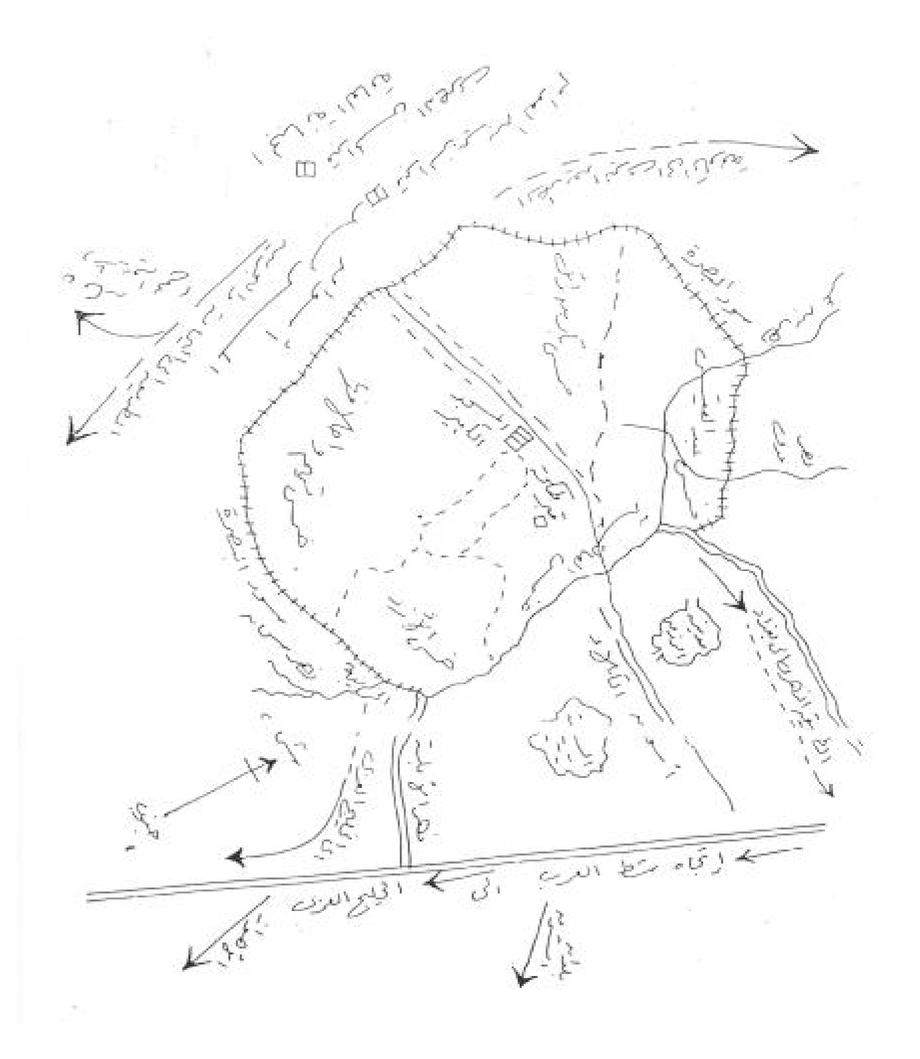
الملاحق

الملحق رقم (1) موقع مدينة البصرة .



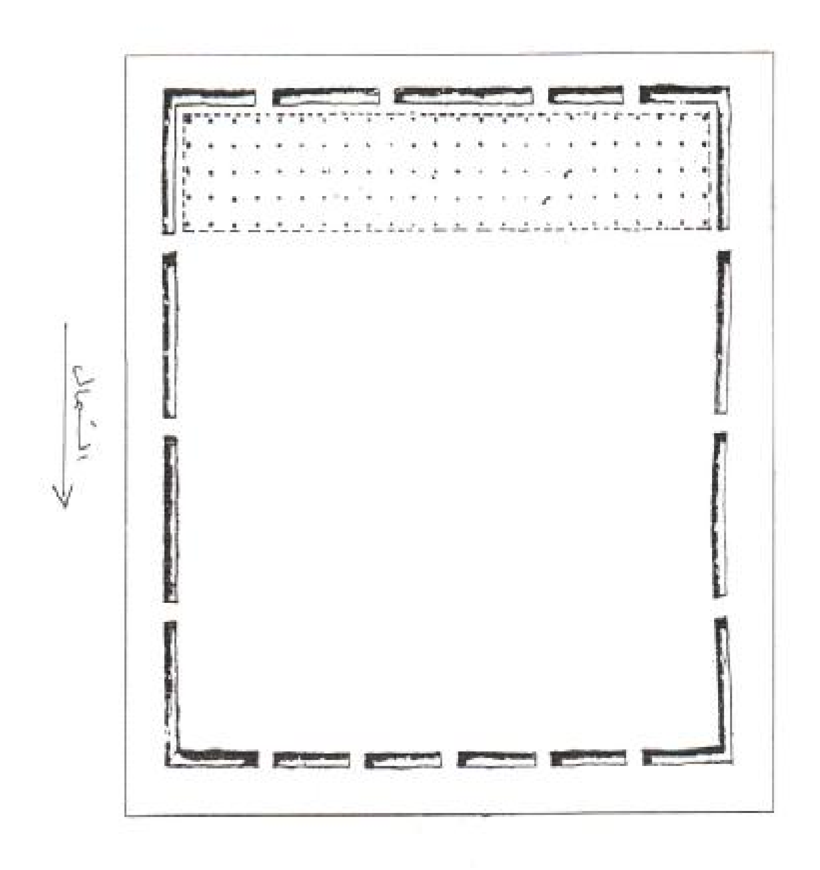
الكعبي : البصرة من المعسكر البدائي إلى الدور التجاري , ص43.

الملحق رقم(2) خطط أهالي البصرة (الأخماس).



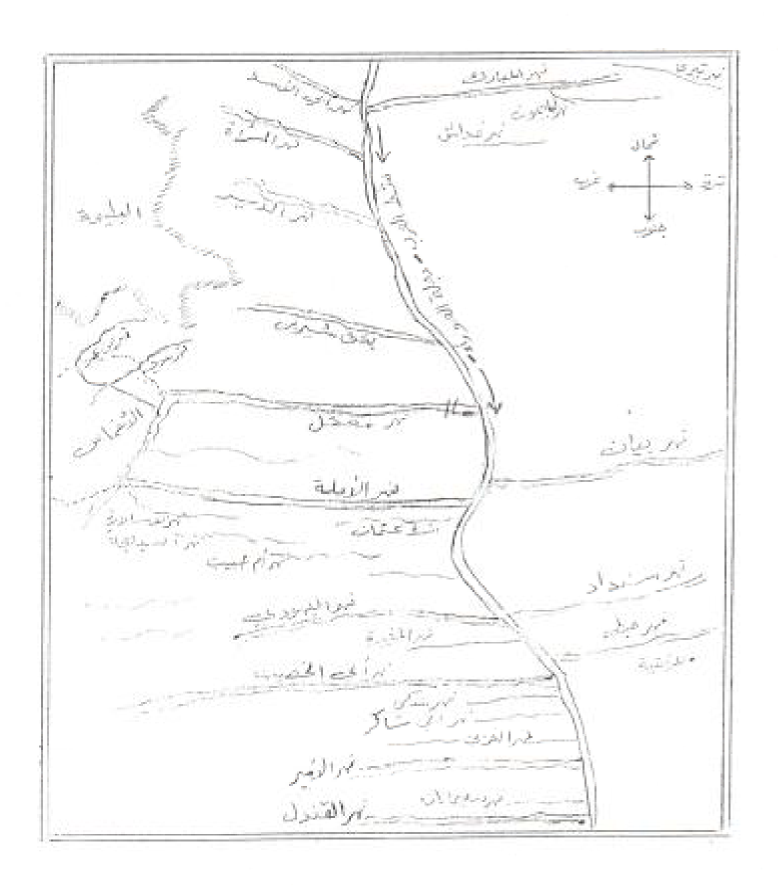
الكعبي : البصرة من المعسكر البدائي إلى الدور التجاري , ص 44.

الملحق رقم (3) التخطيط الأول لمسجد البصرة .



عبده , عبد الله كامل موسى : المسلمون وأثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين , ص256.

الملحق رقم (4)خريطة تبين أنهار البصرة .



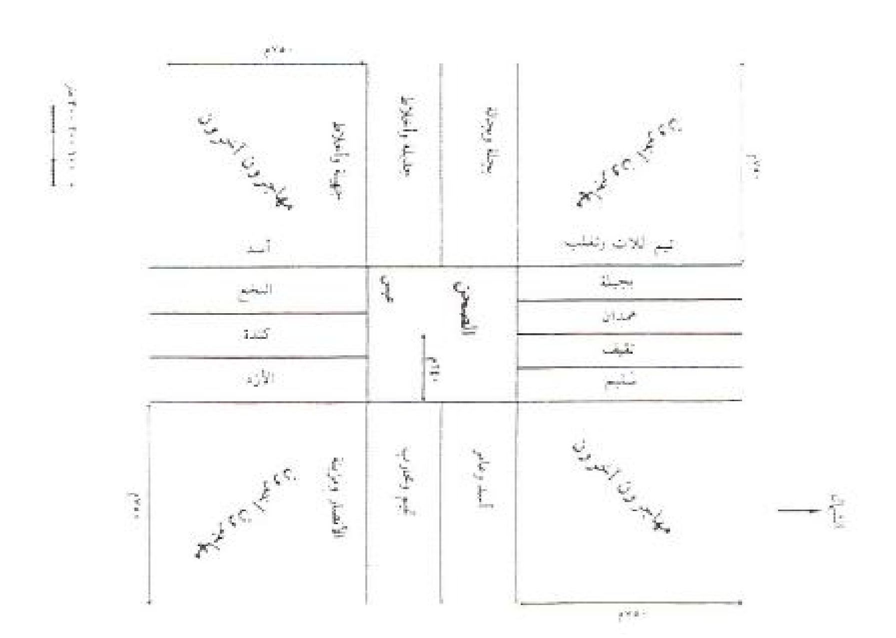
الكعبي : البصرة من المعسكر البدائي إلى الدور التجاري, ص175.

الملحق رقم (5) خريطة لبلاد العراق , تبين موقع الكوفة .



عبده : المسلمون وأثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين, ص 277.

الملحق رقم (6) الخطط القبلية للكوفة .



جعيط , هشام : الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية, ص128.

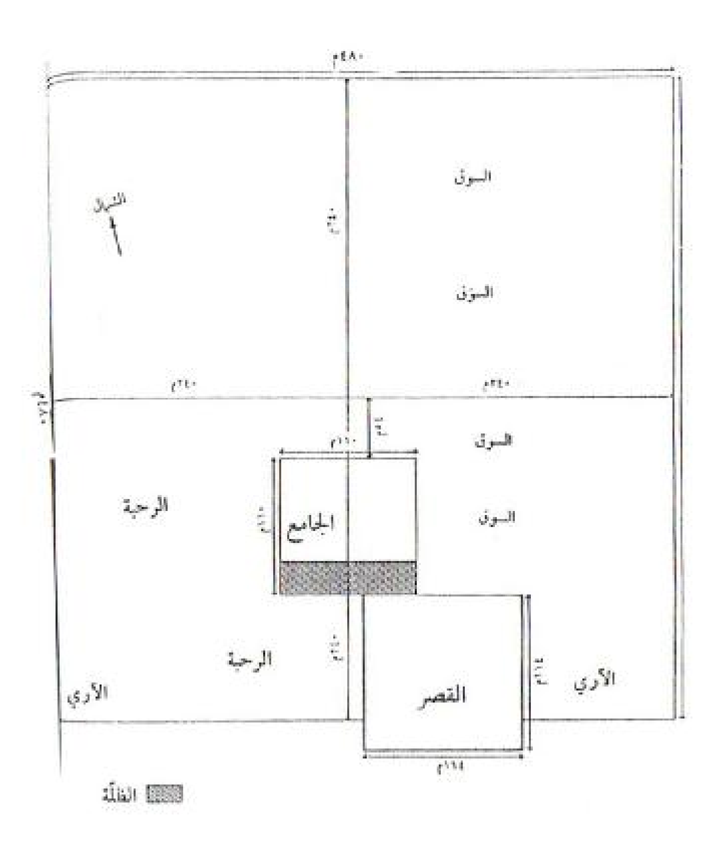
الملحق رقم (7)تخطيط صحن الكوفة قبل نقل المسجد بجوار دار الأمارة .



الملحق رقم (7) تخطيط صحن الكوفة قبل نقل المسجد بجوار الإمارة

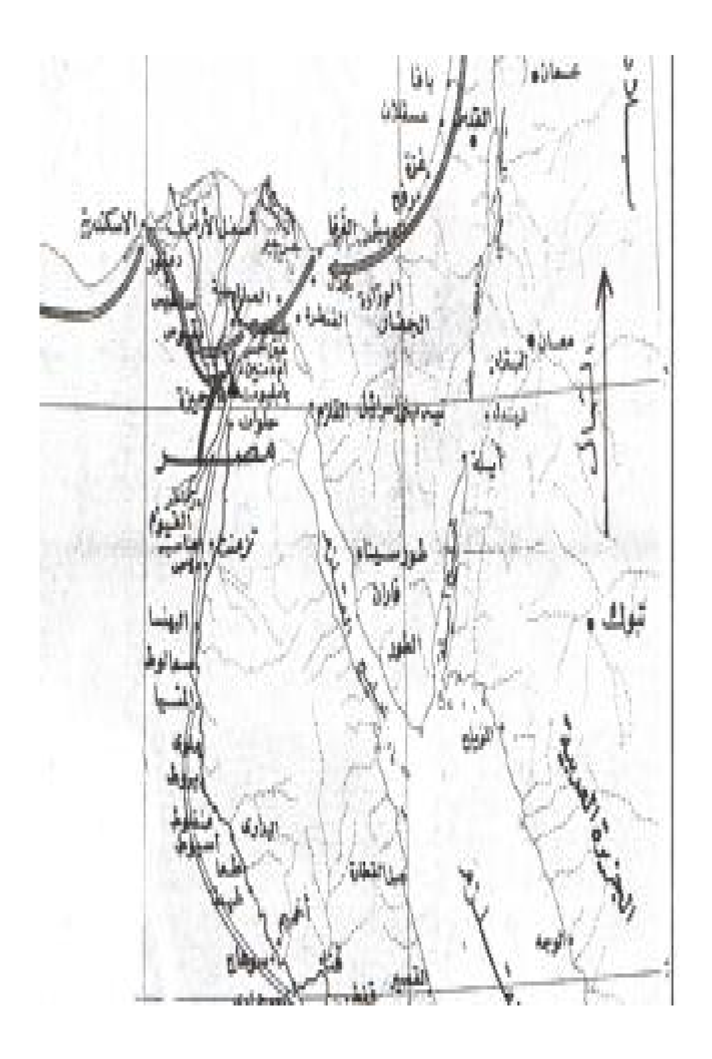
جعيط : الكوفة نشاة المدينة العربية الإسلامية ، ص: 117

الملحق رقم (8)تخطيط صحن الكوفة بعد نقل المسجد بجوار دار الأمارة .



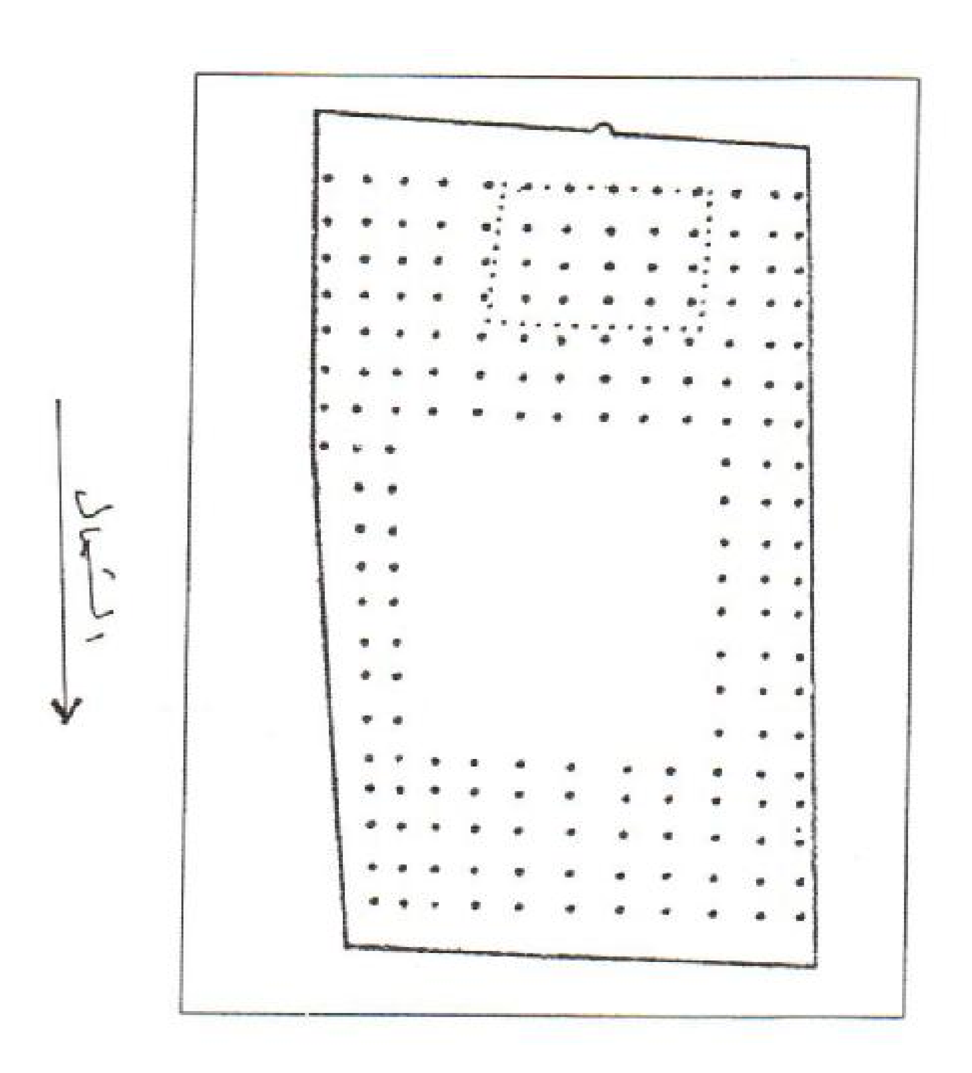
جعيط : الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية , ص104.

الملحق رقم (9) خريطة تُبين فتوح مصر وموقع بابليون (الفسطاط).



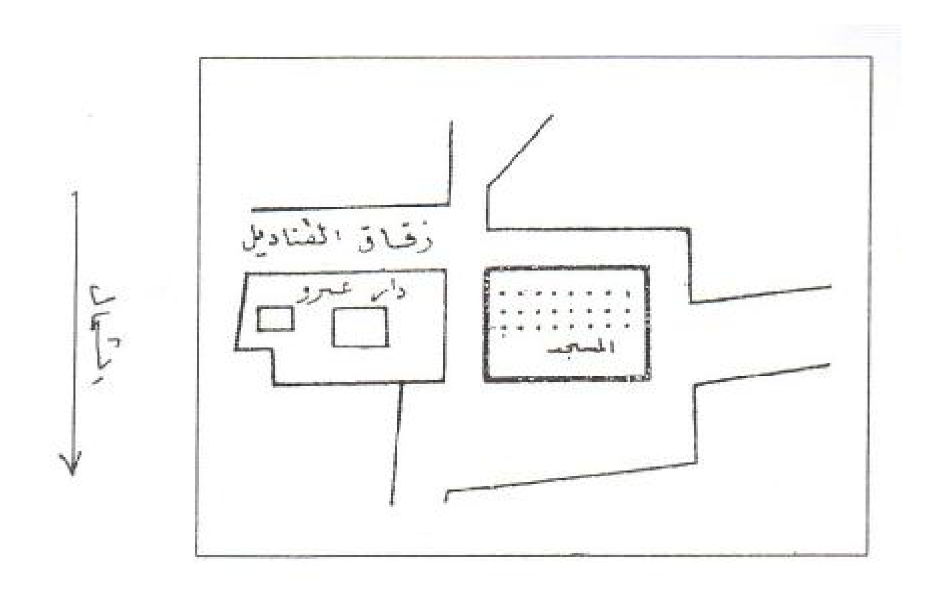
عبده : المسلمون وأثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين, ص 278 .

الملحق رقم (10) التخطيط الأول لمسجد الفسطاط .



عبده: المسلمون وأثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين, ص 258.

الملحق رقم (11) التخطيط الأول للمسجد ودار الأمارة في مدينة الفسطاط .



عبده: المسلمون وأثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين, ص 257.

الملحق رقم (12) ملحق الخلفاء الراشدين يبين فترة الخلفاء الراشدين وزمن كل خليفة .

الخليفة الأول ابوبكر الصديق من سنة: 11هـ ـ632م .[1] إلى سنة : 13هـ ـ634م .[2]
الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من سنة :13هـ ـ634م. إلى سنة: 23 هـ ـ 644م.[3]
الخليفة الثالث عثمان بن عفان من سنة :24هـ ـ644م. إلى سنة: 35 هـ ـ 656م.[4]
الخليفة الرابع علي بن أبي طالب من سنة:35هـ ـ656م. إلى سنة: 40 هـ ـ 661م.[5]

زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي (العرب قبل الإسلام ـ السيرة النبوية ـ الخلافة الرشيدة).

---

(1) ص 405.
(2) ص 500.
(3) ص 503.
(4) ص 607.
(5) ص 657.